كتاب الهلال

أمين الرافعي

شهيد الوطنية المصرية

صبري أبو المجد

سلسلة ثقافية شهرية



كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد

نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبو المجد

رئيس التحرير : د. حسين مؤنس

سكرتير التحرير : عايد عباد

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ محمد عز العرب

تليفون ٢٠٦١١٠ (عشرة خطوط)

KITAB AL-HILAL

العدد ٣٦٦ – شعبان ١٤٠١ – يونيه ١٩٨١

No. 366 — June 1981

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى – ١٢ عددا – فى جمهورية مصر العربية جنيهان مصريان بالبريد العادى • وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى وباكستان ثلاثة ونصف جنيه مصرى بالبريد الجوى • وفى سائر انحاء العالم سبعة دولارات بالبريد العادى وخمسة عشر دولارا بالبريد الجوى •

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج• م• ع• بحوالة بريدية غير حكومية وباقى بلاد العالم ... فلام مؤسسة دار الهلال وتضاف رسوم البريد ... الطلب •

وات ٢٠٠١

السلام العمرى

ية

كتاب الهلال

سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

الغـــــلاف بريشــة :
الفنانة : سميحة حسنين

صبرى أبو المجد

أمين الرافعى

شهيد الوطنية المصرية

(١٨٨٦ - ١٩٢٧)

دار الهلال

يَا أَمِينَ الْحُقُوقِ أَدَّيْتَ حَتَّى
لَمْ تَخُنْ مِصْرَ فِي الْحُقُوقِ فَتِيلَا
وَلَوِ اسْتَطَعْتَ زِدْتَ مِصْرَ مِنَ
الْحَقِّ عَلَى نِيلِهَا الْمُبَارَكِ نِيلَا
تَنْشُدُ النَّاسَ فِي الْقَضِيَّةِ لَحْنًا
كَالْحَوَارِي رَتَّلَ الْإِنْجِيلَا
مَا تُبَالِي مَضَيْتَ وَحْدَكَ تَحْمِي
حَوْزَةَ الْحَقِّ أَمْ مَضَيْتَ قَبِيلَا

أحمد شوقي
في رثاء أمين الرافعي

تقـــديـــم
بقلم: الدكتور حسين مؤنس

هذا كتاب يسعدنى أن يكون لى فى نشره نصيب .

فان موضـــوعه عظيم . انه رجل من أعــلام تاريخنا وشخصياته التى تعتبر معالم مضيئة على هذا التاريخ . انه أمين الرافعى مثال المصرى فى أصفى وأنبل صوره ، الكاتب فى أرفع مراتبه ، والصحفى فى أشرف مواقفه .

ومن منا لا يتشرف أن يكون له مكان فى ذكره ؟

ومؤلف الكتاب صديق حياة ، وزميل قلم . معا عملنا فى دار الهلال ، وربطتنا روابط القلب والعلم والحب لهذا البلد ، ولكل من أحبه وجاهد فى سبيله ، ولا زال صبرى أبو المجد مؤرخ الصحفيين المصريين وراصد تاريخ القومية المصرية عامة .

***

رأيت أمين الرافعى مرة واحــدة . كنت فى السنة الاولى بالمدرسة الثــانوية ، وكان لنا صاحب من أولى النجدة ، يكبرنا سنا وكان وطنيا متوقد الحماس متجدد النشاط ، ويبدو ان شباب تلك الايام كان كله على هذه الوتيرة حبا لمصر وتفانيا فيها .

كان هذا الشاب يقضى يومه متنقـــلا بين الزعمــاء

والصحف ، مشاركا فى المظاهرات حيثما كانت ، لا تراه الا وتحت ابطه صحف مصر كلها ، وكان يحفظ ما يكتبه أمين الرافعى عن ظهر قلب ، فأمين الرافعى كان رمز حبه ومعتقد ولائه ومثار اعجابه .

وفى ذات يوم أضربنا فى المدرسة ، ولم يفلح صاحبنا المتفانى فى السياسة فى تكوين مظـاهرة ، فتبددنا أول الطريق ، وقال لنا : نزور أكبر زعيم فى مصر .

سألت : سعد باشا ..

ـ لا .. أمين الرافعى .

وذهبنا معا . كنا أربعة ، والمنزل كان فى شـــارع متفرع من درب الجماميز . كان دارا صغيرة من دورين ، الاول للتحرير والثانى كان سكنا للأستاذ . وقيل لنا ان الأستاذ موعوك ولكننا نستطيع أن نصعد اليه . وصعدنا يتقدمنا صاحبنا عاشق أمين الرافعى . أذكر ان الغرفة كانت نصف مضيئة . كان هنـــاك باب كبير يؤدى الى بلكون فيما تصورت . وكان هناك مكتب عليه أكوام من الصحف واكداس من الكتب . وكانت هناك كنبة وبعض كراسى .

وكان الأستاذ جالسا على سجادة صلاة . كان قد صلى الظهر وجلس يسبح . كان أشيب شـاحب اللون خفيض الصوت ، ولكن الله أفرغ عليه جلالا ووقارا لم أعرفهما الى ذلك الحين .

كان يقـــول ان الباشا يؤذيه ، والباشا كان سـعد زغلول . وحمل صاحبنا الشاب على سعد زغلول ، فرفع الرجل يده وقال : لا يا أخ مختار . نحن لسنا ممن يسب ويتحـــدى . دعهم يفعـــلون ما يريدون ، فنحن فى

طريقنا . وقضية مصر ليست بيد سعد أو عدلى ، بل بيد هذا الشعب ، وما يفعله الله هو الخير ولا يصح الا الصحيح » .

ونهض الرجل فجلس على الكنبة واستند الى الوسائد ، وطاب لنا شايا ، ودخل ناس كثيرون يحيون الاستاذ ويصافحونه ، وبعضهم يعانقه .

وظل بصرى معلقا بهذا الشيخ المهيب الشاحب الوجه الخفيض الصوت ، ظللت صامتا لأننى فى حضرة قديس . وكان الحماس قد أخذه فمضى يتدفق بالحديث واختلطت على الأصوات ، لأمر ما أحسست بحب شديد نحو هذا الرجل ، وسلم صاحبنا ومضى ، ومضى أناس وأتى أناس ، وأنا جالس شاخص البصر ، أتأمل هذا الوجه السمح الذى كان يحمل آلاما بلا نهاية . وكان لابد أن أمضى ، فمضيت الى دارى وفى قلبى فرحة وأسى . الفرحة لأننى رأيت بطلا من أبطال مصر والأسى لأننى رأيت هذا البطل موعوكا شاحب الوجه شاكيا من الناس .

ثم قصدت دار صاحبى وطلبت منه أن يحدثنى عن أمين الرافعى ، فتحدث فى حماس متدفق ، وأخرج ملفا فيه كل ما كتب أمين الرافعى ، ومضى يقرأ لى طرفا من هنا وطرفا من هناك . وعدت يومها الى دارى وأنا أشعر باعتزازى بأن أكون أنا من نفس البلد الذى ينتسب اليه أمين الرافعى وسعد زغلول ، على عظيم ما كان بين الرجلين من فوارق وخلافات .

***

فهذا الرجل الجليل عاش لمصر وأحبها ومات فى سبيلها ، كما فعل مصطفى كامل ومحمد فريد . وأمين الرافعى يتميز بأنه لم يكن رجل سياسة ، ومن ثم فهو

لم يعرف حياته أساليب السياسة وما تجلبه معها أحيانا كثيرة من مكاسب وأمجاد . أما أمين الرافعى فقد كان رجلا مستقيما كالسيف : آمن بمصر وتمسك بحقوقها ووهبها نفسه وقلمه ومضى على الطريق طريق الآلام — « أى ايفيا دولوروسا » الى نهايته ، وما كانت أكثر الآلام فى حياة هذا الرجل الكريم الأصيل ! ان الناس يدخلون فى ميدان الصحافة ليشقوا فى البداية ، ثم يسعدوا فى النهاية ، أما أمين الرافعى فقد شقى بالصحافة من البداية الى النهاية ، لأنه كان رجلا عاشقا لهذا البلد الذى يستحق العشق حقا ، والعاشق الصادق لا يسعد أبدا ، فما بالك ، ومعشوقة أمين الرافعى — مصر — كانت تعانى فى أيامه من الآلام ومتاعب الظروف وعدوان الانجليز واستغلال الأسرة الحاكمة ووضاعة أنصارها وخسة أساليبها ، ولم يكن الرافعى كما قلنا رجل سياسة ، فلم يكن قط مستعدا لأن يساوم على ذرة من حقوق مصر ، فكاثره الأعداء وزادوا آلامه ، فظل يخسر الى النهاية ، حتى المال القليل الذى كان لديه أنفقه على جريدة الأخبار ، لا لأنها كانت تخسر ، بل لأنه عندما أعلنت الحماية البريطانية على مصر أغلق الجريدة حتى لا ينشر الخبر فى جريدته ، وكانت السلطة العسكرية الغاشمة قد أمرت بأن تنشر كل الصحف ذلك الخبر . نعم ، أغلق الجريدة وظل يدفع رواتب المحررين والعمال الى النهاية، لأنه أوقف الجريدة بقرار شخصى منه ، فلماذا يتحمل المحررون والعمال نتائج هذا القرار ؟

***

هذا هو الرجل الذى يقص صبرى أبو المجد قصته فى هذا الكتاب البديع الذى أسعد بتقديمه الآن ضمن

سلسلة كتاب الهلال . وهو يروى القصة كأحسن ما تروى القصص ، وعلى أصدق ما يكتب التاريخ توثيقا وتأييدا بالشواهد حينا ، والمحبة حينا ثانيا ، والعلم الواسع بتاريخ مصر الحديث والمعاصر ثالثا ، ولهذا فقد جاء الكتاب ذخرا من ذخائر المكتبة العربية ووثيقة اجلال لمصر وقصيدة حب لها ، وما أكثر ما ينشد صبرى أبو المجد من القصيد فى حب مصر !

الى هنا وأضع القلم ، فقد طال التقديم — أحسب — والقارىء ولا شك مشوق الى أن يقرأ أمين الرافعى بقلم صبرى أبو المجد .

تحية للكتاب وبطل الكتاب ومؤلف الكتاب .

وتحية لمصر تلك الخالدة التى نقول جميعا ، اننا عشاقها ، ولكن أمين الرافعى فى هذا المجال سلطان العاشقين ، ومعذرة لأمين الرافعى أن أصفه هنا بأنه سلطان — ولم يكن يحب السلاطين — ولكن من حق هذا المصرى العظيم أن يكون سلطانا على قلوبنا عندما نذكر الرافعى أمينا .

د . حسين مؤنس

هذا الكتاب وصاحبه
بقلم : عبد الرحمن الرافعي

عندما طلب منى الأستاذ صبرى أبو المجد أن أكتب مقدمة لكتابه القيم عن « أمين الرافعى » ترددت واعتذرت بادىء الأمر ، اذ استشعرت الحرج فى أن أكتب عن أخى الشقيق . لكن الأستاذ صبرى لم يقبل منى هذا الاعتذار ، وحاجنى بأن صلتى بأمين لم تمنعنى من الكتابة عنه فيما أرخت لمصطفى كامل ، ومحمد فريد ، وثورة ١٩١٩ وفى « أعقاب الثورة » . فلم يسعنى بازاء هذه الحجة السليمة الا أن أنزل على رغبته ، وتذكرت ما كتبت فى هذا الصدد تعليقا على نبأ وفاة أمين اذ قلت : « ان أمينا لم يكن أخى فحسب بل ان منزلته كمجاهد فى الحركة القومية تعلو فى نفسى على منزلته كأخ أكبر لى ، ولولا ذلك لما شعرت نحوه بهذا الحب العميق الذى كان يغمرنى فى حياته واستمر على الأعوام بعد وفاته » .

على هذا الاعتبار وبهذه الروح أكتب هذه المقدمة ، أكتبها فى نطاق ضيق وفى خجل واستحياء .

ان الصحافة الوطنية هى ركن من أركان الحركة القومية ، وهى معاصرة لها ، ومتصلة اتصالا وثيقا بتطورها وتقدمها ، ولها الفضل الكبير فى بعث الروح

الوطنية وتثقيف المواطنين وحثهم على المثـــابرة فى الجهاد ، والمساهمة فى أعبائه ، والتطلع الى المثل العليا فى مختلف الميادين : فى السياسة والعــلم والاجتماع والاقتصاد ، فى تربية الاخلاق الفاضلة ، واعداد المواطن الصالح ، وتكوين الرأى العام الناضج الواعى .

والصحف فى الجملة معالم للحركة الوطنية ، ومرآة صادقة لحــوادثها وتطـوراتها الهامة ، ولها فى هــذه النواحى رسالة سامية يحملها جنود الصحافة وأعلامها، وهى رسالة شاقة أحيـــانا وخاصة اذا كانت صحافة عقيدة ومبدأ . فالصحفى ذو العقيدة قد يضطر الى مخاصمة الأقوياء ، وذوى النفوذ والسلطان ، فى سبيل عقيدته ومبدئه ، وقد يواجه صـــدمات لا يتحملها الا المجاهدون الصابرون ، وقد يواجه أحيانا معارضة من الرأى العام اذا اختلف واياه فى مسألة اساسية يرى فيها وجه الحق ، فيدافع عنه على خلاف ما يتجه اليه الرأى العام ، وكم من مرة تخطىء فيها الجماهير وتتنكب سبيل الهدى والرشاد ، ثم ترجع عن خطئها بعد فوات الأوان .

ولقد كان أمين — رحمه الله — من أعلام صحافة المبدأ والعقيدة .. حمل رســـالة الوطنية فى عصر كانت الظروف والملابسات تناهضها ، وتخذلها ، ولا تبشر لها بأى نجاح : خاصم الاحتــلال وهو فى أوج جبروته وطغيانه ، وخاصم القصر حين كان قــويا بتحالفه مع الاحتلال ، وخاصم سياسة الاستسلام للاستعمار حين كانت هذه السياسة ثابتة الدعائم ، قوية الأركان، ينضوى اليها الأفراد والجماعات ويتهافت عليها الأنصار والأعوان

.. جاهد أمين فى هذا الجو الملىء بالأشواك والعقبات ، فاستهدف لكثير من الأذى والعنف والخذلان ، ولم يهن ، ولم يتراجع ولم يتحول عن مبدئه وعقيدته ، واستمر ماضيا فى سبيله حتى وافاه الأجل المحتوم فى الحادية والأربعين من عمره .

ان للصحافة فى مصر والشرق تاريخا جديرا بالتدوين وان تاريخها ليتمثل أكثر ما يتمثل فى تاريخ اعلامها وهؤلاء الشهداء يحملون الفضل الأكبر فى اقامة صرحها ورفعة شأنها ، فمنهم روادها الأولون وهم الذين عبدوا لها طريق النجاح ورسموا لزملائهم صورة رائعة للرسالة الصحفية .. ولئن لم يكن مطلوبا من الصحفيين أن يقلدوهم فى الاستشهاد ، فان حياتهم مع ذلك تظل معينا لا ينضب من الصدق والنزاهة والاخلاص فى القول والعمل ، وهذا وحده يكفى لاستدامة فضلهم وتخليد ذكراهم ..

وهذا الكتاب الذى وضعه الأستاذ صبرى أبو المجد عن أمين الرافعى يحتوى على صفحات من جهاد الصحافة فى سبيل المثل العليا ، وما أدته للبلاد من جليل الخدمات .

والأستاذ صبرى أبو المجد هو خير من يكتب عن أمين ، فهو من حملة رسالته السائرين على نهجه .. ولقد عرفته وتتبعته منذ ان كان طالبا فى كلية الحقوق الى أن تخرج فيها وشق طريقه فى الحياة ، فرأيته فى الطليعة من شباب الوطنية اعتنق مبادئها القويمة وناضل عنها على مر السنين وتعاقب العهود .. ثابر عليها وكرس لها قلمه وانتاجه ولم يتحول عنها رغم ما لهذا

التحول من دوافع ومغريات وضغوط ومؤثرات .. لم تستهوه المنافع الشخصية ولا الشعوذة السياسية ، بل ظل متمسكا بمبادىء الوطنية وتقاليدها السليمة . ولقد أعجبت به من أجل ذلك وشعرت نحـــوه بابوة روحية جعلتني أرجو له دوام التوفيق والنجـــاح فيما هو بسبيله من جهاد خالص لله والوطن .

عبد الرحمن الرافعي

رسالة الصحفي

بقلم : فكري أباظه

تعم : نعم كان صبرى أبو المجد ، وهو يقرر اصدار مؤلفه هذا عن أمين الرافعى ، يؤدى واجبا من أقدس واجباته كوطني مصرى عربى ، وكمؤرخ باحث لا ينسى الأبطال الأبرار ، وكصحفى أمين شريف ، ينشر على زملائه مثلا أعلى للصحفيين الأمناء الشرفاء . وأمين الرافعى كان صحفيا محررا تارة ، وصحفيا مالكا لصحيفة تارة أخرى . ولكنه فى الحالين لم يكن صحفيا يتجه الى رواج صحيفته بالأسلوب التجارى المعروف ، ولا كان صحفيا يرهب بطش الاستعمار البريطانى ، ولا ولى الأمر حاكم البلد ، ولا كل الحكومات التى كانت تستمد سلطانها ونفوذها من الانجليز وعهود الخديوية والسلطنة والملكية .

كان أمين الرافعى صحفيا ذا رسالة وفى سبيل رسالته الوطنية كان قديسا من القديسين ، وكان ضحية وطنية من الضحايا الوطنية المخلصة ... كان اذا اقتضى الأمر .. اعلن حربه الشعواء على كل تلك القوى الانجليزية والخديوية والملكية ، والحكومات الخائفه والمالئة ، ولا يكترث أى اكتراث للاضطهاد والمناوأة والوقف والتعطل والاعتقال والسجن .. كان ايمانه أعلى

وارفع وأقوى من كل هذه القوى مجتمعة .

أذكر ، فيما أذكر ، انه في مناسبات عديدة قضي عليه فيها أن يعتزل الصحافة مضطرا .. عرضت عليه المناصب المغرية ذات الجاه والنفوذ والمرتبات المرتفعة ، فكان يرفض رفضا باتا أن يطأطىء راسه ويقصف قلمه ويتوقف عن أداء رسالته ، هاربا من الميدان الذى اختاره رغم حاجته الملحة الى عصب الحياة وهو المال ، أو قل بعبارة أدق ، الى لقمة العيش ، ورفض مرارا ، أن يحترف المحاماة ، لأنه رأى بعد تجربة قصيرة أن قضاياها لا ترتفع الى المستوى الأخلاقى لقضيته الكبرى وهى قضية الوطنية وقضية الحرية وقضية الجلاء وقضية الاستقلال .

أذكر ، فيما أذكر ، انه عندما تولى رياسة تحرير « الأخبار » باعتبارها لسانا من ألسنة سعد زغلول والوفد ، كانت الأرباح تهطل هطول المطر على خزينة الجريدة . ولكن حينما لمح أمين الرافعى بعض الانحراف وبعض الاعوجاج وبعض التردد ، حمل حملته الصحفية الخالدة مطالبا بتعديل الأساس : أى تعديل برنامج الوفد المصرى فى مطالبه الوطنية الحازمة ، وبالرغم من رجاء الأصدقاء فى أن يخفف الحملة فانه أبى اباء الابن البار لواجبه ورسالته الصحفية فهبط توزيع الجريدة . وكم من مرة جلست الى جواره والحجوزات تترى على المطبعة وأثاث الجريدة ، ومرافقها ، بل على المنزل .. تلك الحجوزات القضائية والادارية التى كانت نذيرا بالافلاس كنت أكثر من مرة بجواره هو ، هو ، هو أمين الرافعى بجلاله وسموه وارتفاعه وايمانه على سجادة الصلاة ..

آمنا مطمئنا .. مؤثرا عبادة ربه على عبادة الأصنام .

نعم هذا الكتاب الذى أصدره صديقى وزميلى صبرى أبو المجد ، بعد رتل طويل من مؤلفاته الوطنية ، هو قمة كتبه ، انه رسالة الصحفى ، المثالى ، النموذجى الى زملائه الصحفيين ، انه دعوة حارة للاقتداء بصاحب هذه الرسالة ، ليكون الصحفى صاحب رسالة ولا يكون جهاز رواج وذيوع لمجرد الرواج والذيوع .

فكرى اباظه

مقدمة

أربعة من أطفال قريتنا زاروا القاهرة لأول مرة فى مناسبة مولد السيدة زينب ، ووقفوا جميعا ، وأنا من بينهم مبهوتين أمام الكتب القديمة الرخيصة المعروضة على أسوار حديقة الأزبكية ، واشترى كل منهم ما يتلاءم وميزانيته الضئيلة من مغامرات « أرسين لوبين » و « حافظ نجيب » ، أما أنا فقد أغرانى كتاب ضخم تزيد صفحاته على السبعمائة صفحة ، فاشتريته بثلاثة قروش (تعريفة) ، ولم أعرف عن هذا الكتاب الا أنه صفقة رابحة لكثرة ما احتوى من صفحات .

وفى القرية — التى خلت من المتعلمين سوانا — بذلت مجهودات مضنية لكى أفك رموز هذا الكتاب ، وأكثر من مرة كنت أحمله الى شجرة الجميز فى نهاية حقلنا الصغير القريب من القرية ، لكى عرف بعض ما فيه ولكى أتباهى أمام الأصدقاء والرفاق بأننى أملك أضخم كتاب فى قريتنا .. وبمرور الزمن أصبح هذا الكتاب رفيق الصبا ، وأصبحت قادرا على أن أفهم بعض ما فيه ، ولست أعدو الحقيقة اذا ما قلت ان شخصية صاحب الكتاب ، قد أسرتنى وجعلتنى أفكر فيها أكثر مما أفكر فى أبى وأمى ، وفى دراستى .. فلقد كان

الـكتاب مجموعة هائلة من العـواطف الرقيقة المخلصة الحانية ، التى أظهرها بصـدق وايمـان مجمـوعة من الـكتاب والشعراء تجاه رجل فقير متواضع ، فـدائى مؤمن ، ترك هذه الدنيا وهو لم يتجاوز بعد الحادية والأربعين من عمره .

ولما لم يكن فى قريتنـــا من يستطيع افهامى ما لم أعرفه ، فقد حملته معى الى « البندر » عندما لم تصبح مدرسة القرية المجاوره لقريتنا كافية لتحقيق طموحى وآمالى ، وفى « البندر » حملت الـكتاب الى مدرس اللغة العربية الذى كان يحبنى ويعطف على ، ويعاملنى كأحد أبنـائه ، ورحب المـدرس بالـكتاب وصـاحبه ووعدنى بأن يشرح لى ما جاء فى هذا الـكتاب . وعندما علم ناظر المدرسة بنبأ الكتاب ، ثار وغضب وأرغى وأزبد واستولى على الـكتاب وصادره .. ومنعنى من أن أقرأ بعض ما فيه ، الا فى وقت الراحة فى الدروس .. وكم كان يلذ ، لى أن أذهب كل « فسحة » الى مكتب « حضرة الناظر » لأقرأ بعض ما فى الكتاب فى الوقت الذى لم يكن فيه المدرسون قادرون على دخول مكتب الناظر الا بعد استئذان !!

وأنقذنى مدرسى من المشكلة ، عندماأعطانىنسخةأخرى من الـكتاب ، طالبا منى أن أقرأها فى بيتنا لانه رأى الناظر يضيق ذرعا حين أذهب الى مكتبه ، لأقـرأ بعض الـكتاب ، ولأنه خشى أن يفصلنى الناظر الـذى كان ينتمى الى حزب كان يعاديه أمين الرافعى ، ولاول مرة بدأت أشغل نفسى بما يسمى بالأحزاب وبالخلافات التى بين هذه الأحـزاب .. كل ذلك ولم أكن قد جاوزت الثالثة عشرة من عمرى .

وذات مرة امسكت القلم ورحت اكتب بضعة أسطر بلغة بسيطة متواضعة للغاية عن أمين الرافعي بمناسبة قرب ذكراه فى ٢٩ ديسمبر ولم اتردد فى أن أرسل هذه السطور الى رئيس تحرير « الأهرام » فانا لم ار فى حياتى من الجرائد اليومية الا صحيفة « الأهرام » التى كان يشتريها عم الشيخ رمضان كل يوم من قطار الدلتا الذى يمر بقريتنا ، وكانت هذه النسخة الوحيدة التى تدخل القرية تمر على العمدة والمشايخ وبعض الذين يعرفون القراءة والكتابة وبعد ذلك بشهور تقريبا ، كان يمكن لبعض الأطفال مثلى استعارتها من عم الشيخ رمضان .. ودفعت قرش تعريفة ثمنا لطابع البريد ، وحملت الخطاب بنفسى الى المحطة حيث سلمته مباشرة الى عامل البريد فى القطار الذاهب الى البندر وجلست أنتظر .. واكثر من مرة كان الندم ينتابنى من أجل ضياع قرش التعريفة ، ومن أجل الوهم الذى سيطر على ، اذ كيف أطمع وأنا الطفل القروى الساذج فى أن ارى اسمى منشورا فى صحيفة يومية .. وذات يوم نادانى عم الشيخ رمضان — رحمه الله — ليسألنى، ان كان الاسم المنشور فى « الأهرام » يوم ٢٩ ديسمبر هو اسمى أم هى المصادفة ؟ وأطلعنى على اسمى مطبوعا لأول مرة فى الأهرام .. وعلمت فيما بعد ان الزميل الكبير محمد نجيب ، وهو من تلاميذ الرافعى ، قد نقح الكلمة ونشرها على رأس عمود وفى مكان بارز ، وكان طبعا لا يعرفنى ، وذلك بعد أن قدملها بالعبارة التالية « تلقينا من الأديب فلان كلمة قال فيها » . وكدت أقبل الصحيفة وأقبل عم رمضان فى الوقت ذاته ، فقد كان هذا الذى بين يدى أجمل ما تلقيته فى حياتى من هدايا .

وكانت القصة ، قصة الكلمة المنشورة فى الأهرام ، حديث قريتنا ومدرستنا فى البندر لأيام عديدة وكانت نقطة تحول فى تاريخ حياتى .. ومضت الأيام وكلما كبرت ، كبر معى حبى لأمين الرافعى ، وكلما نما تفكيرى زاد فى الوقت ذاته اعجابى به .. وتطور الحب والاعجاب الى حد دعانى الى أن أقيم وأنا الذى لم أتجاوز السادسة عشرة من عمرى حفل تأبين لصاحب الكتاب فى مدينة المنصورة وفى جمعية « المساعى المشكورة » بالذات بعد أن شملنى برعايته وعنايته رئيس هذه الجمعية وأحد أقطاب الفدائية الوطنية الدكتور عبد الغفار متولى ، وتلقيت يومها كتاب اعتذار عن عدم الحضور من عبد الرحمن الرافعى شقيق صاحب الكتاب « أمين الرافعى » واستدعانى رجال الشرطة .. فقد كنا فى وقت الحرب وكان ممنوعا اقامة الاحتفالات الا باذن خاص ، وكان تحقيق ، وكان سجن لم يستغرق أكثر من ليلة ، وكانت علقة ساخنة لا تزال آثارها باقية فى جسدى حتى الآن ، ومن سوء حظى ان الخطاب الذى أرسله الى الاستاذ عبد الرحمن الرافعى ، كان أحد الادلة التى استند اليها رجال الشرطة عندما قبض على فى قضية اغتيال المرحوم أحمد ماهر سنة ١٩٤٥ . وقد حاول البوليس السياسى الربط بين هذا الخطاب وبين وجود صلة بينى وبين محمود العيسوى ـ قاتل أحمد ماهر ـ الذى كان يعمل فى مكتب عبد الرحمن الرافعى. وبقيت فى السجن بسبب هذا الكتاب أكثر من سبعة شهور غير شهور الاعتقال فى « جبسخانة » قسم روض الفرج ولم يستطع ذلك كله ، ان يقلل من حبى لأمين الرافعى ومن كثرة ترددى على شقيقه عبد الرحمن

الذى اتخذته بعد ان انتقلت الى القاهرة لادرس الحقوق فى جامعة القاهرة أبا روحيا بكل ما فى الأبوة الروحية من معان ، ولست بمستطيع القول بأننى قد تخلصت من سيطرة أمين الرافعى على جوارحى واحساسى حتى عندما قررت الاشتغال بالصحافة ،وقيل لى ان لك مبلغا من المال فى خزينة الدار، التى أعمل بها، رفضت الذهاب الى الخزينة لتسلم المبلغ لانى لم أتصور ان كاتبا يأخذ أجرا لقاء ما يكتبه

ومنذ حوالى عشر سنوات رغبت فى أن أكتب عن الانسان الذى أحببته الى حد التقديس ، واعجبت به اعجابا ما بعده اعجاب ، ولكنى أحسست برهبة الموقف فان الرجل لم أره بل لم أسمع عنه الا القليل النادر . فكيف اذن أكتب عنه كتابا ؟! وأنا لا أستطيع أن أكتب الا اذا كان الموضوع الذى أكتب عنه مستوفيا كل شرائطه ومستلزماته . وحملت رغبتى الحارة هذه الى أستاذنا عبد الرحمن الرافعى – طيب الله ثراه – وجلس الرجل كعادته يسمع فى هدوء ، وأنا أروى له هدفى من اخراج هذا الكتاب ، فأنا لا أريد اسباغ نوع من البطولة على فرد ، وانما أريد أن أعطى مثلا للشعب .. وأنا لا أريد أن أعيش فى متاحف التاريخ لأبحث عن بقايا الموتى ، وانما أريد أن أقوم بواجب تجاه أنفسنا قبل ان اقوم به تجاه شهيدنا الرافعى .. ولم يستطع عبد الرحمن الرافعى ، الا أن يرحب بفكرتى والخجل يغلف كل كلمة من كلماته ، وكل خلجة من خلجاته، كأنما كان الرافعى ينتظر مثل هذه اللحظة لأن الرجل الذى أخذ على عاتقه كتابة تاريخنا القومى بأحداثه الكبرى ، وأعلامه الأفذاذ ، لم يستطع أن يقوم

بواجبـه نحو أعز الناس اليه . لقد أرخ لمصطفى كامل ومحمد فريد ، ولم يستطع أن يؤرخ لثالث الثلاثة أمين الرافعى لأنه شقيقه . لقد كان يشعر بمنتهى الحرج فى أن يكتب عن شقيقه !! ودفع الى عبد الرحمن الرافعى بكل ما خلفـه شقيقه من كتب ومذكرات وخطابات ومقالات وصور ، قائلا : « قد يكون ذلك كله عونا لك على أداء مهمتك وقد يعوضك عن النقص الذى تحس به وانت تكتب عن رجل لم تره » . ووجـدت أمينا كعبد الرحمن يحتفظ بكل صغيرة وكبـيرة من أوراقه وخطابات الناس اليه بل مسودات الخطـابات التى كان يرسلها الى أصدقائه وزملائه ومريديه ، ففى مخلفـاته مثلا : ايصالات الخطابات المسجلة التى كان يرسلهـا وبطاقات الانتخابات الخاصة به وتذاكر الحفلات التى كان يدعى اليها وبطاقات المعايدة التى كانت تصـل اليه ، والمقالات التى كان يرسلها بعض القراء اليه فينشرها ، أو لا ينشرها . وفى هذه المخلفات كذلك كل ما يتعلق بالقضية المصرية من مذكرات ، ووثائق من بينهـا خطابات من سعد ، وثروت ، والصوفانى وحاكم البحرين وكمـال أتاتورك ، وعصمت اينونو ومدام جوليت آدم وبيير لوتى الـكاتب الفرنسى المعروف وغيرهم وغيرهم .. وجدت مثلا — ضمن أوراق الرافعى — سهما قيمته جنيها مصريا . « جزء من أربعة آلاف سهم صافى الايراد السنوى لجريدة الدستور » ووجدت سندا بمبلغ ٥٠٠ مليم « ايصال رسم دخول شركة التعاون المالى التجارية بالقاهرة » (١٩١٣) ووجدت أيضا «استمارة استعارة» تحمل اسمه من الكتبخانة الخديوية بتاريخ ١٩٠٨/٢/١٥ تحت ضـمانة المسيو هنرى لامبا المدرس « بمدرسة

الحقوق الخديوية » ودعوة من محافظة القاهرة بتاريخ ١٩١٤/٢/١٧ لحضور جلسة « بيع الاراضى المرغوب نزع ملكيتها من ملك نادي المدارس العليا بشارع المبتديان لتوسيع مدرسة دار العلوم » وخطابا من نقابة عمال الصنائع اليدوية بعمارة الأوقاف الجديدة بالعتبة الخضراء تخبره فيه « باختياره عضوا بمجلس الادارة لما عهد فيه من تعضيد الاعمال الخيرية » !! ووجدت خطابات سرية عديدة ، ضمن ما تركه أمين الرافعي ، تدل على المكانة التى وصل اليها وما كان يتمتع به من ثقة تامة لدى خصومه وانصاره على السواء . مثلا خطاب للأستاذ وحيد الدين الأيوبى صاحب الكلمة المعروفة « تلك الأهرام ويغور النيل ولا نرى تمثالا لاسماعيل » يقول فيه : « أقسم بشرفى انى لم أقابل توفيق نسيم باشا منذ توليه رياسة الديوان الملكى الى هذه الساعة ، ولم أر حسن نشأت بك قبل تعيينه بالسراى الى الآن ، غير مرتين مصادفة ، أولاهما بمحل « صولت » حيث كان معى بهى الدين بركات « بك » والدكتور الجندى وغيرهما ، وثانيتهما بمنزل الدكتور الجندى فى ظهر يوم كنت مدعوا فيه عنده لتناول الطعام وكان معنا الأستاذ البيلى ولم يتعد حديثى مع حسن بك قولى له : انه شائع ان جلالة الملك لا يريد أن يمنح البلد دستورا وانى أعتقد ان ذلك مقصود منه ايجاد ما ينفر الأمة من جلالته . فنفى حسن بك الاشاعة وانتهى الحديث ، وانى يا حضرة الصديق أردت أن أبين لك ما تقدم ازاء ما ظننت فى مما جعلك تسمينى نصير الوزارة لانى فى الحقيقة لست نصيرا للملك أو وزير بل انى نصير لاعتقادى وحده » .

وينهى وحيد الأيوبى خطابه بقوله : « أريد أن أقسم لك بشرفى بأنى لم أدخل سراى عابدين ولا أية سراية سلطانية أو ملكية غير سراى هليوبوليس ، لتعزية الامير كمال الدين فى موت أبيه الى هذه الساعة من يوم زرت فيه بالسراى محمود شـــكرى باشا الذى كان رئيسا للديوان العالى ، وكان ذلك فى عهد السلطان لأوصيه برجل كان مقدما طلبا لوظيفة صراف » .

ويكتب سعد زغلول الى أمين الرافعى فى ٢٤ يناير ١٩٢٠ من باريس قائلا : أشكر مع اخوانى حضرتكم على عبارات الثناء التى وجهتموها لنا فى خطابكم وما الفضل فى موجب هذا الثناء الا للأمة التى عضدتنا باتحادها وتضامن أفرادها وتفانيها فى حب الاستقلال وآتيانها كل يوم بآية من آيات الرقى الاجتماعى ومعجزة من معجزات التقدم فى السياسة ، حتى بهرت العـالم بنهضتها ، وبهتت الخصوم بحسن تصرفها ، فأعلت حقها وأسقطت باطلهم ، واننا نقدم لهـا أوفر تشكراتنا لاتحادها على توكيلنا ، واجماعها على الامتناع عن المفاوضة الا بواسطتنا ونعتبر هذه الثقة الاجتماعية أجل نعمة أسبغها الله علينا وأكبر شرف تتحلى به نفوسنا ، كما نعتبر ان الواجب الذى يفرضه هذا الشرف علينا وتلزمنا تلك الثقة بالوفاء به ، هو أكبر واجب تتحمله أمة فى العالم ، ندعو الله ان يوفقنا للقيام به وان تؤكـدوا لمن يحملهم فرط الحب لبلادهم على شىء من التظنن بالعاملين أن يعلموا ان هؤلاء أحرص الناس على مصلحتها ولا يعملون الا لهذه المصلحة طوعا لسلطان ايمانهم واجابة لنداء شعورهم ولا يتأثرون بأى مؤثر يثنيهم عن الوفاء بعهدهم والعدول عن المطلب الأسمى ، الذى نادوا به من تلقاء نفوسهم وجعلوه غاية لسعيهم وهو مطلب الاستقلال التام » .

ويمضى سعد زغلول فى خطابه الذى ننشره هنا لأول مرة قائلا : « ان القوة النفسية ، التى دفعتهم للمبادأة به وسيوف الحماية مشهورة فـــوق رءوسهم وسهام الأحكام العرفية مصوبة نحو صدورهم لم تزدهم الا شدة بالتفاف الأمة حولهم ، وتعضيدها لهم ؛ وما دام هـــذا الاتحـــاد قائما فلا يمس الضعف عزائمهم ، وما دام هذا الثبات راسخا فالنجاح مؤكد باذن الله » . ويضع سعد زغلول حاشية لخطابه فيها : « نرسل اليكم الأوراق التى طلبتموها على الطريقة التى ذكرتموها . ولقد احسنتم فى المعلومات التى أفضيتم بها الى مكاتبى الجرائد عندكم وقد كتبنا منذ بضعة أيام جوابا على تقرير اللجنة ـــ لجنة ملنر ـــ وتجدون فيه تفصيلات عن رأينا فى بلاغ ملنر ، وهى تسركم وتسر الأمة جميعا » .

ومن بين مخلفات أمين الرافعى رســـالة من اسماعيل أباظه باشا صادر من بردين بتاريخ ١٩٢٠/١/١ يقول فيهـــا « أدعوك لأن تضم صوتك المسموع الى صوت رجائى لحضرة صاحب الرســـالة التى نشرت بجريدة الاجبشيان ميل وظهـــر تعريبها بجريدة الاهرام واليوم (الجمعة) بأن نزيد « الأوروباويين » وخصوصا الانجليز بيانا عن حركتنا الوطنية التى ان تجاهلوها فلا تقوم لنا حجة على تجاهلهم لها الا اذا خاطبناهم بلغتهم . وأن تضم تفانيك فى خدمة الوطن الى غيرتك عليـــه ، وتبحث معا عمن يجيد الكتابة باللغة الانجليزية ، لنتمكن من شرح قضيتنا بالجرائد الانجليزية حتى لا يبقى لمتجاهل عذر فى تشويه حركتنا الحالية » .

ويمضى اسماعيل أباظه فى خطابه قائلا : « أرجو ألا تمل الـكتابة ولا تسأم من تشجيع غيرك على الـكتابة

فى الحيلولة بين الأمة وبين تهافتها على البلاغ الذى أصدره اللورد ملنر ، فالحــذار من هذه المناورة التى ان استعملنا فيها ما اعتدنا من التسامح القديم أضعنا كل ما ضحينا به من عرض ومال ودماء ، والحذار الحذار من التخاطب مع فخامته بأى نوع كان وتحت أى ستار كان ، الا اذا تعزز هذا البــلاغ ببلاغ آخر من البرلمان الانجليزى يجاهر فيه باستقلال مصر استقلالا تاما » .

وبين مخلفات الرافعي رســالة من الأستاذ سامي نجيب المحامي يعتذر فيها للرافعى عن سؤاله عن مقالة سوف تنشر فى الأخبار ، وكان من رأى الرافعى ان المقالة قبل النشر ملك للجريدة وملك لصاحبها أما بعد النشر فهى ملك للرأى العام ، وقال الأستاذ سامى نجيب (٧ نوفمبر ١٩٢٣) « لم أشعر فى حياتى بألم بل بخجل كالذى اعترانى وأنا متشرف بزيارتكم اليوم وذلك للخاطر البعيد جداً ، عن تفكيرى ، والذى مر بكم وعلم الله لولا احترام خاص لشخصكم وتقدير ممتـــاز لكل ما يكتب فى صحيفتكم الغراء ، ولولا ان أخلاقكم الدمثة المتواضعة ذائع أمرها شائع ذكرها ، بل الزمالة ولو بغير صــداقة خاصة ، لولا هذا كله ما سمحت لنفسى مطلقا أن أسعى للتشرف بزيارتكم رجاء الحادثة فى مسألة قانونية هى الآن شغل الوزارة المطروح أمامها تظــلم بعض الموظفين المرشحين .. سعيت اليكم راجيا سماحكم باطلاعى على مقالة سمعت أنهــا ستنشر فى صحيفتكم بهذا الصدد ولم يك يدور بخلدى أبدا ، أنكم بحسن تقديركم المشهور تفسرون رجائى هذا بحق أدعيه أو رقابة أزعمها » .

على انى لم أكتف بالوثائق التى عثرت عليها ضــمن مخلفات الرافعي كأنوار تضيء لى الطريق ، بل سعيت

مرارا وتكرارا الى الكثير ممن زاملوا أمين الرافعى وتشرفوا بصداقته وأعجبوا ـ جميعا ـ بشخصيته . قال لى الاستاذ عبد الوهاب على من كبار صحفيي الاسكندرية ومن خيرة من عملوا مع أمين الرافعى ومن الذين ظلوا طوال حياتهم يذكرونه بالخير دائما : « عملت مع أمين الرافعى وموارد الأخبار المالية تفوق فى ارتفاعها كل مقال ، وبقيت معه حتى ذوت تلك الموارد وذوت معها الأخبار على ما أراد لها الاستعمار وعملاؤه ولم يهن الرجل ولم يحزن ولم يقل لقد طال المدى ، وكان يعمل فى الأخبار وهى تطبع من الأعداد المئات من النسخ .. كما كان يعمل وهى توشك أن تصل الى المائة ألف نسخة فى توزيعها اليومى ، لأنه كان يعمل فى كلتا الحالتين بعقيدة راسخة ظل يشرع قلمه للذود عنها » .

ويروى عبد الوهاب على قصة كان هو بطلها وكان لها أثرها البالغ فى نفسه ، اذ أكدت له ان الصحفى مهما تكن ظروف العمل لا يليق به أن يعتمد فى أخباره على مصادر العدو .. قال عبد الوهاب على : « كنت أسهر مع نفر من أصدقائى ذات مساء وكان ذلك فى الصيف ، والمندوب السامى وموظفو داره يقيمون فى مصيفهم برمل الاسكندرية ، فجاءنى رجل من الذين كان ينم ظاهرهم عن الاشتغال بالحركة الوطنية وقال لى : ان لقراء الأخبار عليك حق فى أن توافيهم بأنباء حوادث السودان .

فقلت له : وهل أنا مقيم بالسودان ؟ ثم كيف أرجو الحصول على أنباء هذه الحوادث حتى لو نزحت الى السودان وهى كما تعلم محمية المصادر والموارد ، ودون

الحصول عليها اهوال واهوال ! فتبسم صاحبى عن خبث وقال : ولكن زملاءك من الصحفيين الحريصين على واجبهم يسارعون الى تلقيهـا من دار المندوب السامى فى مصطفى باشا فهلا احتذيت حذوهم حتى لا يشوب عملك نقص من بعض نواحيه .

قال هذا ثم مضى ولم أره .

ولعل أشد ما يلوى من قناتنا معاشر الصحفيين ان نتهم بالقصور فى أداء الواجب فى وقت يفنى فيه المرء منا فى هـذا الواجب . وقـد ، لدغتنى كلمات صاحبى فذهبت صبيحة اليوم التالى الى دار المندوب السامى بغية الحصول على أنباء السودان قبل أن تذيعها البلاغات الرسمية التى كثيرا ما كانت تأخذ اجراءات طويلة يكون بعض الزملاء قد نقلوا كثيرا من معـلوماتهم وأذاعوها جملة أو تفصيلا على سبيل الرواية أو الشـائعة قبل اذاعتها بصورة رسمية .

قدمت بطاقتى الى السكرتير الشرقى بهـا ، وعلى الرغم من ان الكثيرين كانوا ينتظـرون قبلى فقد اذن بالمقابلة بعد دقيقتين اثنتين .

وتلقانى السكرتير ، على باب الغرفة بالبشر والترحاب، وبعد أن أطرى أمينا ونوه بشرف خصومته وعفة قلمه ولسانه على الرغم من مرارتهما ، سألنى عن الغـرض من زيارتى فلخصت له القصة كما أفهمنى اياها صاحبى أمس فقال السكرتير بلغة المستشرقين العربية :

— اذن أنت تريد أخبارا ؟

— نعم ..

— ولكنك مراسل جريدة خصيمة عنيدة تتهم الانجليز

« بأنهم كلاب قـذرة » ونحن لا نعطى هـذه الأخبار الا للصحف الموالية لنا والتى لا تتهمنا بما ليس فينا » .

ثم كشر السكرتير عن نابه وظهرت عليه امارات الغضب ودق الجرس فوافاه أحد السـكرتيرين فقـال له بالانجليزية الى بالدوسيه رقم كذا .. ولما وافاه به استخرج عددا من « الأخبار » صدر قبل هذه المقابلة بيومين كتب الأستاذ المازنى افتتاحيته بقلم من نار ، وفى هذه الافتتاحية عبارة يفهم منها ما قصده السكرتير من كلمتى « كلاب قذرون » ثم قال : هل لك وقد جئت الى دارنا ان تبلغ الأستاذ الرافعى أن هذه العبـارة تستحق الاعتذار حتى لا تتعرض الأخبار للمحاكمة ؟ انك ان فعلت ذلك ، وسحبت الاخبار هذه العبارة فانى سأساويك بزملائك فى الأنباء » .

ثم افترقنا . وقد فهمت بعد ذلك ان هذه المقابلة قد دبرت ليقول لى السكرتير ما قال . ولكنى مع ذلك بلغت المرحوم الرافعى بك بما جرى فى كتـاب خاص كتبت عليه « غير قـابل للنشر » . وما راعنى الا أن صدرت الأخبار فى المساء ، وجعلت هذا الكتاب موضوعها وكتب عنه الأسـتاذ المازنى فى افتتاحية الصفحة الأولى .

وكتب المرحوم أمين فى افتتاحية الحوادث يقول : « ان الانجليز يرون فى الـكلمات شيئا يستحق المحاكمة ولا يرون فى ضرب الأبرياء الآمنين السودانيين ما يستحق المؤاخذة » .

واستمرت الحملة بضعة أيام سكتت فيها دار المندوب السامى ، وسكت ، لقد كان هذا الرجل العظيم يرى أن

الحصول على الأخبار الصحفية من الخصوم عمل يجب أن يتعفف عنه المصرى الأمين .

وقال لى الأستاذ محمد نجيب وهو من خيرة الصحفيين الوطنيين « فى خلال نفى سعد زغلول ورفاقه الى مالطه ، كان أمين الرافعى هو مسئول لجنة الوفد المركزية وكان الرجل شعلة من النشاط لا مثيل لها اتصالات مستمرة بلجان الوفد ، استقبالات طويلة لوفود الشباب والطلاب ، لقاءات سرية مع الفدائيين ، أحاديث تفيض وطنية وذكاء باللغات الأجنبية مع مراسلى الصحف الاجنبية الذين كانوا يصرون على مقابلة أمين الرافعى ، لأنه أقدر الناس على فهم رسالتهم ، ولأنه أصدق الناس معهم ، ولأنه فى الوقت ذاته ، أبعد رجال الوفد ، نظرا وأوسعهم ادراكا ، وأكثرهم دراية بالسياسة الدولية ، والى جانب ذلك كان أمين لا ينسى أن يكتب فى آخر الليل مقالة أو اثنتين أو ثلاث مقالات لا يضع اسمه الا على واحدة منها ، أما الباقى فيتركه بلا امضاء .. وكانت هذه المقالات كلها — وخاصة تلك التى أعقبت ثورة سنة ١٩١٩ — تستهدف انارة الطريق أمام الشعب وتوجيهه الى أساليب الكفاح الجدية ، السليمة . ورغم ما كان يقوم به أمين كل يوم من أعمال كنا اذا قلنا له « انك تجهد نفسك » ، أجاب باسما : « أنا أحاول ان أعمل ، أننى لم أقم بما يجب عمله » ..

ويقول رفيق جهاده أحمد وفيق : « كافح أمين فى سبيل دستور أمته ، فكان أكبر أستاذ لها حتى عرفته وطالبت به وحصلت عليه ، وجاهد أمين ساعة أن افتقدته وهداها اليه حتى حصلت عليه ، ومع هذا ترفع وترفع حتى ان يكون ضمن نوابه ، وما كان ترفع أمين

عن النيابة استهانة بها وهو موجدها ولكنه لم يكن يطمع فى شيء من ميزاتها المادية والادبية ، بل كان يؤثر العمل فى الميدان الصحفى ، على العمل فى الميدان النيابى لأن الميدان الصحفى أشمل وأعم » .

وأسمع من الشيخ محمد عبد اللطيف دراز ـ أحد الذين صادقوا أمينا : « دخلت دار الاخبار بميدان الازهار فوجدت مجموعات من الشباب الثائرين يصخبون ويهتفون ضد أمين بل يهددونه بايقاع الاذى به ، اذا ظل مستمسكا برأيه فى أمر المفاوضات ، ووجدت أمين الرافعى يجيب هذه الألوف من الشباب الغاضب فى حماسة رزينة وشجاعة مؤدبة قائلا : ان لكم أن تحطموا مكتبى هذا وتدمروا الجريدة كلها ، وان لكم أن تحطموا دارى أيضا ، وان لكم أن تقتلونى وأن تهددوا أسرتى ولكننى أريد أن أريحكم من الآن : اذا كنتم تفهمون ان هذا من شأنه أن يحولنى عن عقيدتى أو رأيى ، فانه ليس فى استطاعة أى قوة فى الوجود أن تحولنى عن عقيدتى الا قوة الدليل وسلطان الحجة » .

وتسمر القوم ، وبهتوا وبدأوا يتراجعون ، كأنما ألقى عليهم الماء البارد ، وذهبوا الى من أرسلوهم لتهديد أمين وايذائه متحدثين عن شجاعة الرجل ، وثباته ، وايمانه ، واستعداده للتضحية بكل شيء فى سبيل مبدئه . واقتنع كثيرون من هؤلاء الشباب ـ فيما بعد ـ بالرأى الذى كان يراه أمين » .

أما الشيخ عبد العزيز جاويش فيقول عن أمين الرافعى : « عندما زار مصر مستر فلنتين شيرول ـ مندوب جريدة التايمز البريطانية ـ لاجراء تحقيق عن

الاحوال فى مصر ، قبل مجيء لجنـــة ملنر ، طلب من صديقه الدكتور فارس نمر أن يعرفه باثنين أو ثلاثة من دارسي القضية المصرية ، للاستفادة من معـلوماتهم عن حقيقة هذه القضية وتطوراتها ، واختار فارس نمر ، أمين الرافعى — رغم الخصومة السياسية بينهما — وترك لأمين حرية اختيار اثنين آخرين للقاء فلنتين شيرول . وبعد اللقاء قال شيرول لفارس نمر : اننى أشكرك لانك عرفتنى بأمين الرافعى ، فهـو من قدر المتحـدثين فى السياسة المصرية والدولية ، ومن أكثـــرهم وأوسعهم اطلاعا ، وايمانا بما يقول ..

وأضاف شيرول : لقد اقنعنى الرافعى برأيه ولهذا فسأتولى الدفاع عن وجهة النظـر المصرية فى انجلترا ذاتها » .

ويقول الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى : « لم يكن للعوامل الشخصية دخل فى حساب أمين ، وما كان يناصر أو يخالف مدفوعا بحب زيد ، أو بغض عمرو ، بل بما يعتقـد انه الحق ، والاولى والاجلب للخير ، والاكفـل لضمان الغاية فى الحركة الوطنية .. وما أيد أو خاصم ، الا فى الله والوطن . وكان اذا اقتنع برأى ألقى بين عينيه همه وأعرض عن ذكر العواقب جانبا . وكم جر عليه ذلك من هموم وعلل وأوصاب لم يخفها جميعا ولا جعل باله اليها . ولقـــد رزىء فى نفسه وأهله وولده الذى كان قرة عينه ، وتضعضع كيانه ، وانهد بنيانه ولـكن ايمانه بقى له سليما . وصبره موفورا وعزيمته ماضية . وكم نصحنا له أن يترفق بنفسه ويبقى عليها فما استمع الى أحد منا بل مضى على نهجه لا يحيد عنه يمنة ولا يسرة ، حتى اختاره الله الى جواره ، ولم يكن

مع صلابة نفسه ، الا مثالا للدعة والدماثة ورقة الحاشية والحياء والأدب الجم . ولقد عاونته فى تحرير الاخبار من يوم أصدارها الى أن ضم اليها « اللواء المصرى » ، فما أذكـــر انه كلفنى عملا أو طلب منى الـكتابة فى موضوع ، أو حال بينى وبين حريتى فى الاختيار وكان دائم التشجيع لى والترفق بى والصبر على ولم يكن من النادر أن يعفينى عن العمل ويريحنى من مواصلة الكتابة لاستجم ، على حين لم يكن هو مترفقا بنفسه ، كان يقــدمنى على نفســه ويؤثرنى بالرعاية . ورقت حالة الاخبار فكان يعطينى ويحرم نفسه ، وكان يتعهدنى ويبرنى حتى بعد أن تركت الاخبار ونأت بى عنه الى حد ما ، مشاغل الحياة وصروف الايام » .

ويمضي المازنى قائلا : « لقد كان الرافعى فى حياته الصحفية كما كان فى حياته السياسية لا يؤمن بالتسامح والتفريط ، فكانت الجريدة التى يتولى تحريرها مظهرا دقيقا لسيرته وسياسته وخلقــه لا ينبو فيها حرف عن الغاية التى اتخذها ، ولا تشذ كلمــة عن الدائرة التى رسمها ، وكان يقرأ كل حرف ويراجع حتى الاعلانات ولا يأذن أن ينشر فيها ما يخالف رأيه ومذهبه وعقيدته كائنا من كان الكاتب وبالغا ما بلغ . وقد ظلت الأخبــار منذ صدورها الى أن اختــاره الله الى جواره لا تنشر اعلانا عن بضاعة انجليزية أو عن الخمور . واذكر ان أصحاب الصحف اجتمعوا عنده يوما وأرادوا أن يتفقوا معه على قبول الاعلانات عن البضائع الانجليزية وكانت هذه الصحف قد كفت بضعة شهور على اثر ما أعلنه الوفد ، ودعا اليه من المقاطعة عقب نفى سعد زغلول باشا الى سيشيل ، فأبى كل الاباء ومضى هو فى طــــريقه

وساروا هم فى طريقهم ولم تكن حالة الاخبار حسنة ولا مطمئنة وربما ورد مع البريد شيك بمبلغ ضخم من متجر بريطاني ومعه الاعلان ، فكان رحمه الله يكلفني أن أكتب له رسالة بالانجليزية أرد بها الشيك وأبلغ المتجر ان الاخبار ، لا تنشر اعلانات عن بضائع انجليزية ، وكذلك كان مسلكه فيما يتعلق بالاعلانات عن الخمور » .

لقـد كانت شخصية امين الرافعى من الشخصيات النـادرة التى لعبت دورا هاما فى تاريخنا الصحفى والوطنى والسياسى ، كان أمين الرافعى نموذجا فريدا للصحفى المؤمن برسالته ، منذ ان خط أول حرف فى الصحافة الى اليوم الذى لقى فيه ربه .

ولم يكن الرافعى طول حياته يعادى فى السياسة الداخلية شيئا كما يعادى الحزبية ، اذ كان يرى ان الحزبية الضيقة الأفق هى الداء العضال الذى أوجده الاحتلال البريطانى ، فى قلب مصر ليمزق شمل وحدتها وليزرع الحقد فى نفوس أبنائها ، ولم يكن الحـزب الوطنى — فى رأيه — حزبا سياسيا بالمعنى المتعارف عليه بل كان تجمعا وطنيا ، يضم جميع أبناء الشعب ، وكل خارج على هذا التجمع يعتبر خارجا على ارادة الأمة ، ومع ذلك فقد اختلف أمين الرافعى مع أعضاء اللجنـة الادارية للحـزب الوطنى واستقال من رئاسة تحرير جريدة « العلم » التى كانت تنطق باسم الحزب وأنشأ صحيفة « الشعب » لتكون لسانا يعبر عن الحـزب الوطنى ، ولم ير زملاؤه فى عمله هذا شيئا غريبا .. لأن أمينا فى كل ما يكتب لم يكن يستوحى الا المبادىء الوطنية السليمة الصادقة .

وقد أيد أمين الرافعي ، الوفـــد المصرى فى بداية انشائه وعمل تحت لوائه فترة من الزمن — دون أن يخرج من الحزب الوطنى — وعندما اختلف مع الوفد ، حول تعديل أساس المفاوضة مع بريطانيا ، ظل وحده يدعو بكل قوة الى رأيه ، بالرغم من محاربة الوفد له بكل الوسائل ، ومع ذلك عندما نفى سعد زغلول زعيم الوفد للمرة الثانية كان صوت أمين الرافعي أعلى الأصــوات دفاعا عن سعد ، ومطالبة بالافراج عنه ، فلما عاد سعد من المنفى رحب به ودعا الناس الى الترحيب به ثم اختلف مع سعد فيما بعد ، وعندما دعا رئيس الوفـد الشعب الى مقاطعة الأخبار وعـدم قراءتها لأنه يقرؤها نيابة عنه ، وانخفض توزيع الأخبار من ٦٠ الف نسخة الى ما يقرب من الف نسخة لامتناع موزعى الصحف عن توزيع الأخبـــار ، لم يتراجع بل واصل هجومه على سياسة الوفد . وعندما انطلقت المظاهرات المسلحة تهاجم صحيفة الاخبار وتهاجم صاحبها فى بيته للتخلص منه ومن أسرته والعاملين معه ، لم يتراجع بل استمر فى خطته المعارضة للوفد بـكل قوة وحماسة واندفـاع ، وعندما حاولت القوى الاستعمارية الحيلولة بين الوفد وبين الحكم بعد ان حصل الوفـد على الاغلبية فى أول انتخابات (١٩٢٤) انطلق صوت الرافعى ينادى بأن من حق الوفد أن يحكم ما دام قد حصل على الغالبية فى الانتخابات : لقد كان الرافعى مع الحق دائما حتى لو كان الحق فى جانب خصـــومه الـذين شرعوا فى اغتياله .

واذ عارض أمين الرافعى الخــديو عبـاس حلمى الثانى معارضة عنيفة واستقال من رئاسة تحــرير

« العلم » عندما أحس بوجود تقارب بين بعض أعضاء اللجنة الادارية للحزب — بعد مغادرة محمد فريد مصر — وبين الخديو . وانتقد أمين الرافعى ، الخديو عباس أكثر من مرة انتقادا مرا وخاصة فيما يتعلق بأحاديث الخديو مع مراسلى الصحف الأجنبية والتقائه مع عميدى الاحتلال البريطاني جورست وكتشنر .. فقد حارب السلطان أحمد فؤاد ، عندما كان سلطانا ، وحاربه عندما أصبح ملكا ، وعندما كانت لجنة الدستور تؤدى عملها وكان أحمد فؤاد يتدخل فى أعمال هذه اللجنة ، نشر الرافعى سلسلة من المقالات دعا فيها الى تأليف جمعية وطنية منتخبة من الشعب ، لاعداد الدستور ، حتى لا يكون الدستور منحة من الملك ، وحتى يكون الدستور نابعا من الارادة الشعبية التى تفرض نفسها على الملك ، وبعد أن تألفت لجنة الدستور على غير ما أراد الرافعى ، نشر الرافعى سلسلة من المقالات عن حقوق الملك وواجباته وضرورة تقييد سلطة الملك ومنعه من أى تصرف بحيث « يملك ولا يحكم » وعندما سافر الملك فؤاد الى لندن عام ١٩٢٧ لامه الرافعى على تساهله فى حقوق البلاد ، وانتقد خطبته التى القاها أمام ملك بريطانيا ، ومما قاله أمين الرافعى :

« ان الخطب التى تبودلت فى لندن بين جلالة الملك فؤاد ، وجلالة ملك انجلترا لم يراع فيها انها صادرة من ملكين مستقلين وانما لوحظ فى بعض العبارات التى فاه بها الملكان ، ان مصر تابعة لانجلترا كما لوحظ وصف عمل انجلترا فى مصر بأنه تعاون ودى ، فى حين انه غصب وعدوان على الاستقلال » .

وإذا كان الرافعي أجرا الصحفيين على الخديوعباس، والسلطان حسين والملك فؤاد بوصفهم ممثلي السلطة التي كان يطلق عليها السلطة الشرعية فان الرافعي كان اجرا الصحفيين على كرومر ، وجورست ، وكتشنر ، ووينجت ، ولويد ، بوصفهم ممثلي السلطة الفعلية في البلاد .

وقد كان الرافعي – الى جانب هذا كله – سياسيا بعيد النظر ، الى أبعد الحدود . احتدم الخلاف ذات مرة بين قادة الحزب الوطني ، في امر من الأمور ، وكان الرافعي مع الأقلية ، واتفقت الأغلبية مع الاقلية على الاحتكام الى محمد فريد في المنفى ؛ وكان رد محمد فريد : « انني وان كنت بعيدا عن مصر ولا أعرف التفاصيل ، الا انني أرجح رأي أمين الرافعي وان كنت لا أراه ، لأن ثقتي به تجعلني شخصيا ولو كنت مخالفا له في الرأي ، أتبع رأيه فهو لا يقول بغير علم ، ولا يقف هذا الموقف الا وعنده من الاسرار ، ما يبرر بها موقفه »

في الرسائل المتبادلة بين عبد الرحمن فهمي سكرتير لجنة الوفد وسعد زغلول رئيس الوفد ، يقول عبد الرحمن فهمي ، عند الكلام على حذف فقرة من بيان أصدره الوفد المصري في باريس وكان رأي أمين مع حذف بعض عبارات البيان وتغيير بعض كلماته وتخفيفها وشطب كلمة (ثورة الشعب) : « انتهز الفرصة الأوضح لسعادتكم ما وصلت اليه مناقشتنا أمس في نشر النداء للأمة ولولا ان زميلي أمين بك كان في صف المعارضين لي لضربت بمعارضتهم عرض الحائط ، ولكن الواجب يقضي باحترام مثل رأي أمين بك في هذا الشأن »

ولقد كان مؤلما ، بل ومخجلا ، أن تظل شخصية أمين الرافعى دون دراسة موضوعية جادة أكثر من أربعين عاما بينما لعب الرجل دورا هاما وخطيرا فى التاريخ المعاصر ، حتى مؤرخنا الكبير عبد الرحمن الرافعى بعد أن أرخ لمصطفى وفريد ، لم يستطع أن يؤرخ لثالث الثلاثة أمين الرافعى خشية أن يقال أن أخا يحابى شقيقه ، ومن أجل ذلك حملنى هذه الأمانة منذ أكثر من ثمانى سنوات وقد كانت الامانة ثقيلة للغاية لأن الذى حملنى اياها أستاذ كبير له أثره فى نفسى وقلبى ، ولأن الرجل الذى كان موضع الامانة هو أمين الرافعى ، أحب الكتاب والصحفيين الى نفسى وقلبى كما كان أكثر هؤلاء الصحفيين والكتاب صلابة وايمانا وتضحية ، وثباتا ، ولست فى حاجة الى الحديث عن الصعوبات التى لقيتها فى اعداد هذا الكتاب بالرغم مما خلفه الرافعى من آثار ووثائق . ولست فى حاجة أيضا الى الحديث عن مدى سعادتى ، وأنا أقدم لقراء العربية فى كل أنحاء الوطن العربى من المحيط الى الخليج هذه الدراسة التى أرجو أن أكون قد وفقت فى اعدادها، والتى أرجو أن تتلوها دراسات أخرى ، فشخصية أمين الرافعى متعددة الجوانب ولا يستطيع أى كاتب أن يحيط بكل ما يتعلق بها .

ولست فى حاجة كذلك الى القول بأننا فى أمس الحاجة الى تناول شخصياتنا التاريخية — وخاصة تلك التى كانت ضحايا الاقطاع التاريخى والاقطاع السياسى — بالدراسة المستفيضة الجادة والموضوعية ، بسلبياتها وايجابياتها وذلك بغية الاستفادة من هذه الدراسات

والله ولى التوفيق

صبرى أبو المجد

صحافة الرأى فى مصر

قد تكون الـكلمة ذات تأثير بالغ فى حياة الجماهير تنير أمامها الطريق ، وتقودها الى الخير ، وتمنعها من الوقوع فى الشر ، وتصل بها — أحيانا — فى النهاية الى التقدم والتحرر والانطـلاق ، والـكلمة التى تستطيع تحقيق هذه الغايات هى الـكلمة الحرة الشريفة المؤمنة ، وليس صحيحا ان حرية الـكلمة مطلقـــة دائمــا فهى مرتبطة بمصالح الجماهير ومستقبلها ، وهى فى الوقت ذاته مرتبطـة بحـريات الآخرين ، فالمجتمع لا يحترم حريتك اذا لم تحترم حرية غيرك . والمجتمع لن يدافع عن حريتك اذا انتهكت أنت حرية الآخرين ، ومنذ بدأت البشرية تخط السطور الاولى من تاريخها، والناس يقدسون الكلمة الحرة ويرون فيها أملهم . وكلما بالغ المستبدون فى محاولاتهم للتضييق على حرية الكلمة ، كلما بالغ أصحابها — وبالغ الناس معهم — فى التمسك بها والدفاع عنها . وليس صحيحا — أيضا — ان شرف الكلمة يتعلق بما فيها من خطأ أو صواب ، فالوقوع فى الخطأ أمر عارض يقع فيه الناس فى كل زمان ومكان . . ان شرف الكلمة — فى

رأيى – متعلق بما فيها من صدق ، واخلاص . والايمان بالكلمة ، لا يتطلب العمل بما جاء فيها ولا الدفاع عنها وحسب بل يقتضي أيضا العمل بما جاء فيها فليس عسيرا أن نؤمن بالمثل العليا وان ندافع عنها بل ان العسير هو العمل بهذه المثل والتقيد بما جاء فيها ، ولهذا كانت الكلمة المكتوبة ، الحرة الشريفة النابعة عن ايمان صاحبها بها وعن تطبيقه لما جاء فيها ، أقوى من الرصاص والقنابل ، لأن الرصاص والقنابل لاتنفجر الا مرة واحدة بينما الكلمة الشريفة المؤمنة تنفجر باستمرار وعلى مدى العصور وربما كان هذا سر عظمة الصحافة وقوتها .

واذا كان التاريخ قد عرف صحافة المبدأ والعقيدة والرأى فقد عرف أيضا صحافة الأفاعى والقراصنة ، ومعامل الاكاذيب وأبواق المفتريات ، وأدوات التشهير ، وكما وجد حملة الأقلام الذين يقفون فى معسكر الحرية، والحق ، متحملين كل ضغط وارهاب ، وجد كذلك من حملة الأقلام من باعوا أنفسهم – بثمن بخس – للشيطان ، والعبودية والاستغلال . وسواء تغلبت الكلمة الحرة الشريفة المؤمنة على الكلمة الرخيصة الذليلة المدفوعة أم تراجعت فان الكلمة الاولى سحرها ومجدها ، وكيانها وقد بقيت معالم الصحافة الحرة – دائما وأبدا – أبرز معالم التاريخ .

ان أمجاد الأمم لا تقاس ، بقدر ما شيدت من طرق وموانى ومنائر ، ومؤسسات بل بقدر ما تمتعت به صحفها من حرية ، وبقدر ما امتاز به كتابها من شرف وايمان .

ولن تتباهى الأمم – فقط – بالمعالم التاريخيةوالبرلمانات

الكبيرة ذات القباب العالية ؛ بل انها لتتباهى فى الوقت نفسه بصحفها التى تغـذى الحركات التحررية وتؤثر فيها وتتأثر منها .

ان الصحف — فى جميع العصور ، وفى كل البلدان — ليست أداة ترف وفضـــول بل هى أداة بنـــاء وتشييد ، وهى ليست وســيلة لتضييع الوقت بل هى وسيلة لصنع الانسان وغالبية الثورات — ان لم تكن كلها — من صنع الصحف . فهى على الاقل تقوم بالدور الذى يقوم به سلاح المدفعية فى دك حصون العدو ، قبل الهجوم الأخير على معاقله . ان جورج واشنطن — مثلا — لم يشرع سيفه كما يقول كوشفال كليرنى الا للدفاع عن ثورة كانت قد نمت فى الأفكار اما تكوين هذه الأفكار وتحطيم القيود وتبصير الشعب بحقوقه وايقاظ وعيه بمستقبل مستقل عن انجلترا وخلق روح أمريكية وطنية فكانت كلها من أعمال الصحافة »

وكل الشعوب التى كافحت وناضلت من أجل الحصول على حريتها واستقلالها ، وكل الشعوب التى تمكنت من اعلان ارادتها وصنع نفسها بنفسها ، كانت تعتمد أول ما تعتمد فى معاركها على صحافة حرة مؤمنة شريفة يعمل فى ميدانها أحرار شرفاء ، يقدسون الكلمة ويؤمنون بحريتها وشرفها .

وشعب مصر ، وهو من أعرق شعوب العـالم حضارة وتقدما ، وأقدرهم على التأثر بالحركات التحررية والتأثير فيها اعتمد فى تاريخه الحديث على الكلمة الحـــرة المؤمنة الشريفة النزيهة التى هدته — يوم أن ضلت به السفينة — الى سواء السبيل ، والتى فتحت أمامه —

عندما تكاثر عليه الاعداء — الطريق الى النصر ، والتحرر والانطلاق .

كانت صحافتنا خلال المائة والثلاثين عاما الأخيرة السلاح الذى دك حصون الظلم والبغى التى شيدها ، وبالغ فى تحصينها اسماعيل . كانت المنارات التى أضاءت لأبناء مصر الطريق عندما التقى خصوم مصر من كبريات الدول الأوروبية على تقييد حريتها ومحاولة القضاء عليها . ثم كانت فى الوقت نفسه الجيش القوى العنيد ، الذى لم ينهزم فى أى معركة ، وان اضطر الى التوارى عن الانظار بعض الوقت ... صحافتنا هذه كانت الوعاء الذى حفظ لنا وثائق تاريخنا والسجل الذى أبقى على الدهر طول هذه الفترة القصيرة من حياة شعبنا كل أمجادنا وانتصاراتنا .

لقد سجلت الخير كما سجلت الشر .

حاربت العدوان كما حاربت الاحتلال والاستغلال سعت — كلما وسعها الجهد — لتمهيد الطريق الى الحرية والى الاستقلال .. سارت فى الغالب مع الشعب فى أيامه السود وأيامه البيض تسرع الخطا ان هو أسرع ولا تبطىء فى السير ، ان هو أبطأ ، وفى أحيان كثيرة كانت تسبقه ولا تتخلف عن مسيرته الا بقوة السلاح .. وبقى منها ما وقف مع الشعب ، وما عبر عن ارادته الحرة ، وما أخلص فى حمل الأمانة وأداء الرسالة ، واختفى منها — مهما جمع أصحابها من أموال وما حصلوا عليه من نفوذ — ما اختلف مع الشعب وما وقف ضد مصالحه وأهدافه.
لقد استطاعت صحافتنا — فى مستهل حياتها — ان تقوم بأدوار خطيرة فى النهوض ببلدنا وفى تطوير شعبنا ، واستطاعت فى الوقت نفسه أن تلعب فى حياة

الجماهير أروع الادوار . شاركت صحافتنا ـ منذ بداية ظهورها ـ فى كل قضايا الشعب وتحملت ـ كما تحملت كل أدوات الكفاح والنضال الشعبى ـ الكثير من التضحيات ، واذا كانت أقلية ضئيلة من صـــحفنا ، تنتسب زورا وعدوانا الى بلدنا ، قد وقفت فى فتـــرة من فترات التاريخ ، طالت أم قصرت الى جانب المســتعمر تسبح بحمده وتمجد عدوانه وتتمسح بعتباته وتنشر أكـاذيبه وترهاته ، من أجل أن تعيش على فتاته فحسبنا ان هذه كانت من القلة والضآلة الى الحد الذى جعلها لا تستطيع وقف عجلة التاريخ : وحسبنا فى الوقت نفسه ان غالبية صحفنا قد رفضت ان تداس حريتها بالاقدام كما رفضت ان تشترى بالاصفر الرنان وتحملت كل ما يمكن أن تتحمله الأقلام الشريفة من تضحيات جسام بايمان ثابت واخلاص قوى وصبر دائم وقدرة فائقة ، ولم تنجح وسائل الضغط والارهاب كالتعطيل والمصـــــادرة والسجن والاعتقـال والتشريد فى الحيلولة بين هذه الصحافة الحرة ورسالتها وبين هؤلاء الصحفيين الأحرار ، وبين أداء دورهم الطليعى فى تحرير الشعب واستقلاله : وقد استطاعت صحفنا رغم وسائل الارهاب والضغط والعنت ان نكون حلقة الاتصال بالعالم الخارجى ، فتنقل ثقافاته الجـــديدة وفلسفاته الحديثة ، كما استطاعت أن تنقل الى الشعب أصدق الأنباء عن الحركات الثورية التى قامت فى أوروبا وأمريكا.

ومهما تكن الظروف التى واكبت تطور الصحافة المصرية فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر والسنوات الأولى من القرن العشرين الا انهـا ـ فى الغالب ـ كانت معبرة عن التغيير الذى ظهرت ملامحه فى المجتمع المصرى منذ وفاة الخديو توفيق (١٨٩٢) وتولية ابنه الخــديو

عباس حلمى الثانى ، ولقد استطاعت الصحافة المصرية رغم ظروفها الخاصة ورغم الوسائل التى استخدمت للضغط عليها أن تساهم مساهمة كبيرة فى خلق رأى عام مستنير كانت له قوته فيما بعد ، ولقد انفردت صحفنا ـ فى تلك الفترة ـ بميزة لا مثيل لها فى تاريخ الصحافة فى أى بلد آخر ، ذلك ان الصحف اليومية الكبرى : المؤيد واللواء والجريدة تلك التى سيطرت على الرأى العام فى تلك الفترة كانت التجمعات الأولى للأحزاب الثلاثة الكبرى التى نشأت فى مصر وقد كان أمين الرافعى ممن تتلمذوا على يد مصطفى كامل فى جريدة « اللواء » أهم هـذه الجرائد واكثرها شعبية ونفوذا .

مولد صحفي كاتب

نشأ أمين الرافعي كما ينشأ فى العادة ابناء الموظفين محدودى الدخل ، فى البداية ، فى كتاب من كتاتيب المدينة أو القرية ، حيث يتم التعليم عن طريق الفقهاء والعرفاء لا كتب ولا قمـــاطر ولا كراسى ، الجميع يجلسون على الحصير ، أو على الدكك الخشبية التى غطيت فى النادر بالحصير ، والاعتماد — فى التعليم — على ألواح الاردواز ثم الواح خشبية بعد الوصـول الى مرحلة معينة من التعليم . حفظ الأجزاء الأولى من القرآن الكريم يتم عن طريق السماع والالقاء الجمـاعى ، ثم بعد ذلك يـكون الحفظ عن طريق الالواح الخشبية أو عن طريق المصحف مباشرة . التلاميذ يأخذون معهم غذاءهم ولا يعودون من الكتاتيب الا فى نهاية النهار . اما من قرب منزله من مكان الكتاب أو ارتفع مايدفعه أهله من أجر فيستطيع تناول غذاءه فى بيته ، ثم يعود الى الكتاب ، الواحد منهم — اذا كان ذكيا ومستقيما — يستطيع أن يحفظ القرآن الكريم ، فى العاشرة من عمره أو فى الحادية عشرة وبعد اتمـــام حفظ القرآن وتجـويده وحفظ الفيـــة ابن مالك ، وبعض المتون التى تفيد فى دراسة اللغة العربية يصبح مؤهلا للالتحاق بالأزهر أو أية مدرسة أخرى .

ويدخل أمين الرافعى واحدا من هذه الكتاتيب هو كتاب الشيخ جلال بشارع درب الحصر بالقـــاهرة لفترة من الوقت ، وبعد ان انتهى من دراسته الاولى فى الكتاب انتقل الى مدرسة الزقازيق الابتدائية الاميرية حيث عمل والده فترة من الوقت ، ثم انتقل الى مدرسة رأس التين الابتدائية أيضـــا عندما نقل والده فى عام ١٨٩٨ الى الاسكندرية، وقد نال أمين الابتدائية سنة ١٩٠١ كما نالها فى نفس العام شقيقه عبد الرحمن ، ويقول عبد الرحمن الرافعى فى مذكراته : « حين علم أحـد أقربائى بالنبأ وكنت اجهله سارع الى الحضور لمنزل والدى بالأنفوشى شارع قصر رأس التين رقم ٥٨ وهو المنزل الذى نلت فيه الشهادة الابتدائية والثـــانوية وليسانس الحقوق ، ليبشرنى بالنجاح فألفانى فى حديقة المنزل يجرنى أخى أمين فى قفص من الجريد جعلنا منه شبه عربة صغيرة نتناوب ركوبها وجرها بحبل فنادانى بلهفة فتركت القفص أسأله عن الخبر فهنأنى بالنجاح وأطلعنى على نسخة اللواء التى فيها اسمى ضمن الناجحين فى الشهادة الابتدائية فضحكت مغتبطا . ثم عدت الى قفص الجـريد لنتم أنا واخى عملية الجر واللعب » وكان أمين الرافعى وشقيقه عبد الرحمن بعد نجاحهما فى الابتدائية يترددان على قهوة أنيقة بشارع رأس التين تجاه سراى محسن باشا ، كل يوم جمعة حيث كان صاحبها الحاج أحمد يقدم لهما شراب الليمون الذى يتقنه كل الاتقان ويطلعهما كما يطلع بقية الزبائن على بعض الصحف اليومية التى كانت تصـدر وقتئذ ومنها اللواء واذا كان عبد الرحمن لم يتبين سياسة اللواء ولا الصحف الأخرى لصغر سنه فان أمينا لـكبر سنه وتفتح مداركه ومتابعته لقراءة الصـحف والـكتب

والاستماع الى كثير من الأحاديث التى كان يلقيها بعض الذين شهدوا وعاصروا أحداث الثورة العرابية كان أكثر فهما لسياسة اللواء والمؤيد والاهرام ، ويدخل الشقيقان أمين وعبد الرحمن معا مدرسة رأس التين الثانوية بالاسكندرية وقد كانت من أهم مدارس القطر وأساتذتها من خيرة الاساتذة علما وخلقا — ويقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى فى مذكراته : « كان من بين أساتذة مدرسة رأس التين الثانوية المرحوم عثمان بك لبيب وكان يلقى علينا بين حين وآخر حديثا عن حالة البلادالسياسية وكان وطنيا صميما لا يفتأ يطعن فى سياسة الانجليز ويذكر لنا كيف احتلوا مصر غدرا وغيلة وكيف يعملون على ارساخ أقدامهم فى البلاد وكيف يحاربون الروح الوطنية وكان يقول لنا خلال أحاديثه : « افهموا ياولاد كويس » كنت ألاحظ انه حين يبدأ الحديث فى السياسة يغلق بنفسه باب الفصل ، لكى لا يسمع حديثه ناظر المدرسة.

وكان كثيرون من مدرسيها يتخيرون بعض الطلاب النبهاء ويلقون عليهم بعض الدروس الوطنية خارج المدرسة بل كانوا يطلعونهم على بعض الصحف التى كانت تصدر فى الخارج وتهرب الى مصر خلسة وما أكثر المرات التى التقى فيها أمين الرافعى بزملاء له خارج المدرسة وكانوا جميعا يشعرون مثله بالضيق الذى يشعر به وكانوا يجدون لديهم الرغبة فى العمل من أجل انقاذ بلادهم وما أكثر تلك المناظر التى كانت تثيرهم كل صباح وكل مساء : مناظر الجنود البريطانيين بخوذاتهم وحرابهم وهم يسرحون ويمرحون فى شوارع العاصمة الثانية . على أية حال فان الصبى أمين الرافعى — الذى ولد مرهف الحس — عاش سنواته الأولى — متنقلا — تبعا لتنقلات والده ،

فى كثير من عواصم الاقاليم كان يحس بالكآبة والحزن والألم لما وصلت اليه أحوال البلاد بعد الاحتلال حيث استولى الاحتلال على كل شيء فى البلاد . تأثر الرافعى كما تأثر غيره من الشبان بالظروف القاسية المريرة التى كانت تحيط بالشعب الذى كان يئن كالأسد الجريح يعانى آلام المرض والجوع فى قفص حديدى لا يستطيع أن يتحرك فى داخله ، وكان زعماء البلاد وقادتهاوكبارمفكريها — فيما عدا قلة ضئيلة — قد استولى عليهم اليأس القاتل وأحالهم الى أحجار صلبة لا تتحرك ولا تحس بل ولا تتنفس حتى لقد خيل للشباب فى تلك الفترة أن يقظة البلاد من رقدتها تكاد تكون من المستحيلات .

غير ان دوام الحال من المحال فالشعوب الاصيلة العريقة لا يمكن للهزيمة مهما تكن شديدة وقاسية وعنيفة ومفاجئة أن تقضى عليها ، قد تسكنها الى حين، قدتضايقها وتؤلمها بل وتعيقها عن التحرك بعض الوقت ولكنها بعد زوال المفاجاة تعود أقوى مما كانت وأكثر قدرة على التحرك عما كانت عليه قبل الهزيمة . لقد بدأ الشعب يفتح عينيه ويتطلع الى ما يجرى حوله ساكنا صامتا فى البداية الى أن عادت اليه قدرته فبدأ يتحرك من جديد ولست أدرى هل هى المصادفة البحتة أم هى الظروف السياسية والاقتصادية والنفسية التى جعلت من أولئك الابناء الذين ولدوا قبل الثورة العرابية واثناءها وفى أعقاب الهزيمة كمصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وامين الرافعى ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى وغيرهم وغيرهم هم الذين يحملون المشاعل فى مطلع القرن العشرين ويصبحون فيما بعد قادة ثورة ١٩١٩ التى قامت بعد ستة وثلاثين عاما من هزيمة الثورة العرابية .

لقد بدأت الظروف تتغير لصالح الشعب وبدأ الرافعي يحس بهذا التغيير في مدرسته الثانوية وكان من بعض صور ذلك التغيير التغني بحب الوطن واقتناص المناسبات الدينية كهجرة الرسول والمولد النبوي لاقامة احتفالات ذات مغزى وطني بالاضافة الى تاليف خلايا سرية تضم بعض الشباب المتفتح للعمل الوطني والبحث عن طريق الخلاص . وخيل للرافعي ان الامل في اليقظة وقد كان الى أمد غير بعيد مستحيلا قد اصبح اليوم محققا والمستقبل الذي كان الى سنوات قليلة يبدو مظلما قد بدأ يشرق من جديد ، حتى الرأى العام الذي حجبته الهزيمة المفاجئة وقيدته بل وقتلته أخذ يتحرك وتتسع دائرته والزعماء والقادة الذين كتبت عليهم الهزيمة والاحتلال الا يتحركوا بل ألا ينطقوا راحوا يتهامسون ثم راحوا بعد الهمس يتحاورون ويتكلمون والوزراء أحجار الشطرنج التي لم تكن تحس وجد من بينهم من يستقيل بل من يعلن للناس أسباب استقالته والجيش الذي بالغ المحتلون في اذلاله كما بالغوا في حرمانه من السلاح واختيار ضباطه واحدا واحدا ، أخذ يتململ غيظا وألما ، كما راحت طلائعه الشابة تتلمس طريق الخلاص وتبحث قضايا الوطن في حذر شديد ، والشبيبة المصرية التي عمل المحتلون كل ما يمكن عمله ليقطعوا كل الصلات الثقافية والتاريخية التي تربطهم ببلدهم لغة أو تاريخا دب فيهم أمل جديد أقلق المستعمر وأزعجه . ويتأثر الرافعي بذلك كله ، ويندفع رغم ضعف صحته حيث كان يشكو الصرع الذي أضاع عليه بعض سنوات دراسته ، الى ميدان العمل الوطني ليشارك كخطيب في بعض الحفلات المدرسية ثم يشترك كمتظاهر في بعض المظاهرات التي

سيرها الطلاب فى المناسبات الوطنية ويندفع الرافعى أكثر وأكثر في مجال آخر يتلاءم تماما مع ظروفه وسنه أعني مجال القراءه فالرافعي وقد ولد فى بيت علم وأدب وشعر ، أتاحت له ظروفه ان يقرأ كثيرا من الكتب الادبية والفلسفية والاجتماعية والدينية والقراءه عند الرافعى كالطعام والشراب والتنفس لا يمكن الاستغناء عنها والقراءة عنده ، تعنى الاستفادة دائما . يقرأ الرافعى كل ما يقع تحت يده من كتب وصحف ،يقرأبالعربيةوالفرنسية لخصوم الوطن ولمن يقفون الى جانبه ولا يكتفى الرافعى بالقراءة بل نراه يلخص كل ما يقرء فى كراسات يحتفظ بها الى وقت الحاجة ، ولا تكفيه قراءة الصحف فى دار الكتب أو فى المقهى الذى تعود أن يذهب اليه كل جمعة هو وشقيقه عبد الرحمن بل ينفق معظم مصروفه اليومى فى شراء هذه الصحف التى يقرأها — كما يقول شقيقه عبد الرحمن — قراءة من يرغب فى الاطلاع والاستفادة معا وتؤهله كثرة قراءته واستعداده ليكون كاتبا وكاتبا قديرا .

بعد أن تخرج أمين الرافعى من المدرسة الثانوية التحق بمدرسة الحقوق الخديوية عام ١٩٠٥ ، وانضم فى الوقت نفسه الى هيئة تحرير صحيفة « اللواء » باعتبارها صحيفته المفضلة التى تعبر بصدق عن أحلامه وآماله ، ومضى فى دراسته ، كما يمضى الطلاب المتفوقون الحريصون دائما على الحصول على أعلى الدرجات . وكان فى الوقت ذاته حريصا على قراءة ما يقع تحت يده من صحف ومجلات وحريصا على أن يشهد باستمرار الندوات التى كانت تعقد فى « اللواء » و « المؤيد » والتى كان يتحدث فيها مصطفى كامل ، ومحمد فريد

واحمد لطفى وعمر لطفى ، ولم يكن الشباب وقتئذ يحضر هذه الندوات كمستمع فقط بل كان يناقش ويجادل ويغذى آراءه الحرة بكل صراحة وقوة اذ كانت هذه الندوات مليئة بالحركة والنشاط : مرة كان الاستاذ ابراهيم الهلباوى يحاضر فى احدى هذه الندوات ، والهلباوى هو محامى الاحتلال فى قضية دنشواى ورأى الشباب ومن بينهم أمين انه لابد من التعبير عن رأيهم فى تصرفات الهلباوى فذهب عديد منهم الى مكان المحاضرة بدار « الجريدة » وجلسوا فى الصفوف الاولى والصفوف الاخيرة وما كاد المحاضر يجلس الى منصة الخطابة حتى أطلق الشباب أسرابا من الحمام اشارة الى حادثة دنشواى التى كان سببها صيد الحمام .

وكان الرافعى يتحدث فى كثير من هذه الندوات بأسلوب شيق ، كما كان يحبذ الاستماع وقد أتاحت له تلك الندوات فرص التعرف الى كثير من الشخصيات السياسية والصحفية . ولم تكن مدرسة الحقوق التى أصبح الرافعى بعد فترة قصيرة من أبرز طلابها مدرسة عالية عادية وحسب بل كانت فى هذه المرحلة محور كثير من الحركات السياسية والوطنية . ولما كان الرافعى صاحب قلم وصاحب حظوة لدى مصطفى كامل « صاحب اللواء » وله علاقات وثيقة بكثير من الاقطاب فقد أصبح من الزعماء البارزين فى المدرسة وفى كثير من المناسبات كان يقود طلابها : وكانت مدرسة الحقوق تقود بدورها المدارس العالية والثانوية والابتدائية . ففى عام ١٩٠٦ — مثلا — وقع اضراب مدرسة الحقوق احتجاجا على بعض القرارات التى أصدرها مستر أرشيبولد نائب ناظر

المدرسة بخصوص عقاب الطلبة الذين يتخلفون عن الحضور ، وحرمانهم من الدرس والامتحانات بل من التوظف فى الحكومة وكان أمين الرافعى على رأس اللجنة التى ألفت لادارة حركة الاضراب الذى استمر فترة طويلة وكان هو الذى يتولى صياغة البيانات والمنشورات التى تصدر باسم الطلاب وتوزع عليهم أو تنشر فى الصحف ، وقد بذل اللورد كرومر — رجل الاستعمار العتيد — جهودا مضنية لافشال هذا الاضراب كما بذل جهودا شاقة أخرى لتفتيت وحدة الطلبة بالدس والاغراء غير ان كل هذه الجهود فشلت ونجح الطلاب فى تحقيق أهدافهم من الاضراب .

ولما كان الشباب المصرى المثقف طليعة العاملين فى الحقل الوطنى ، فقد رأى قادة الحركة الوطنية ضم جهود هؤلاء الشباب فى ناد يجمع بين طلاب المدارس العليا وخريجيها فأنشىء نادى المدارس العليا فى ابريل ١٩٠٦ وانتخب امين الرافعى عضوا فى مجلس ادارته . وبعد تخرجه فى المدرسة انتخب سكرتيرا للنادى وظل انتخابه يتجدد كل عام حتى ١٩١٤ عندما أغلقت السلطات العسكرية البريطانية النادى وباعت أثاثه . ولم يكن نادى المدارس العليا محورا للنشاط السياسى فحسب ، بل كان محورا للنشاط الاجتماعى والثقافى أيضا . ففى هذا النادى أنشئت جمعية رعاية الاطفال وفى قاعاته اجتمعت لجنة ادارة الجامعة المصرية وولدت فكرة انشاء مدارس الشعب ومشروع النقابة الزراعية .. الخ ، وكان نادى المدارس العليا الى جانب ذلك معهدا أخلاقيا يروض الشباب على الاخلاق الطيبة ، فقد انفرد دون غيره من الاندية بتحريم لعب

القمار وكذلك تحريم المسكرات وقد ذكر الرافعى فى خطبة القاها بمناسبة عيد تأسيس النادى «ان النادى أقيم على أساسين متينين هما الاعتماد على أنفسنا ومساعدة الأمة لنا ، فلم تتقوض دعائمه بل أخذ يقطع سنيه الاولى ثابت القدم عزيز الجانب . لقد كنا متخوفين وجلين عند تأسيس النادى ولكن بفضل اعتمادنا على انفسنا ومساعدة الأمة لنا ذهب عنا الخوف والحزن .. لقد سقيناه ماء الاخلاص وسقيناه ماء العمل المؤذن بالثمر فكان مثله كمثل أرض هامدة فأنزل الله عليها الماء فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج » .

على ان نشاط الرافعى فى نادى المدارس العليا وفى مدرسة الحقوق لم يمنعه من مزاولة نشاط آخر محبب الى قلبه ، ذلك هو نشاطه الصحفى ــ يقول الاستاذ أحمد حلمى المحرر الاول للواء وخير من كتب عن مأساة دنشواى « عرفت الرافعى وهو طالب بمدرسة الحقوق فكان أول قبس ظهر من شعاع ذكائه تلك المقالات المتعة التى كان يكتبها عن حياة جاريبالدى وأعمال ذلك الوطنى الايطالى العظيم . وكنت أجعل لها اظهر مكان فى اللواء لأنها تقع من نفسى موقع الزلال فى فم الصادى وقت القائلة ويظهر انه كان يكتب عن جاريبالدى بعد دراسة تشربت بها نفسه حتى لبس روح جاريبالدى فكان مثال التفانى فى حب مصر ، كما كان جاريبالدى مثال التفانى فى حب ابطاليا وهكذا شب وطنيا لا تشوب وطنيته اى شائبة يؤاخذ عليها » .

اما الشيخ عبد العزيز جاويش الذى راس تحرير اللواء فى ايام مجده فيقول : « شغلنا بأمر اللواء فى ذلك الوقت وكان أمين تلميذا فى الحقوق هو والاستاذ

عبد الرحمن الرافعي ومحمد زكي علي، ومصطفى الشوربجي وكانوا جميعا يجيئون الى اللواء فكنت أجد فيهم الايمان القوى وكنت أجد فيهم المبادىء التى لا تؤثر فيها الزلازل ولا الزعازع ، كنت أجد فيهم العلم الصحيح والعقيدة الوطنية الراسخة وكان أمين وهو يشتغل معى فى اللواء مثال الجد والكمال وكان يعجبنى فيه الرأى الصائب والوفاء لمبدئه » أما الأستاذ مسعود فراج مسعود وهو من الذين عملوا فترة طويلة لتطوير الأزهر فيقول : « فى أوائل ١٩٠٧ عرفت أمين الرافعى وكان اذ ذاك فى أوائل سنى دراسته بمدرسة الحقوق الخديوية وكنت سكرتيرا لجمعية الاتحاد الأزهرى التى قامت تطالب باصلاح الأزهر وتغيير نظمة القديمة البالية ، عرفنى بدأفع الخدمة الوطنية اذ كان يقضى وقتا من يومه بادارة جريدة اللواء ليساعد صديقه المصلح الكبير صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز جاويش فى تحرير اللواء ، وكان اللواء وقتئذ مناصرا لجماعة الاتحاد الازهرى : عرفته وهو يجول بدراجته جهة الأزهر لمعرفة ما قررته الجمعية وما تريد فعله فكنا نتقابل يوميا لاعطائه المعلومات التى يجب أن تذاع بلسان اللواء فعرفت فيه الصدق والاخلاص والحرص والعمل لخدمة المجموع ، وكنا آنذاك نطارد من الحكومة مطاردة المغضوب عليهم ، وكانت المصلحة تقتضى علينا أن نتنكر بملابس مستعارة ونجتمع فى أماكن خربة أو شبه خربة حتى نختفى عن البوليس والجواسيس والرقباء ، ولكن العين الوحيدة الجادة ، التى تدرك أماكننا دائما ، وتعرف أشخاصنا دائما رغما عن كل تنكر واختفاء هى وحدها عين أمين الرافعى ، وهكذا ظل مؤازرا ومرشدا حتى انتهت المسألة على ما أحبه الأزهريون وارتضوه وعلى ما دونه التاريخ ووعاه »

وكانت دراسات الرافعى عن جاريبالدى – وقد سبق الاشارة اليهـا – اول ما نشر لأمين الرافعى فى اللواء ابتداء من ٥ أغسطس ١٩٠٧ ، وتعتبر هذه الدراسات من خيرة ما كتب عن الزعيم الايطالى وهى تصلح لأن تكون كتابا قائما بذاته فقد جاءت فى سبع عشرة مقالة كان اللواء ينشرها فى أبرز مكان ولم يوقع الرافعى هذه المقالات باسمه الصريح رغم الجهد الشاق الذى بذله فى اعدادها اذ كان يوقعها باسم حقوقى اسكندرى او حقوقى ، وكلمة اسكندرى تشير الى الاسكندرية حيثا كان الرافعى يقيم فى أجازته الصيفية .

وقد نشرت سلسلة المقالات التى كتبها امين الرافعى عن جاريبالدى بصورة منتظمة أو شبه منتظمة فى جريدة اللواء وكان الرافعى يقطع السلسلة لينشر بعض مقالاته التى تتناول أمورا طارئة كتهنئة الشعب الايطالى (٢٠ سبتمبر ١٩٠٧) بعيد الحرية والاستقلال ، وكذلك ماكتبه عن النفى الادارى والحرية الشخصية فى ٢١ اكتوبر ١٩٠٧ وما نشره عن النفى والسلطة التشريعية (٢٤ أكتوبر ١٩٠٧) وفى هاتين المقالتين دفاع حار عن الحرية الشخصية ونقد عنيف « لمن بيدهم حل الامور وعقدها الذين يقيدون الحريات الشخصية بقوانين جائرة ظالمة تؤدى الى وقوع البلاد فى مهاوى الذل والاستعباد » . ومن بين هذه المقالات التى قطع بها سلسلة كتاباته عن جاريبالدى ما كتبه فى ٦ نوفمبر ١٩٠٦ تحت عنوان « رجاء الى صاحب اللواء » طلب فيها من الزعيم مصطفى كامل أن يمسك قلمه عن مناقشة الذين يشتمونه ويسبونه لأنهم رأوا أن بضاعتهم مزجاة وأنهم على باطل ، فلم يجدوا شيئا يكتبونه غير التغرير والسب والقذف

« وحتى أصبحنا لا نقرأ فى وريقاتهم غير ما كنا نقرأه فى « حمارة منيتى » وفى « الخلاعة » ، واختتم مقاله هذا طالبا من مصطفى كامل أن يمضي فى عمله آمنا مطمئنا فالأمة شاخصة اليه بأبصارها ، متجهة اليه بقلوبها واقفة على اهواء هؤلاء السفهاء الذين حقت عليهم كلمة الامام على : اتخذوا الشيطان لأمرهم ملاكا واتخذهم له اشراكا »

ويطول بنا المقام لو استعرضنا كل ما كتبه الرافعى وهو طالب فى كلية الحقوق كما يطـــول بنا المقام لو استعرضنا جهوده السياسية والوطنية خلال تلك الفترة فقد كان لا يكتب الا بعد دراسة ولهدف ، ولم يكن ليكتب الا عن عقيدة ثابتة وايمان صادق ، وكان وهو يعمل فى الحقل الوطنى كواحد من المسئولين عن نادى المـــدارس العليا ، يبذل كل جهده ونشاطه لخدمة القضية الوطنية التى نذر نفسه منذ البداية للعمل لخدمتها . وكان فى عمله كطالب بمدرسة الحقوق التى تمثل قيادة الشباب الوطنى نموذجا الطـــالب المثالى المعبر بحق عن طـــلاب الحقوق الذين قال فيهم شاعر النيل حافظ ابراهيم :

وكيف يضيع للطـــــــلاب حق
وهم فى مصر طلاب الحقـــــوق

محامى القضايا الكبرى

تخرج أمين الرافعى فى مدرسة الحقوق الخديوية فى صيف ١٩٠٩ ، وكان وهو طالب على ما ذكرنا قد انتظم فى سلك الصحافة محررا فى اللواء ، وبعد تخرجه لم يقبل التوظف فى الحكومة على حين أن الوظائف الحكومية كانت وقتئذ تستهوى أفئدة كثيرين من الشباب كما لم يقبل العمل بالمحاماة فى وقت كانت هذه المهنة تدر الكثير من الأموال بل فضل الاستمرار فى الصحافة وكانت أولى المشاكل التى صادفته عقب تخرجه ان شقيقه الاستاذ عبد الرحمن الرافعى قرر هو الآخر بعد تخرجه الاشتغال بالصحافة . ولما كان الاشتغال بالصحافة وبالصحافة الوطنية الحرة وقتئذ يعنى التضحية بالجهد وبالمال كما يعنى حياة الكفاف ، فقد احتكم الاخوان الشقيقان الى والدهما فى هذا الخلاف الذى شجر بينهما لأول مرة وقرر الوالد بعد فترة من الدراسة أن يعمل أحد الشقيقين فى المحاماة ليساعد الآخر ماليا ، وان يعمل الآخر فى الصحافة ويتقبل مساعدة أخيه . واستقر الرأى على أن تكون المحاماة من نصيب عبد الرحمن ، وأن تكون الصحافة من نصيب امين الذى لم يكن له مرتب فى «اللواء» ولا فى «الشعب» حتى بعد أن صار رئيسا للتحرير ، كان كل الذى

يتقاضاه كمحرر اثنى عشر جنيها كبدل انتقال وكل الذى كان يأخذه كرئيس تحرير لصحيفة « الشعب » التى كانت اكثر الجرائد المصرية انتشارا وأقواها نفوذا اذ كانت لسان حال الحركة الوطنية ، عشرين جنيها فقط ! ولم يكن هذا المبلغ البسيط كما سبق ان ذكرنا فى مقدمة هذا الكتاب يدخل جيب أمين الرافعى بل كان ينفقه باستمرار على زملائه المعوزين وما أكثرهم . وقد سألت ذات يوم أستاذنا الكبير عبد الرحمن الرافعى عن العلة فى عدم قبول أمين الرافعى تناول مرتب ثابت يليق بعمله ومركزه كما كان يفعل رؤساء تحرير « الجريدة » و « المؤيد » و « المقطم » وغيرها من الصحف الكبرى التى كانت تصدر قبل الحرب العالمية الاولى وكانت دون صحيفة الشعب انتشارا ونفوذا فقال لى : لقد كان أمين الرافعى يرى فى عمله الصحفى واجبا بل كان يراه تضحية من التضحيات التى يجب أن يقدم عليها المرء دون أن ينال عنها اى أجر » ومنذ أن تخرج الرافعى فى مدرسة الحقوق راح يكتب باسمه الصريح لأول مرة « أمين الرافعى ليسانسيه فى الحقوق » وكان أول مقالاته التى حملت اسمه سلسلة من مقالات عن « نظام التعليم فى مدرسة الحقوق » نشرت فى يونيو ويوليو ١٩٠٩ وفى هذه السلسلة كتب عن جناية الاحتلال البريطانى على التعليم العالى فى مصر وقارن بين مدرسه الحقوق فى عهدها القديم قبل أن تمتد اليها يد الانجليز وبين مدرسة الحقوق فى أيام الانجليز .

وقد لفتت هذه المقالات الانظار الى أمين الرافعى ككاتب صادق جرىء مخلص يدعم آراءه بالحجج والمستندات والوثائق وقد توالت الاحداث السياسية

الكبرى في البلاد وكان من اكبر هذه الاحداث واخطرها المحاولة الاستعمارية الكبرى التى أريد بها مد امتياز قناة السويس ، وكان محمد فريد - زعيم الحزب الوطني - قد حصل على مشروع المد بعد عرضه على الخديو عباس الثانى وبطرس غالى باشا عند زيارتهما للندن .

وبدأ محمد فريد وأمين الرافعى ينشران المقـــالات العديدة ضد هذا المشروع الخطير .. كتب امين الرافعى فى أكتوبر ١٩٠٩ مقالا باللواء دعا فيه الحكومة الى رفض هذا المشروع ، كما دعا فيه الامة الى مقـاومته بـكل ما تستطيع من قوة واتبع الرافعى هذا المقال بسلسلة من المقالات المدعمـــة بالحجج والاحصاءات والبيانات وراح يوضح ما به من غبن للشعب كما راح يتحدث عن حيدة القناة وضرورة تحقيق هذا الحياد وعندما عطلت الحكومة « اللواء » انتقل بحملاته الى «العلم» ثم الى « الاعتدال » بعد تعطيل العلم وعندما عرض المشروع على الجمعية العمومية فى فبراير ١٩١٠ تابع أمين الرافعى مناقشات الاعضاء وبين لهم أضرار المشروع من الناحيتين السياسية والمالية وساق اليهم كل الأدلة التى تقنعهم برفض المشروع ولم يكتف بذلك بل راح يفضح مواقف الوزراء الذين كانوا يؤيدون المشروع وينقد أدلتهم الزائفة فى تحبيذه »

وقد توج جهاد الوطنيين عنـــدما رفضت الجمعيـــة العمومية المشروع فى ابريل ١٩١٠ بالاجماع فيما عـــدا الوزراء وكان من بينهم سعد زغلول باشا ناظر المعارف الذى كان متوليا الدفاع عن المشروع امام الجمعيـــــة العمومية . وبينمـــــا كانت الجمعيـــــة العمومية تنـــاقش مشروع مد امتيـــاز قنـــاة السويس اغتـــال ابراهيم الوردانى ، ناظر النظار بطرس غالى باشا لتأييده

مشروع مد امتياز قنــــاة السويس ورئاسة المحكمة المخصوصة التى حاكمت المتهمين فى قضية دنشواى ،واذ كان الوردانى من شباب الحزب الوطنى فقــد راحت الحكومة تقبض على زعماء الحزب الوطنى وتفتش بيوتهم ومكاتبهم ومنازلهم ، وكان أمين الرافعى من بين الذين حقق معهم وفتشت منازلهم ومكاتبهم ولكن الحكومة لم تجد دليلا واحدا ضد أحد من الحزب الوطنى فيما عدا الوردانى الذى اعترف بارتكاب جريمة القتــل ، وكان الرافعى أثناء التحقيق مع الوردانى وأثناء محاكمته ، يعلق كل يوم على ما يجرى فى التحقيق والمحاكمة وقد أولاهما الشعب كل اهتمامه ولما حاول الاستعمار البريطانى انتهاز فرصة مصرع بطرس غالى للايقـــاع بين عنصرى الأمة وعندما التقت ارادة الاستعمار مع ارادة الخديو عباس حلمى الذى أراد بدوره ــ كما يقول قلينى فهمى باشا فى مذكراته وكمـا تقول جويدان هانم حرم الخـديو عباس حلمى فى مذكراتهـا ــ تسميم الآبار أمام السير الدون جورست المعتمد البريطانى فى مصر بايقاع الفتنة بين عنصرى البلاد فى أوائل عام ١٩١٠ وقف أمين الرافعى بكل حزم وقوة يكشف ما وراء الفتنة ، وكان الوطنيون بقيادة الحزب الوطنى قد قرروا عقد مؤتمر وطنى لهم بباريس فى سبتمبر ١٩١٠ لفضح الاستعمار البريطانى فى مصر غير ان الحكومة الفرنسية مجـاملة للحـكومة البريطانية قررت عدم الموافقة على عقد المؤتمر ولذلك استدعى مسيو بيشون وزير الخارجية الفرنسية الزعيم محمد فريد وأخبره بقرار الحكومة ورأى فريد ورفاقه وكان من بينهم أمين الرافعى الاسراع بعقد المؤتمر فى مكان آخر بأوروبا فأجروا اتصـــالات عاجـلة ببعض

الحكومات الأوروبية ورحبت الحكومة البلجيكية بعقد المؤتمر فى موعده فى بروكسل وكان أمين الرافعى هو الذى ينشر محاضر جلسات المؤتمر ويبعث بها الى «العلم» مع المزيد من آرائه وتعليقاته والدروس التاريخية والوطنية التى كان يضمنها رسائله ، وكان الشعب المصرى يتلقف رسائل أمين الرافعى عن المؤتمر بحماسة ولهفة وكانت هذه الرسائل ترجمانا صادقا لكل كبيرة وصغيرة فى المؤتمر ، ويقول رفاق أمين الرافعى فى المؤتمر انه كان يظل عاكفا ساعات كل ليلة يدون رسائل المؤتمر وكثيرا ما كان هؤلاء الرفاق يشفقون عليه من عناء العمل ويلاحظون عليه أنه كان لا يكف عن الكتابة حتى فى أوقات راحته ويطلبون اليه أن يعرف لنفسه حقها فى الراحة فكان يقول لهم : « دعونى فان على مهمة يجب أن أؤديها بصدق واخلاص »

ويقول الأستاذ أحمد وفيق : عاد أمين من المؤتمر الوطنى ببروكسل وعدنا معه وأخذنا فى العمل جنبا الى جنب فى جريدة « الشعب » التى استقر القرار على ظهورها بعد انتهاء مدة احتجابها مرتين وبعد أن كانت سياسة الوفاق تغلق كل يوم صحيفة . فنصدر محلها فى اليوم نفسه صحيفة أخرى ما كانت الأمة تعرف عنها خبرا قبل صدورها ولكنها كانت واثقة من أن صحيفة ما للحزب الوطنى ستصدر »

وتتوالى الأحداث السياسية على مصر سريعة وعنيفة، حدث فى نوفمبر سنة ١٩١٠ أن مر الخديو عباس حلمى الثانى بمدينة طنطا ففوجىء بالطلبة مصطفين على رصيف المحطة يهتفون للدستور . وانزعجت الحكومة من هتاف الطلبة واهتزت دوائر الاحتلال البريطانى لنبأ هذه

المظاهرة ، التى كانت قوية وعنيفة ومنظمة فألقى القبض على اكثر من عشرين طالبا بتهمه انتمائهم الى جمعية سريه وقد تولى الرافعى الدفاع عن هؤلاء الطلبه واعتبر قضيتهم قضيه الدستور والحريه وراح ، كما قال صاق عنبر ، يثبت براءة الطلبه ويحتج على مسلك الحكومة حيالهم .

وفى اغسطس سنه ١٩١٠ حكم على الشيخ عبد العزيز جاويش رئيس تحرير جريدة الحزب الوطنى بالحبس ثلاثة اشهر مع النفاذ ، فخلفه أمين الرافعى فى رياسه تحرير صحف الحـــزب الوطنى ولا نقول صحيفته لأن سلطات الاحتلال كانت تلغى بجرة قلم أى صحيفة يصدرها الحزب الوطنى ، ليصدر الحزب - كماسبق أن ذكر الاستاذ أحمد وفيق - صحيفة أخرى فى نفس اليوم تحت أى اسم ثم ألقى بالزعيم محمد فريد فى السجن لمدة ستة أشهر بنفس التهمة التى حوكم من اجلهـا الشيخ عبد العزيز جاويش وهى « تحسين كتاب وطنيتى » للشـيخ على الغاياتى وكان أمين الرافعى يوم أن قدم محمد فريد الى المحاكمة قد كتب بتاريخ ١٩١١/١/٢٤ مقالا تحت عنوان « انزلوا بنا ما شئتم من الشدة » وعلق فى ٢٧ يناير ١٩١١ على الحكم على رئيس الحزب الوطنى بالسجن فقال : « ما أصدرت المحاكم فى مصر حكما قابلته الأمة من كبيرها الى صغيرها بمثل هذا الاستياء الذى قوبل به حكم أمس فان حبس الرئيس فى حد ذاته لا يضيره ولا يلحق بنا شيئا من الأذى ويكفيه ويكفينا ذلك المطف الذى يقوى تياره ويضم الى الحركة الوطنية قوى جديدة ، كما قال « جورنال دى كير » . والحق يقال اننا لو ظللنا هذه الستة أشهر نخطب بأقوى لسان ونكتب بأرهف قلم فى سبيل المبادىء الوطنية لما استطعنا ان نجمع حولنا جزءا

من تلك القوى الجديدة التى انضمت الينا » .

وكان اللورد كتشنر الذى جاء الى مصر فى يوليـــو ١٩١١ خلفا للسير الدون جورست المعتمد البريطانى قد رأى أن يحكم البلاد بيد من حديد وأن يلقى بقائد الحركة الوطنية الى السجن مرات ومرات ليتخلص منه . وآثر محمد فريد فى مارس ١٩١٢ ان يغادر البلاد لمواصلة كفاحه فى أوروبا ، وقد تاثرت الحركة الوطنية من هجرته على النحو الذى فصلناه فى كتابنا عن محمـــد فريد ، فتوقف الى حد كبير انشاء النقابات والجمعيات التعاونية ومدارس الشعب ، وأصيبت حركة الانبعاث القـــومى الثورى التى كادت تشمل البلاد جميعها ابتداء من عام ١٩١١ بالانكماش والضعف ، حتى قيادة الحركة الوطنية الممثلة فى اللجنة الادارية للحـــزب الوطنى قد أصابها الانقسام ولم تعد قادرة على الاجتماع لبحث أخطر الأمور التى مرت بالبلاد . وبلغ الأمر باللجنة الادارية أن أصبح بعض أفرادها يؤيد الاتفــاق مع الخـــديو والبعض الآخر يعارض هذا الاتفاق .

ثم كان ان اجتمعت اللجنة الادارية فى سبتمبر ١٩١٢ لبحث موضوع مقالات كان محمد فريد قد نشرها فى صحيفتى « لى سييكل » و « لاكسيون » الفرنسيتين تتضمن طعنا فى الخديو عباس حلمى الثانى وتكشف اتفاقا سريا تم بينه وبين انجلترا تتولى بريطانيا بمقتضاه حماية مصر وفصلها عن الدولة العلية مقـــابل تنصيب الخديو خليفة للمسلمين وقد أبلغ على فهمى كامل بصفته وكيلا للحزب الوطنى محمد فريد بوصفه رئيسا للحزب بخطاب مؤرخ فى ١٣ سبتمبر ١٩١٢ يسأله فيه طبقا لقرار اللجنة ـ « عما اذا كانت هذه المقالات بقلمه أم لا » ويخبره بأن

اللجنة قد حددت له ثلاثة أسابيع للدفاع فيها عن نفسه طبقا للقانون الأساسى للحزب والا فانها تعتبر عدم رده امتناعا عن الاجابة » وقد أحدث هذا القرار من اللجنة الادارية ثورة داخل اللجنة ذاتهـــا وداخل الحــزب أيضا .

أما داخل اللجنة فقد رأى المسالمون للخديو نشر قرار استنكار اللجنة للمقالات فى الصحف فلما لم ينشر هـذا القرار استقالوا ومن بينهم على المنزلاوى ومحمود فهمى سكرتير الحزب . وفى داخل اللجنة الادارية أيضا هدد المالئون لمحمد فريد بالاستقالة اذا نشر أى شىء يتعلق باستنكار اللجنة لهذه المقالات موضع التحقيق .

وفى داخل الحزب رأت الغالبية أن مجرد اثارة هذا الموضوع والحديث عن التحقيق مع محمد فريد رئيس الحزب الذى انتخبته الجمعية العمومية للحزب للرئاسة مدى الحياة ، يعد عملا غير قانونى وغير أخلاقى فى الوقت نفسه وقد رد محمد فريد على خطـــاب على فهمى كامل بالاستقالة من الحزب « مراعاة لصالح الحــركة الوطنية أقدم هذه الاستقالة من رئاسة الحزب وعضوية اللجنة الادارية راجيا عرضهـــا على الجمعية العمومية المختصة دون غيرها فى قبولها ، مع التأكيد بأنى باق على مبادىء الحزب العشرة خادما لها وللوطن المحبوب الى آخر نسمة من حيـــاتى التى وقفتها على خدمة الوطن وأهله » وبالطبع لم يجرؤ على فهمى كامل ولا اللجنـــة الادارية على دعوة الجمعية العمـــومية للاجتماع لبحث استقالة محمد فريد لأن الجميع يعلمون أن الجمعيـــة العمومية لا يمكن أن تقبل استقالة محمد فريد وهى التى

اختارته ـ منذ فترة قصيرة ـ رئيسا للحزب مدى الحياة.

واذا كان خطاب التحقيق مع محمد فريد الذى وقعه على فهمى كامل يحمل تاريخ ١٣ سبتمبر ١٩١٢ فان استقالة أمين الرافعى من رئاسة تحرير « العلم » لسان حال الحزب الوطنى كانت بتاريخ ١٥ سبتمبر ١٩١٢ : لقد فوجىء الرأى العام بالعلم ينشر فى صفحته الاولى مقالا يحمل عنوانه : « لماذا استقلت من تحرير العلم ؟ »

ويقول الرافعى فى مقاله انه قدم الاستقالة وكان يرغب فى ألا يكتب بشأنها كلمة ما ، ولكنه وجد نفسه مدفوعا الى بيان أسباب الاستقالة لفرضين : اولا : دفع ما علق بالاذهان مما لا يتفق وحقيقة الواقع . وثانيا تقرير مبدأ من مبادىء مصطفى كامل يريد فريق من اللجنة الادارية للحزب الوطنى بعد ان استقال أكثر أعضائها ان يحيد عنه لغير سبب معقول . ورد الرافعى على ما ذهب اليه البعض من انه لم يقدم على الاستقالة الا تخلصا من الظروف الحاضرة . فقال : انى لاقول لأصحاب هذا الرأى انه لو كان لمثل هذا الدافع سبيل على لآثرت البقاء فى سويسرا حينما حمل الى البرق نبأ اشاعة النفى المعروفة، وأظن أن هذه الكلمة كافية لدفع تلك التهمة عنى وقد ذهب فريق آخر الى اننى ابيت أن أذعن لقرار اللجنة الادارية الذى يقضى بايجاد رقابة على تحرير العلم وهذا ظن لا محل له لأن الذى يطلب صباح مساء أن يكون على الحكومة رقابة من الأمة لا يأبى وجود رقابة على تحرير « العلم » من اللجنة التى تعبر عن لسان الحزب، فليست الجرائد التى نصدرها الآن ملكا لفرد تسير حسب أغراضه وانما هى لسان حال جماعة او هيئة او حزب فلا يمكن أن تؤدى وظيفتها حق الأداء اذا لم تكن

عليها رقابة من الهيئة التى تعبر عن ميولها . ولا جرم انها اذا استبد بها فرد أو بضعة أفراد فقدت مركزها الذى حصلت عليه بسبب تعبيرها عن أفكار مجموع لا أفكار فرد واحد »

ثم يقول الرافعى « أما السبب الحقيقى لاستقالتى فهو ما رأيته من أنى سأكون فى يوم ما على خلاف مع بعض أعضاء اللجنة الادارية الذين يسيرون شئون الحزب الآن ، بعد أن علمت من أمر نزعتهم التى ترمى الى الحيدة عن مبدأ من أهم مبادىء مصطفى كامل وهو أن يكون للحزب الوطنى وجود ذاتى مستقل واذا كنت أمقت كل شقاق داخلى فقد آثرت التنحى عن تحرير العلم قبل أن يحدث ذلك الاحتكاك المسبب للخلاف »

وفى اليوم التالى — ١٧ سبتمبر — تنشر «العلم» لعلى فهمى كامل وكيل الحزب الوطنى كلمة تحت عنوان : « لماذا استقال أمين الرافعى » يقول فيها : ما كان بودى أن أكتب كلمة واحدة فى هذا الشأن لولا أن المستقبل عزيز علينا .

انى أرى خطأ بينا فى الخطة التى اتبعها أمين أفندى لسببين : الأول : انه استقال فى هذه الظروف التى أرى الوطنية المصرية فيها أحوج اليه منها فى غيرها . الثانى : انه بنى الاستقالة على سبب لا يصح ان تبنى عليه ، لأن القلب الوطنى الكبير لا يتخلى عن العمل لوجود فرد أو أفراد يتنصلون عن مبدأ من مبادىء الحزب بل على العكس يتمسك بعمله أكثر من قبل ليحارب هؤلاء الخارجين ان كان ثم حقيقة خارجون ، لذلك ألح على حضرة أمين أفندى الرافعى باسم الوطن والوطنية أن يسترد استقالته هذه وأن يقدم شكواه بالوسائل

المشروعة فى قانون الحزب ضد من يتهمهم بادخال الحزب فى أحضان أية سلطة من السلطات والله الهادى الى أقوم سبيل »

وفى نفس العدد الذى نشرت فيه كلمة على فهمى كتب أمين الرافعى مقالة تحت عنوان « رد على رد » رد فيها على ما كتبه على فهمى كامل معلنا تمسكه باستقالته .

ويبقى الرافعى بعيدا عن العمل الصحفى لفترة قصيرة وفى ديسمبر ١٩١١ تصدر الحكومة قرارا بتعطيل جريدة « العلم » ثلاثة أشهر بحجة سلوك العلم مسلك الطعن فى الحكومة مما يحمل الناس على كراهيتها وذلك لنشره مقالا بتاريخ ١٨ ديسمبر ١٩١١ فيه انتقاد للاحتلال والحكومة. وأصدر الرافعى صحيفة الشعب وأصبح رئيسا لتحريرها وأصبح « الشعب » بعد فترة لسان حال الشعب ونال « الشعب » المكانة التى كانت للواء أيام مصطفى كامل وظل أمين الرافعى يصدر الشعب الى أن أغلقها فى ٢٨ نوفمبر ١٩١٤ : ويمكننا أن نلخص عمل أمين الرافعى فى تلك الفترة من حياته بعد أن نخرج من مدرسة الحقوق فى صيف عام ١٩٠٩ الى نوفمبر ١٩١٤ عندما أغلق بمحض ارادته صحيفة الشعب فيما يلى :

* كان الرافعى يناقش أحداث العام الذى مضى : اما فى أخريات أيام ذلك العام ، واما فى الايام الاولى من العام الجديد . وكانت مناقشاته تتسم بالصراحة يقول ما للأمة وما عليها فيما مر بها من احداث ، وكان ينتهز كل فرصة للاشادة بجهود العاملين من أبناء الشعب ويحمل بكل ما يملك من قوة على خصوم الشعب .

* وكما تعود الرافعي مناقشة أحداث كل العام بصراحة وجرأة ، تعود كذلك مناقشة تقارير المعتمد البريطاني في مصر التي كانت تصدر عادة في منتصف كل عام وتحوى من وجهة النظر الاستعمارية ابرز معالم احداث العام وكان « أمين » من أجرأ من تناول هذه التقارير وقد رد على من تساءلوا في ٣٠ مايو ١٩١٣ « عن فائدة الكتابة في هذا الموضوع والمعتمد البريطاني سيظل نافذ الكلمة فقال : « ان الكتاب الذين يتوخون في كتابتهم تجنب كل ما يمس الاجنبي عن البلاد ابتغاء أن يكسبوا رضاه ويحملوا الأمة على الركود اليه انما هم جناة »

* ولم يكن الرافعي يترك مناسبة من المناسبات الوطنية (مثل ١١ يوليو تاريخ ضرب الاسكندرية) ، (١٤ سبتمبر دخول القوات البريطانية القاهرة) الا استغلها لتعبئة الشعور الوطني وقد طالب في ١٤ سبتمبر ١٩٠٩ تحت عنوان : « الحداد الحداد .. أيتها الأمة » باعلان الحداد في هذا اليوم الذي وطئت فيه جنود الاحتلال أرض هذا البلد فكان آخر عهدنا بالاستقلال » وعندما استجاب الشعب الى دعوته وخرجت الصحف مجللة بالسواد كتب في ١٤ سبتمبر يطلب من الأمة الا تنسى هذا اليوم . ويقول : اذكروه ولا تنسكم الايام ما حل بكم فيه »

* اهتم الرافعي اهتماما خاصا بانتخابات الجمعية التشريعية بالرغم من مقاطعة الوطنيين لها وكان من رأيه تشجيع العناصر الطيبة مهما تكن الاحزاب التي ينتمون اليها ، وقد عارض في ١٦ سبتمبر ١٩١٣ اشتراط الثروة في المرشحين وقال ان هذه الشروط من بقايا الأنظمة القديمة التي تفشت في القرن الثامن

عشر لأنهم يعتقدون أن صاحب الأطيان والعقار هو الذى يحرص على مصلحة بلاده وهذا اعتقاد خاطىء لا يمكن أن يقام له وزن بعد أن تغلبت نظرية حكم الشعب على غيرها من النظريات وحتى أصبحت هذه النظرية أساسا للنظم الدستورية المتبعة فى كثير من البلاد » ونادى فى ٢٦ سبتمبر ١٩١٣ بأنه لابد من وزارة مسئولة أمام مجلس نيابى صحيح وبعبارة صريحة واضحة نريد انتقال السلطة الفردية الى الأمة لا الى غيرها نفاذا لتعاليم ديننا وعملا بمبادىء المدنية الحاضرة لأن الأمة مصدر كل حق وكل قوة ، وطالب بانشاء حزب للمعارضة داخل الجمعية التشريعية كما طالب بحرية الانتخابات ، ووقف الرافعى الى جانب سعد زغلول فى الانتخابات كما وقف الى جانبه فى أزمة من يرأس الجمعية التشريعية عند غياب الرئيس ؟ هل هو الوكيل المعين أم هو الوكيل المنتخب ؟ وكان سعد زغلول هو الوكيل المنتخب وكانت الحكومة تريد الوكيل المعين عدلى يكن باشا .

* ولم يكن الرافعى يهتم فقط بالمسائل السياسية بل كان يهتم أيضا بالمسائل الاجتماعية وكان يهتم بمشاكل التعليم ويكتب كثيرا عن مسائل الطلبة ومرة فى ٢٥ اكتوبر ١٩٠٩ كتب مقالا تحت عنوان « بنك الكستبان الاحمر » ، تعليقا على خطابات أرسلتها ناظرة مدرسة السنية الى أولياء أمور الطالبات لشراء « المرايل » من محل معين صاحبه انجليزى وكان مما قاله : انه لا يجوز لحضرة الناظرة أن تعلن عن محل تجارى مهما كانت جنسية صاحبه ، بارغام تلميذاتها على شراء ملابسهن منه فان فى ذلك تعسفا لا معنى له »

* كان الرافعى من خيرة الملقين العسكريين الذين

ظهروا فى الصحافة المصرية فى العشرينات فكان يحـرر مقالاته عن المعارك الحربيه ، سواء فى حروب البلقان أو فى بداية الحرب العالمية الاولى فى صورة مستحدثة مدعمة بالوثائق والخرائط ، وآراء الخبراء الفنيين العسكريين فى المعارك السابقة الامر الذى جعل الرأى العام يهتم اهتماما خاصا بهذه المقالات ويعجب اعجابا شديدا بسداد رأيه واتقانه الفن العسكرى والمران الفنى فيه حتى ذاع صيته واكتملت شهرته كما يقول رفيقه أحمـــد وفيق فازداد اقبال الجمهور على جريدة الشعب اقبالا عظيما لأنه ـ كما يقول صادق عنبر ـ كان يرى فيها الحقائق التى كانت تحجبهـا البـلاغات الرسمية وازداد عجب الرأى العام بلباقته وشجاعته وسداد رأيه . وقد جمع أمين الرافعى مقـالاته عن الحـرب فى ثمـانية كراسـات أعتقد أنها ضرورية لكل من يؤرخ « الحـــرب العالمية الأولى » وكانت الصحف المعادية للحركة الوطنية تحمل عليه بسبب مقالاته عن الحرب وقد رد فى ١٩ اكتوبر ١٩١٤ على « المؤيد » و « الاجبشيان جازيت » قائلا ان ما نكتبه عن الحرب لا يمليه علينا تحيز ولا ميل لفريق دون آخر ، وانما يمليه علينا نظـرنا الى الامور نظرا مستقلا ، وكثيرا ما تتفق كتاباتنا وكتابات غيرنا الذين تروق خطتهم منتقدينا وانما الفارق هو ان خصومنا ينظرون الينا بمنظار أسود ونحن على ثقة بأنهم لو نظروا الينا بالعين المجـردة من كل ما يثير الوهم الـكاذب لأراحونا معهم ولعلهم فاعلون بعد اليوم ؟

وكان آخر مقال للرافعى فى « الشعب » ما كتبه بتاريخ ٢٥ نوفمبر ١٩١٤ تحت عنوان « الحرب فى الميدان الشرقى ، وفى الميدان الغربى . وفى « البلقان وكان

هذا المقال كغيره من مقالات الرافعى عن الحرب تغطيـة كاملة وشرحا مستفيضا للحـــرب على جميع الجبهات ويصدر الشعب فى يوم ٢٧ نوفمبر ثم يختفى فى ٢٨ نوفمبر ١٩١٤ بعد أن قرر الرافعى اغلاقه حتى لا ينشر خبر اعلان الحماية البريطانية على مصر وكان العدد الأخير من الشعب يحمل رقم ٨٥٤ .

الرافعي في السجن

كان الرافعي في شهر مايو ١٩١٤ يستشفي كعادته من كل عام في بعض المدن الأوروبية وفوجيء باقتراب ألسنة اللهب من مستودع البترول الذي كانت ترقص فوقه أوروبا وعندما أطلق الشاب الصربي برنسيب رصاصاته من قلب مدينة سراييفو ، الى قلب الأرشيدوق فرانسوا فرديناند ولي عهد النمسا في ٢٨ يونيو ١٩١٤ أيقن الرافعي ، انها الحرب وأعلنت النمسا الحرب ضد الصرب وهبت روسيا لنجدة الصرب ، وانتصرت المانيا لحليفتها النمسا ، ووقفت فرنسا وانجلترا الى جانب روسيا ، وكان من المؤكد الا يعود الرافعي الى مصر فما بينه وبين الاحتلال البريطاني من الخصومة والعداء يعني أنه سيصبح عند عودته نزيل السجون والمعتقلات ، ولكن الرافعي أصر على العودة الى بلاده فما يليق في رأيه بالجندي أن يبتعد عن الميدان وقت اشتداد المعارك وعاد الرافعي في ١٢ اغسطس ١٩١٤ ليستأنف جهاده في صحيفة « الشعب » ورأت بريطانيا أن الحرب لابد منتهية الى تحقيق حلمها القديم في ضم مصر الى ممتلكاتها ، وقررت أن تمهد لذلك « الضم » باعلان الأحكام العرفية وتعطيل جلسات الجمعية التشريعية . وقد انتقد الرافعي اعلان الأحكام العرفية لأن مصر

ليست مشتركة في هذه الحرب ، وانتقد تعطيل جلسات المجالس النيابي لأن الدول التي تحارب لم تعطل مجالسها النيابية ، اذ ان عمل المجالس النيابية في وقت الحرب أهم منه في وقت السلم . واستدعى الرافعي بعد أيام من اعلان الاحكام العرفية لمقابلة المستشار الداخلي للمعتمد البريطاني في مصر ، وتحدث المستشار طويلا عن ظروف الحرب وضرورة اعلان الحماية البريطانية على مصر كاجراء وقتي وهدد الرافعي براسه ورءوس زملائه اذا هو انتقد ما سيحدث في مصر من انقلاب يتم في أثره اعلان الحماية كما هدد براسه ، ورءوس زملائه اذا حدث في البلاد أي حادث يشتم منه الثورة على الاحتلال البريطاني. وقال المستشار البريطاني في لين ونعومة : أما اذا رضخت لما سيحدث وعملت على تدعيمه فلك عندنا الحظوة ولك منا ضمان المستقبل . وثار أمين الرافعي ثورة عنيفة على المستشار البريطاني مؤكدا له ، أنه سيعارض اى اجراء يحدث في البلاد على قدر استطاعته . وأكد أمين الرافعي للمستشار البريطاني في كبرياء وثقة ، انه لا يمكن ان يكون آداة خيانة لبلده ، وكانت مصر – اسما – في بداية الحرب على الحياد ، الى ان دخلت بريطانيا الحرب ضد المانيا فبدأت حكومة مصر ، في ٥ أغسطس ١٩١٤ تنحاز اسما وفعلا ، وعندما دخلت تركيا الحرب ضد روسيا حليفة انجلترا ، في أول نوفمبر سنة ١٩١٤ أعلن مكسويل قائد الجيوش البريطانية في مصر الأحكام العرفية في ٢ نوفمبر ووضع الرقابة على الصحف كما اذاع في ٥ نوفمبر بيانا قال فيه ان بريطانيا تحارب لغرضين هما الدفاع عن حقوق مصر وحريتها التي كبتها

محمد علي في ميدان القتال واستمرار هذا القطر على التمتع باليسر والرخاء اللذين تمتع بهمـا مدة الاحتـلال البريطاني في ثلاثين سنة . ولعلم بريطانيا بما للسلطان بصفته الدينية من الاحترام والاعتبار عند مسلمي القطر المصري فقد أخذت بريطانيا على عاتقها جميع أعباء هذه الحرب دون أن تطلب من الشعب المصري أية مساعدة ، لكنها مقابل ذلك تنتظر من الأهالي وتطلب اليهم الامتناع عن أي عمل من شأنه عرقلة حركات جيوشها الحربية أو أداء أي مساعدة لأعدائها » .

وكان واضحا منذ ذلك الوقت والخديو عباس حلمي الثاني في تركيا انه لن يعود الى مصر ، وان أحدا من افراد أسرته سيحل محله في حكم البلاد . وقد نشرت صحيفة الشعب في٦/١١/١٩١٤خبراتحتعنوان:«البرنس حسين كامل » قالت فيه : حقيقة الواقع من سفر البرنس حسين كامل باشا ، بغتة بدعوة من العاصمة ووصوله اليها على قطار خاص هي ان الضرورة الهامة دعت لذلك وان دولته قابل عطوفة القائمقام الخديوي حسين رشدي باشا مقابلة طويلة وقابل أيضا جناب المستر شيتيهام وانه من الواضح ان أهمية عظمى تعلق على هذه المسألة ولكن جلية الأمر لم تعرف لأحد مطلقا في هذا الموضوع » .

ونشرت الشعب فيما بعد (٢٢/١١/١٩١٤) تحت عنوان مأدبة : أقام جناب القائد لجيش الاحتلال مأدبة في منزله لدولة الأمير حسين كامل باشـا وقد حضرها جناب المستر شيتيهام القائم بأعمال الوكالة البريطانية في مصر .

وبدا واضحا ان انجلترا ستعلن الحماية على مصر ،

وانها ستمنع الخديو عباس حلمى الثانى من العودة الى مصر وانها ستعين بدلا منه الأمير حسين كامل ، وكان معروفا ان قرار اعلان الحماية البريطانية على مصر ، لابد من نشره فى الصحف عند صدوره بسبب وجود الاحكام العرفية ووجود الرقابة على الصحف . وبعد مداولة قصيرة بين أمين الرافعى وبين شقيقه عبد الرحمن الرافعى وعبد الله بك طلعت مدير جريدة الشعب ، تم الاتفاق على اغلاق الشعب وكان الغرض من ذلك ألا ينشر اعلان الحماية المشئوم والبلاغات التى تستتبعها الحماية البريطانية . وكان قرار اغلاق الشعب فى وقت بلغت فيه صحيفة الشعب ذروتها فى الانتشار والرواج والمكانة الصحفية اذ كانت أوسع الجرائد انتشارا وكان الجمهور يتلقفها — كما يقول الاستاذ عبدالرحمن الرافعى—ليتعرف منها أنباء الحرب العالمية ويتحسس منهاالاتجاهاتالوطنية كان قرار ايقاف صدورها تضحية مالية كبيرة .

وقد وصف د . عبد العزيز رفاعى فى كتابه ثورة مصر سنة ١٩١٩ قرار أمين الرافعى بوقف اصدار جريدة الشعب بأنه أول احتجاج مصرى على الحماية البريطانية . وقد صدرت الشعب فى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩١٤ معلنة انها ستحتجب من اليوم وانها ستعود الى الظهوربمشيئةالله .

وقد كان الرافعى ، وهو الذى كان أول صوت مصرى احتج على اعلان الحماية البريطانية ، من أوائل المعتقلين . وقد أودع فى البداية سجن الاستئناف بالقاهرة . ويروى الاستاذ عبد الرحمن الرافعى قصة هذا الاعتقال فيقول : كان اعتقالى بالمنصورة يوم ١٧ اغسطس سنة ١٩١٥ وفى نفس اليوم اعتقل لفيف من أهل المنصورة ممن عرفوا بميولهم الوطنية ورحلونا

معتقلين الى القاهرة حيث أودعونا سجن الاستئناف بباب الخلق وهناك التقيت بأخي أمين الرافعي وبفوج آخر من الوطنيين اعتقلوهم عصر يوم اعتقالنا وكان نظام الاعتقال بسجن الاستئناف أن تخصص كل غرفة من الغرف الانفرادية لاثنين من المعتقلين وقد استقبلنا موظفو السجن وعماله بالاحترام والتقدير لأنهم عرفونا وعرفوا أسباب اعتقالنا . وفى ٣٠ أغسطس جاءنا الفرج لا باطلاق سراحنا بل بنقلنا الى معتقل اعدوه لنا بدرب الجماميز فى مبنى مخازن وزارة المعارف ، ذلك ان اعتقالنا فى سجن أعد لاستقبال المحكوم عليهم أو المنتظر ان يحكم عليهم فى الجرائم قد قوبل بالسخط والاستنكار وسمح لنا فى السجن الجديد أن نختار من الغرف الصغيرة والمتوسطة ما نشاء ، وأن يختار كل منا زملاءه فاخترت مع أخى أمين غرفة واحدة كان بابها مفتوحا فى كل وقت » .

وفى شهر سبتمبر سنة ١٩١٥ نقلونا الى معتقل آخر أعدوه لنا فى بلدة طرة بجوار ليمان طرة المشهور ويبدو أن سبب نقلنا الى هذا المعتقل الجديد ان السلطة العسكرية رأته أبعد عن أنظار الناس وعن الزيارات العائلية من معتقل درب الجماميز وربما كان من أسباب هذا النقل ايضا ان معتقل درب الجماميز ضاق بمن فيه اذ زاد علينا بعض طلبة الحقوق الذين اتهموا بتحريض زملائهم على الاضراب يوم زيارة السلطان حسين كامل لمدرستهم » .

أما أحمد وفيق فيقول : علمت وأنا فى طرة ان الرافعى وسائر اخواننا قد اعتقلوا فى سراى درب الجماميز حيث نقلت الى هناك فوجدته وجميع الوطنيين، الا بعض الجواسيس ، ثم نقلنا الى طرة وسط لمعان

الحراب والسيوف داخل عربات السجن ونحن نصيح : « لتحيا الحرية ليحيا الاستقلال » وكان الرافعى هناك خير معين لنا على تفهم التحركات الحربية والمعارك الدموية وقت فراغه من عبادة الله والخلوة إليه ، وقد مكث هناك الى أن اكتمل اعتقاله احد عشر شهرا تحمل فيها الصبر على مرها وتجرع علقمها فى ايمان لا يتزعزع وعقيدة لا تتزلزل » .

ومن بين مخلفات أمين الرافعى أصول بعض الخطابات التى أرسلها الى حكمدار القاهرة والى حسين رشدى باشا رئيس الوزراء ، وفى هذه الخطابات يطالب الرافعى بالتحقيق معه واحالته الى أى محكمة لتفصل فى أمره اذا كانت هناك تهمة ضده .. ويظهر ان الرافعى – وهذه أول مرة اعتقل فيها – كان حسن الظن بالحكام الى حد كبير .. لقد كان يلح باستمرار فى أن يعرف التهمة الموجهة اليه اذا وجدت ، ويلح فى التحقيق معه . ويضرب الأمثلة على ضرورة التحقيق وسهولته : « لقد وقعت أخيرا جريمة شنيعة هى جريمة الاعتداء على احد الوزراء فكانت ثمانية وعشرون يوما كافية للتحقيق فيها بواسطة السلطة المدنية فالسلطة العسكرية فالمحاكمة فالتنفيذ . فهل التحقيق – كما تساءل الرافعى فى كتاب منه الى حكمدار العاصمة بعد مرور شهرين على اعتقاله – مع البرىء يتطلب زمنا أطول من الذى تقتضيه محاكمة المجرم الاثيم ؟ » ويقول فى أحد خطاباته الى رئيس مجلس الوزراء : اذا اتهم شخص بالقتل ، وهو اكبر الجرائم فان شهرا واحدا يكفى فى أغلب الاحوال لأن يسأل ويحقق معه ويحال على المحاكمة ويصدر الحكم بشأنه .. وأما ذلك الشخص البرىء الذى ضمن له دولة

رئيس الوزراء انه لا يصيبه اذى ما دام على راس الوزارة والذى صرح سعادة النائب العام فى محضر التحقيق الرسمى انه لم يعمل عملا ما ضد الحكومة ـ هذا الشخص يترك نسيا منسيا دون أن يعرف على الاقل التهم الموجهة اليه . ان البرىء يعامل أبشع من معاملة المتهم بالقتل ، اذا كان ثمة تهمة موجهة ضدى فليحقق معى ولتحيلونى على أى محكمة ترونها فاذا وقع المستحيل وأصدرت المحكمة حكمها بادانتى واعتقلت بناء على حكمها فاننى أكون أقل ألما مما أنا عليه الآن وأنا سجين بغير حكم ، ومعتقل بغير تهمة أعرفها ولمدة لا أعلمها » وقد يلام الرافعى على اسرافه فى المطالبة بالافراج وفى ثقته فى عدالة الحكومة المتواطئة مع الاحتلال . ذلك الاحتلال الذى كان الرافعى أول من احتج عليه وأغلق صحيفته حتى لا ينشر قراره باعلان حمايته على مصر . ولكن يظهر من خلال خطابات الرافعى الى رشدى باشا وحكمدار العاصمة ان المعتقلين كانوا يعاملون أسوأ معاملة ، فالحياة فى نظرهم أصبحت لا تطاق بأى حال ، فالجو ردىء والرياح تحمل اليهم من الأتربة ما يتلف العيون ، والماء لا يصلح لشىء من ضرورات الحياة ، والروائح الكريهة تنبعث من المراحيض الموضوعة على طريقة تخالف القواعد الصحية ، وفوق هذا فان الليل لا يكاد يرخى سدوله حتى يصبحوا فى ظلام حالك فاذا أرادوا مغادرة الخيمة الى الخارج أو الى خيمة اخرى عثرت أقدامهم فى حبالها أو أوتادها . وقصارى القول ان صحتهم اصبحت مهددة بخطر كبير اذا طال اعتقالهم فى طرة اكثر مما فات .

وبعد أن بقى الرافعى وشقيقه عبد الرحمن فى طرة الى فبراير ١٩١٦ نقلا الى معتقل آخر بالجيزة فى مبنى

سجن قديم مهجور كان يعرف بالسجن الأسود .

ويقول عبـد الرحمن الرافعي انهم مكثوا في هـذا السجن الى ان أفـرج عنهم يوم ١٧ يونية سنة ١٩١٦ « أى مكثنا معتقلين عشرة أشهر وكان الافراج عنى مع اخي أمين بك وعبد الله بك طلعت في يوم واحد . وقد ذهبوا بنا نحن الثلاثة الى الاسكندرية حيث اعدوا لنـا عدة زيارات اقترنت باطلاق سراحنـا فقابلنا حسين رشدى باشا رئيس الوزارة في منزله بالرمل بمحطـة كارلتون (محطة رشدى باشا) ثم ذهبنا الى سراى رأس التين ، حيث قابلنـا المغفور له السلطان حسين وقد استقبلنا بعطف وحفاوة والتفت في ختام حديثه معنا الى أخي أمين وقال له : طلع الفازيتة يا أمين بك » ووعده بالمساعدة المالية لاصـدار الفازيتة (الفازيتة يعنى الصحيفة) على أن أمينا رحمه الله لم يفكر في اعادة صحيفة الشعب طيلة مدة الحرب » .

وبعد خروج أمين من الاعتقال اشتغل عاما بالمحاماة ، ولكنه وجـد نفسـه بحاجة ماسة الى الراحة من آلام الاعتقال . وفي فترة الحرب بذلت محاولات عديدة معه لاصدار صحيفة الشعب من جديد فلما رفض رفضـا باتا ، بذلت محاولات عديدة مع عبد الله بك طلعت ، أحد أصـحاب الامتياز ونشرت الأهرام كنوع من الضغط ـ في ٢٠ يوليو ١٩١٨ ـ تحت عنوان : طلب تجديد الشعب « اتصل بنا أن عبد الله بك والذين كانوا يصدرون معـه جريدة الشعب المعروفة التمسوا منذ يومين من وزارة الداخلية أن تأذن لهم في تجديد نشر الشعب » . وفي ٢١ يوليو نشرت الأهرام « أبلغنا حضرة الـكاتب الفاضل أمين بك الرافعي انه لا ينوى العـودة الى الاشتغال

بالصحافة . وانه عازم على الانقطاع الى المحاماة فنتمنى لحضرته النجاح » . وفى ٢٢ يوليو نشرت الأهرام ـ ولكن على لسان عبد الله بك طلعت ـ انه لم يقدم طلبا الى وزارة الداخلية ولكن صاحب امتيازها محمود عثمان افندى هو الذى قدم ذلك الطلب وحده منفردا .
وعاد الأهرام الى الموضوع بعد ذلك فنشر بيانا لمحمود أفندى عثمان يكذب فيه ما قاله عبد الله طلعت من انه طلب الى الداخلية الاذن له باصدار الشعب .. واكد انه ليس له حق طلب تجديد نشر الشعب اذ لا علاقة له به كما بذلت محاولات عديدة لاخراج أمين الرافعى من مصر لاصدار الشعب فى الخارج . وقد جاء الحديث عن هذه المحاولة فى المذكرات الخطية للزعيم الوطنى محمد فريد .

على أن الرافعى ، وان انقطع عن العمل بالصحافة تماما ولم يعد يعمل بالمحاماة بعد الافراج عنه قليلا أو كثيرا ، الا انه شغل وقتــه بالدراسة والبحث ، وكتابة بعض المذكرات السياسية التى تهم الرأى العام فى مصر كما تهم الرأى العام فى الخارج ، اذ كان الرافعى على ثقة تامة بأن الحرب العالمية الأولى لن تطول أكثر مما طالت وان الألمان وحلفاءهم قد أنهكهم الحرب ولابد لهم من الاستسلام ، ولهذا فقد أنفق الرافعى ، كل وقته وجهده لوضع مذكرات مستفيضة عن القضية المصرية تصلح لما بعد الحرب ، ولم يكتف الرافعى بكتابة هذه المذكرات باللغة العربية بل ترجمها الى اللغة الفرنسية وأعدها حتى قبل أن تعلن الهدنة كما اشترك الرافعى فى عدد من الاجتماعات السياسية التى تمت فى صيف عام ١٩١٨ ، والتى كانت تبحث مصير مصر بعد الحرب العالمية الاولى .

من جنود ثورة ١٩١٩

لى رأى خاص — قد لا يوافقنى عليه كثيرون — هو ان ثورة ١٩١٩ تأخرت فى الحقيقة عن موعدها تسع سنوات . وأن الشعب المصرى بمنظماته السرية والعلنيه كان قد بدأ يستعد للثورة المسلحة وان بوادر هذا ظهرت فى أعمال الفدائيين المصريين ، ولكن الثورة تأخرت مرتين : مرة بسبب نفى محمد فريد من مصر وانشقاق القيادة عقب سفره ، ومرة ثانية بقيام الحرب العالمية الأولى . يؤكد هذا ان مقاومة الاحتلال البريطانى لم تتوقف خلال أيام الحرب رغم اعتقال القيادات الوطنية ورغم اتخاذ أعنف الاجراءات الاستبدادية من قبل سلطات الاحتلال . لقد عبر الشعب المصرى فى أكثر من مكان وفى أكثر من موقعة عن غضبه لاعلان الحماية على مصر ولتعيين حسين كامل سلطانا ، فمن مظاهرات شعبية عارمة استولى فيها المتظاهرون على بعض المخابز ومحال البقالة واتجه فيها بعضهم — وكانوا من الطوائف الذين جمعتهم سلطات الاحتلال قهرا وظلما — الى سراى عابدين وأصيب عدد كبير منهم بجروح بالغة ومن نفى لبعض القيادات النسائية كنعمت هانم حرم حجازى بك وحرم عبد الباقى العمرى لانتقادهن المستمر لسلطات الاحتلال ومن انطلاق العديد من الجمعيات السرية ومحاولات التخلص من السلطان

حسين ومن بعض وزرائه الذين مالأوا المحتل الغاصب ، وغير ذلك من مظاهر الغضب الشعبي الذي انفجر غداة اعلان الهدنة في ١١ نوفمبر ١٩١٩ . لقد ذهب ثلاثة من زعماء البلاد هم سعد زغلول وعبد العزيز فهمي وعلي شعراوي — في ١٣ نوفمبر ١٩١٩ — للمعتمد البريطاني في مصر سير ونجت للحديث معه في مطالب البلاد ، اما أمين الرافعي فقد لجـأ للتعبير عن رأيه حيال الاحتـلال البريطاني الى طريقة أخرى غير طريقة مقـابلة المعتمد البريطاني . لقد أعد في منتصف نوفمبر ١٩١٩ مذكرة سياسية عن القضية المصرية طبعهـا بعد ترجمتها الى اللغة الفرنسية وأرسلها الى معتمدي الدول الأجنبية في مصر لابلاغها الى رؤساء دولهم وللرئيس الأمريكي ويلسون وغيره من رؤساء الدول المشتركة في مؤتمر الصلح ، ونشر الرافعي هذه المذكرة باللغة العربية في مصر وحرص على أن تـكون بين أيدي المشتغلين بالقضـية الوطنيه والشباب باعتبارها مرجعـا هاما من مراجع القضيه المصرية ، وهذه المذكرة كما يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعي أول مذكرة سياسية وضعت بشـأن القضيه المصرية عقب الهدنة وكانت من الوثائق الهـامة التي وجهت الأنظار في ذلك الحين الى التمسك بالاهداف الوطنية وكان لها تأثيرها في تنوير الأذهان وتبصير الرأي العام بحقائق قضية البلاد » .

وليس هنا — في رأيي — مجال الحـديث عن ثورة ١٩١٩ . وكل ما نستطيع قوله ان الهدنة قد أعلنت وكل قيادات الحركة الوطنية التي حمل لواءها مصطفى كامل ومحمد فريد اما في السجون أو في المعتقلات أو في المنفى . وقد كان غياب محمد فريد عن مصر أثناء اعلان

الهدنة ، سببا فى ظهور قيادات جديدة غريبة عن مجال النضال القومى ، كرجال حزب الأمة ، الذين كانوا ينعمون طوال مدة الحرب ، بصداقة المحتل البريطانى ، وبعض العناصر ، التى ظهرت فى الجمعية التشريعية الـذين رأوا أن العناصر التى ظهـــــرت فى الجمعية التشريعيه ان الفرصـــة مواتيـــة لامتطـــــاء موجـــة الغضب الشعبى ، وقد سهل لهم هذه المهمة الجـديدة اختفاء القيادات الوطنية كمــــا سبق أن قلنا وظهور خلافات واختلافات حادة وعنيفة بين من بقى من قيادات الحزب الوطنى ذاتها ووجود جناح يؤيد الوفد المصرى فى بداية تشكيله يرأسه أمين الرافعى وعبـد الرحمن الرافعى ، ووجود جناح آخر يعارض زعامة سعد ورغم كونه هو الجناح الاقوى الا انه لم يستطع الوقوف أمام القــوة الجديدة التى تمثلت فى سعد زغلول .

وكسب الوفد معركته الأولى ضد الحزب الوطنى او ضد فلوله كما كان يسميهم انصار سعد ، وضم الوفد ــ الى عضويته ــ من تلقاء نفسه ودون استشارة احد من اعضاء الحزب الوطنى مصطفى النحاس وحافظ عفيفى باعتبارهما يمثلان مبادىء الحزب الوطنى وكان رأى أمين الرافعى فى هذه الفترة أن يفسح المجال امام كل من يريد خدمة بلاده وأن تعقد الوية الزعامة لمن شاء العمل باخلاص ، وكان سعد زغلول يعـرف حق المعـرفة ان شخصية أمين الرافعى من وجهة النظر الشـعبية أهم وأضخم من كثير من الشخصيات التى أختيرت لعضوية الوفد ، رغم كل ذلك لم يضم سعد زغلول «أمين الرافعى» لعضوية الوفد اذ كان سعد يعـرف أمينا حق المعـرفة ويعرف عنفه وثوريته وقوة تمسكه بالمبدأ الوطنى لذلك

رفض أن يضمه الى عضــوية الوفد حتى لا يــكون ثمة انشقاق خطير فى الوفد بين القوى الثورية والقـــوى المعتدلة فليس الخطر على القيادة الجديدة فى انقسامها الى معتدلين ومعتدلين وانما الخطر كل الخطر انقسامها الى معتدلين وثوريين ويبدأ الوفد عمله بارسال المذكرات .

وفى ٩ مارس ١٩١٩ انفجرت براكين الثورة .. لم يفجرها الوفد ، لم تفجرها سراى عابدين .. لم يفجرها المعتدلون او المتطرفون من القيادة وانما فجرها الشعب من تلقاء نفسه وكان هو القائد وكان هو المعلم وكان هو المنظم فى الوقت نفسه ، لم تــكن ثورة برجــوازية ولا ثوره للمنتفعين ولا ثورة للمعتدلين وانما كانت ثورة الشعب كله وعندما نفى سعد زغلول ورفاقه كانت اللجنة المركزية للوفد بالقاهرة وكان أمين الرافعى سكرتيرها المســاعد محور النشاط الثورى .

ويقول الأستاذ صادق عنبر عن دور أمين الرافعى فى هذه اللجنة : « بقى أمين يدير دفة الحركة الوطنية فى لجنة الوفد المركزية التى كان روحهـــا وقوامهـــا فكان يحرر قراراتها ونداءاتها ويدير حركاتها لمصلحة القضية الوطنية باخلاص ونزاهة وهو الذى كتب المقـــالات الشهيرة « الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا » باسم أحد أعضاء الوفد سنة ١٩١٩ وسنة ١٩٢٠ فأحدثت تأثيرا كبيرا فى الرأى العام ، وهو أول من دعا الى مقاطعة لجنة ملنر فى أنحاء القطر المصرى ووافقه الوفد على فكرته فكانت هذه الحركة موضع اعجاب العالم بما اظهرته الأمة من الاتحاد وتماسك الصفوف وصدق النظــر ، واستأنف جهاده فى الصحافة باصدار جريدة الأخبار فنالت من

المكانة لدى الجمهور ما كان للشعب والعلم واللواء من قبل .

ويقول الأستاذ أحمد وفيق : ما كان أمين الرافعى فى أثناء وجود الوفد فى الخارج الا محور اللجنة المركزية ومديرا لدفتها وقائدها الأعلى الى الأمام، ودائما الى الامام فى سبيل التمسك بالحق الكامل لمصر . وهذا محضر من محاضر جلسات اللجنة المركزيد للوفد . هي جلسة ٢٥ أغسطس ١٩١٩ :

« افتتحت الجلسة الساعة السادسة تحت رئاسة صاحب السعادة محمود سليمان باشا وعضوية اصحاب السعادة والعزة ابراهيم سعيد باشا وفتح الله بركات باشا وحسين بك هلال وراغب بك عطية وكامل بك بطرس ومرقص بك حنا وعلى بك المنزلاوى واحمد بك الشيخ وعلوى بك الجزار ومحمد عز العرب وعلى بك محمود وحسنين بك عبد الغفار وسالم بك السيد وصاروفيم بك مينا وعلى بك اسماعيل والسيد حسين القصبى وتوفيق بك دوس وعبد الرحمن بك فهمى وأمين الرافعى فحلف اليمين الأعضاء الذين لم يسبق لهم حضور الجلسات ثم حضر حضرة محجوب بك ثابت ، وبعد المناقشة فى مسألة الاكتتاب تقرر انتداب لجنة من حضرات محجوب بك ثابت وحسن بك هلال لوضع تقرير عن ذلك . ثم عرض على اللجنة بعد ذلك نتيجة المفاوضات التى دارت بينها وبين اسماعيل صدقى باشا ومحمود بك أبو النصر العضوين المنفصلين عن الوفد فى جلسات سابقة وهذه النتيجة تنحصر فى أن هذين العضوين المنفصلين عرضا على اللجنة أن تتوسط لدى الوفد ليعيد النظر فى قرار فصلهما بناء على كتاب يعترفان فيه باحترامهما لمبدأ الوفد

وخطته وقراراته وقد أدخلت اللجنة ما رأته من التعديلات على هذا الكتاب فقبلا ذلك وأصبح الجواب بالنص الوارد فى آخر المحضر وقد تلى على الاعضاء » . والذى يقرأ جلسات محاضر اللجنة المركزية يلاحظ ورود اسم أمين الرافعى فى آخر الأسماء وذلك لأنه كان يتولى سكرتارية الجلسات وكتابة المحاضر والبيانات . ويذكر الصحفيون الأجانب الذين زاروا مصر فى بداية ثورة ١٩١٩ أنهم كانوا يلقون كل معاونة من أمين الرافعى بوصفه سكرتيرا مساعدا للجنة الوفد المركزية ويذكر مستر لارى ود بالذات وهو أحد المراسلين الأمريكيين ضمن مايذكره الكثير عن معاونة أمين الرافعى للصحفيين الأجانب وكيف أنه قدم اليه عددا من الأسئلة الهامة ليجيب عنها بصراحة تامة وقد تم نشر الأسئلة والأجوبة فى صحيفة شيكاغو تريبيون الأمريكية .

ويصدر أمين الرافعى جريدة الأخبار لتكون لسان صدق للحركة الوطنية .. يصدر الأخبار لتكون صحيفة الحق والمسئولية .

صحيفة الحق والمسئولية

حمل صباح اليوم الثانى والعشرين من شهر فبراير ١٩٢٠ الى قراء اللغة العربية فى مصر والعالم العربى أول عدد من صحيفة « الأخبار » التى أصدرتها شركة الصحافة الوطنية وهى شركة توصية بالاسهم راس مالها عشرة آلاف جنيه،وكان أمين الرافعى الشريك الموصى فيها وكانت الشركة برئاسة فؤاد سلطان بك وكيل بنك مصر فيما بعد . وكان قد أصدر الأخبار فى البداية الشيخ يوسف الخازن من كبار الأدباء اللبنانيين ، وعندما عاد الى بلاده تنازل عن رخصة الجريدة للأستاذ عبد الحميد حمدى صاحب جريدة « السفور » الذى أصدر الأخبار فى أخريات عام ١٩١٨ بالاشتراك مع الاستاذ حسن الشيخة المدرس وقتئذ بمجلس مديرية الغربية ، ثم آل الاسم الى شركة الصحافة الوطنية . وفى أول عدد من الأخبار كتب أمين الرافعى عن احتجاب الشعب منذ خمسة أعوام كأول مظهر من مظاهر الاحتجاج الصامت على اعلان الحماية ، ثم تحدث عن قيام البلاد بالمطالبة بحق وادى النيل فى الحرية وعن استئناف جهادها الشريف .

وفى مجموعة الوثائق الخـــاصة بثورة سنة ١٩١٩ والتى نشرها وعلق عليهــا دكتــور محمد أنيس اشارات عديدة الى أمين الرافعى وجريدة الأخبار : فى التقرير رقم ١٠ الذى كتبه سعد زغلول من باريس بتاريخ ٧ مارس ١٩٢٠ جاء ما يلى : سررنا ان أصدر حضرة أمين بك الرافعى جريدة الاخبار التى نرجو لهـــــا التوفيق والنجاح بهمة البك المومأ اليه وحسن درايته الى أمل قوى فى أن تؤثر هذه الجريدة فى الجمهور أثرا محمودا وأن يقضى بها على الأضاليل التى بثها المهوسون فى العقول والاوهام التى يوسوسون بها فى الصدور وان تكون خيرا للغاية الشريفة التى نسعى اليهــا (١٨ ابريل ١٩٢٠) ويقول سعد فى خطابه الى عبد الرحمن فهمى « اذا كنت ترى فى ترتيب حملة خطابية الى جانب الحملةالصحافية فأنت حر فى اختيار الوسائل التى تؤدى الى هذا الغرض وفى هذا المعنى تكتب بالطبع كل جريدة حسب مشربها وأرجو أن تكون جريدة الأخبار فى مقدمتها وان تكون هى أول من يقود الرأى العام لأنها معتبرة جريدة الوفد المعبرة عن أفكاره وخططه وقلم محررها الفاضل أقدر الأقــلام على التعبير عن هذه المقــاصد فعليك أن تهز همته وأن تبلغه بأننا ننتظر من وطنيته وحسن تقديره لمنفعة القضية أن يخصص كل يوم مقالة فى هذا الموضوع وليس ذلك على كفاءته بكثير » . وفى الخطاب الذى أرسله سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمى بتاريخ ٧ مايو وردت الحاشية التالية : قرأت فى جريدة الاخبار حملة يدافع فيها حضرة أمين بك الرافعى بقلمه البليغ عن الوفد وأعماله ويخطىء الخارجين عليه والناقدين لخطبته فارتحت لنفادها لانها

منه الأولى من نوعها وأرجو أن يستمر حضرة الكاتب المومأ اليه فيما ابتدأه لأنه لا ينبغى أن يسكت عن هذا الموضوع ويترك القلم فيه لغيره ممن لا يعرفون الحقيقة مثله ولا يحكمون الدفاع مثل أحكامه وينبغى أن لا يتركوا الرأى العام يطيش من الطائشين أو يخمد من الفاترين وأن تسلكوا آية الوسط بين السبيلين والله ولى التوفيق.

وتنشر الأخبار فى ٢٢ فبراير ١٩٢٠ برقية من سعد زغلول : « الرافعى بك مدير الأخبار بالقاهرة ان مقالاتكم عن خطة الوفد تستوجب موافقتى وهى جديرة بكل انواع المديح فأشكركم : سعد زغلول » . ويقول الرافعى معلقا : والأخبار لا يسعها الا أن تشكر للرئيس الجليل حسن ظنه بها ، وهى لم تكتب ما كتبته الا معبرة عما تعتقده متفقا كل الاتفاق مع شعور الأمة واذا كانت قد أيدت خطة الوفد الأخيرة فلا شك انها لم تفعل سوى أن وضعت نفسها موضع المترجم عن صوت الشعب » . وكانت الأخبار تصدر فى أربع صفحات خالية من الصور ومن الاعلانات الا فى حالات نادرة ، وفى الصفحتين الثالثة والرابعة كانت الصحيفة تهتم اهتماما خاصا بأخبار الوفد، وتنشرها تحت عنوان التلغرافات الخصوصية ، وكان مقال الرافعى الذى يحمل اسمه ينشر فى الصفحة الثالثة تحت عنوان الحالة السياسية اليوم ، أما المقالات الاخرى التى لم تكن تحمل اسمه فقد كانت تنشر فى أى مكان من الجريدة ، وكانت الأخبار تهتم اهتماما خاصا بأنباء البلدان العربية كما تهتم بابراز وجهات النظر الانجليزية والامريكية والفرنسية وغيرها نقلا عن صحف تلك البلاد .. وتصف

جريدة كوكب الشرق صحيفة الاخبار فتقول : لما تألف الوفد المصرى كان أمين الرافعى أول من بايع الزعيم الجليل وبقيت جريدة الأخبار لسان حال الوفد الشبيه بالرسمي وبلغت مقطوعية الاخبـــار اليومية اعظم عدد استطاعت أن تخرجه وتوزعه صـــحيفة فى مصر وكان مراسلو الصحف الانجليزية فى مصر يتسابقون الى ادارة الأخبار علهم يظفرون بخبر أو تعليق أو رأى من الزعيم الصحفى فى ذلك الحين يبرقونه الى صحفهم » .

اهتمت الأخبار بالوفد وأخباره وتتبعت نشاط رئيسه وأحاديثه وركز الرافعى على ان الوفد هــو الأمة ، وان المسألة لم تعد مسألة أحزاب ، أو شيع وانما هى مســألة امة بأسرها . كما راحت تحاسب الاحزاب المعارضة للوفد حسابا عسيرا ، داعية الجميع الى الاتحاد فالسبيل الى نجاح القضية المصرية كمـــا يقول الرافعى هو الاحتفاظ بالأمل ، الاحتفاظ بالمبادىء الوطنية . واهتمت الأخبـــار ــ أو بمعنى أدق اهتم الرافعى فى الأخبار ــ بلجنة ملنر ومفاوضات لجنة ملنر والمشروع الذى قدمته اللجنة ، وراحت تناقشه مناقشة موضوعية وتدعو الشعب الى ابداء رأيه فيه ثم راحت تستكتب الشخصيات البارزة كحسين رشدى وعبد الخالق ثروت وعبد الرحمن الرافعى عن آرائهم فى المشروع ، بأربع مقالات متكاملة تعتبر مرجعا سياسيا ، لهذا المشروع الذى كان له أثره فى تطور الأحداث السياسية فى مصر ، وتتبعت الأخبار ما تقوله الصحف البريطـــانية عن القضية المصرية وراحت تناقش هــذه الصحف وترد عليها كما راحت تتبع مناقشات مجلس العموم البريطانى .

ويكتب الرافعى فى الأخبـــار دراســـات وافية عن

المفاوضات ينشرها فى كتاب مستقل ، كما يكتب دراسات عن السياسة الانجليزية حيال مصر . ويكتب أيضا عن سياسة التهديد بعد سياسة الخداع وعن « تقوية الاتحاد » وعن بعثة « سوان » التى تكونت من بعض أعضاء البرلمان البريطانى من حزب العمال الذين استضافهم سعد زغاول لزيارة مصر أملا فى أن يتحـــولوا عن مبدئهم فلم تزدهم الزيارة الا عداوة للقضية المصرية ، وقد فضح الرافعى سياسة حزب العمال البريطانى قبل أن تجىء البعثة وفى أثناء وجودها فى مصر كمـا كتب عن مبدأ الضمانات وخطره على الاستقلال « والى متى تصادر الحريات » ، ثم يختلف الرافعى مع الوفد المصرى حول تعديل أساس المفاوضات بين مصر وبريطانيا على النحو الذى سنفصله عند الحديث عن العلاقة بين سعد زغلول وأمين الرافعى ، ثم تعود المياه الى مجاريهـا بعد نفى سعد زغلول للمرة الثانية ، ثم يعود الخلاف مرة أخرى ويشتد الخـلاف وتعنف الحرب بين الوفد والأخبار ثم تهدأ الحرب وتوشك المياه أن تعود الى مجاريها .

وتقع الأخبــار فى أزمة مالية عنيفــة يسمع بها سعد فيبادر الى عرض مســـاعدته على أمين الرافعى ، ويرد الرافعى على هذا العرض فى رسالة (سبتمبر ١٩٢٣) يقول فيها : وقع من نفسى أحسن وأعظم وقع ما علمته من استعداد معاليكم لاقراضى مبلغا كبيرا من المال أعالج به الأزمة التى تجتازها الأخبــار الآن على أن أرده عنــدما تتحسن حالة الجريدة ، وانى لعاجز كل العجز عن أداء واجب الشكر لكم حيال النفسية الكبيرة التى دفعتكم الى ذلك وأرجو ان يكون اعترافى بالقصور خير معبر عمـا تكنه نفسي نحوكم ونحو عملكم النبيل ، ولكن وأنا واقف

على حالة الأخبار الآن أرى ان هذه الحالة لا تحتمل علاجا فقد دخل المريض دور النزع وحرام اقراضى ما لا ليس هناك أمل فى رده فليقف مجهودى الضعيف عند السهر على هذا المريض حتى يسلم النفس الأخير اذا قضت بذلك مشيئة الله . وفى الختام أكرر لمعاليكم شكرى واعترافى بجميل ما أظهرتموه من جميل العواطف التى لن أنساها ما حييت »

وعن قصة ادماج اللواء والأخبار يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعى فى مذكراته المخطوطة والموجودة لدينا « من المسائل التى بذلت فيها جهودا كبيرة وعانيت فيها متاعب شديدة اتحاد الأخبار واللواء واسناد رئاسة تحرير جريدة الحزب الوطنى الى أخى أمين ، وانى أعتبر نفسى صاحب الفضل الأكبر فى تحقيق هذا الاتجاه ولولاى لما تم ولقد ساعد فى ذلك كثير من اخوانى اعضاء الحزب الوطنى مثل عبد الحميد بك سعيد وزكى بك على وفؤاد بك حمدى ، وبذلك انقذنا الحزب الوطنى وجريدته وجريدة الأخبار من خطر الزوال ، فقد كانت حالة الأخبار المالية سيئة جدا لكثرة ديونها ونفقاتها وقلة ايراداتها .. وكثيرا ما فكرت مع أخى أمين فى طريقة لايقافها لا تكون منافية للكرامة ، وكذلك كانت حالة اللواء المالية ، وكان أعضاء الحزب يفكرون كذلك فى طريقة للتخلص منها ، ولا شك أن ايقاف اللواء هو كارثة على الحزب الوطنى لا يمكنه بعدها أن يرفع رأسه ، وايقاف الاخبار كارثة على الصحافة النزيهة وضربة كبرى لمركز أمين فى السياسة والصحافة ، فالمركز كان حرجا وقد أمكننا بتوفيق الله أن نضم الجريدتين باسم واحد « اللواء والأخبار » وبذلك استراح أمين من عناء المسئوليات الهائلة التى كان ينوء بها فى

اداره الاخبار ومن جهه أخرى تسب الحزب الوطني مكسبا كبيرا باسناد رئاسه تحرير صحيفته الرسميه الى صحافى قدير محترم والحق أن الجريده الجديده « اللواء المصرى والاخبار » صارت من ارقى الجرائد ماده وسياسة ، وكانت تصدر فى ست صفحات وكان هذا العمل خدمه كبرى اديتها بمساعدة الاخوان لأخى ولحزبى - لكن حالة الجريده الجديدة المالية كانت سيئه فان مصروفاتها كانت كثيره وايراداتها قليلة فان القراء لم يقبلوا عليها الاقبال الذى كنا ننتظره والحق ان الحالة المزريه التى وصلت اليهــا البلاد قد أضرت بالصحافة كثيرا لان كل قارىء كان يتعصب لجريدة حزبه فلا يقرأ سواها الا فى الصحف الاخبارية كالاهرام والمقطم ، وبذلك شــعرنا بالعجز الـكبير فى الايرادات واضطررنا الى الصرف من رأس المال الضئيل الذى أمكننا تدبيره للعمل المشترك واستمر العجــز فى الثلاثة الأشهر الأولى ، وعادت من جــديد فكرة ايقاف الجريدة الجديدة ، وطرقنا أبوابا كثيرة نستمد منهــا المدد فألفيناها موصدة وكان ظهور الجريدتين بالشــكل الجديد مظهرا لضعف الحزب الوطنى من الوجهة المــالية وارتباك حالته وتزعزع مركزه وهذا الارتباك له تأثير فى حالة الناس المعنــوية فان الأحزاب السياسية تستفيد وتخسر تبعا لمظاهرها أمام الجمهور . ولكننا لم نتراجع امام هذه الحالة لاننا كنا نفخر بأن حزبنا لا يمد يده الى أى هيئة ليكسب ويثرى ولو تساهل فى مبادئه لاستطاع ان يصل الى الغنى باتفاقه مع الحكومة أو مع أحزابها ، ولكنه فضل ان يحتمل غضاضة الفقر والعوز دفاعا عن مبادئه الوطنية وان الحزب الوطنى يحق له أن يفخر بانه يعيش برجاله ومبادئه وانه يعمل غير منتظر أجرا ولا شكورا

لأن الحزب الذى يسد على نفسه طريق الحكم فهو حزب بلغ أقصى درجات التضحية وانكار الذات ولقد كان فى استطاعة امين ان يستريح من عناء العمل الصحفى المضنى الذى احتمله بالصبر سنوات عديدة وأن يتبدل راحة وغنى ، لو انه رضى ان يسخر قلمه لخدمة حزب من الاحزاب الحكومية ، وقد سعت السراى فى أن تستخدمه وتفصله عن خطته الوطنية وعن الحزب الوطنى ، ولو قبل لتفتحت أمامه أبواب الثروة والجاه ولكن حمدا لله فان هذه المساعى قد اصطدمت بوطنيته وصدق ايمانه وتوكله على الله ، هذا وقد بدأ اندماج اللواء والأخبار فى ١٠ مايو سنة ١٩٢٥ واستمر حتى العدد الصادر فى ٢٢ أغسطس سنة ١٩٢٥ وعاد لكل من الجريدتين الوطنيتين استقلاله عن الأخرى » .

وتستمر الاخبار فى الصدور الى ان يضطر الرافعى الى اغلاقها فى فبراير ١٩٢٦ عقب الأزمة النفسية التى صادفته اثر اجتماع المؤتمر الوطنى الذى كان قد دعا اليه لأن المؤتمر لم يأخذ برأيه فى عدم اجراء انتخابات جديدة واعتبار مجلس النواب المنحل هو المجلس القانونى الذى يجب أن يستمر فى عمله ثم تعود الأخبار الى الصدور من جديد فى ١٢ مارس ١٩٢٧ .

وليس فى الامكان الاشارة الى كل المقالات التى كتبها الرافعى فى « الأخبار » فهى من الكثرة بحيث يصعب الاشارة حتى الى عناوينها ، فقد كان الرافعى يكتب باستمرار مقالة كل يوم ، وفى بعض الأيام كان يكتب أكثر من مقالة كذلك كان يكتب دراسات معتمدة على البحث والجهد الشاق كتب مثلا تسع مقالات عن تقرير ملنر وسبعا وعشرين مقالا عن مفاوضات الانجليز

بشأن المسألة المصرية وكذلك فيما يتعلق بالدستور وتصريح ٢٨ فبراير وشهر سبتمبر وما جره على البلاد من النكبات . وقد عارض أمين الرافعى بالحق كل الوزارات التى توالت على الحكم منذ ١٩٢٥ الى ١٩٢٧ كما أيد بالحق ايضا كل عمل جاد وجيد اقدمت عليه أية وزارة من تلك الوزارات ، وكمبدأ عام كان الرافعى يؤيد الوزارة عندما تكون فى خلاف مع الاحتلال البريطانى .

وللرافعى دستور صحفى التزم به دائما وهذا الدستور يتلخص فيما يلى :

ان كل من له مبدأ يريد أن يذود عنه ومن كان يبغى العمل فى ميدان النضال والجهاد يجب عليه أن يوطن نفسه على تحمل المشاق والمتاعب لأن رجال المبادىء وعشاق النضال لا يجدون فى طريقهم وردا يلقى عليهم وانما يصادفون شوكا ويلاقون عناء وعنتا . ان للحياة طريقين : أحدهما تسوده الراحة المادية والآخر تحفه المكاره والمتاعب ولكن تلك الراحة المادية التى يصادفها من يختار الطريق الاول لا تكون عادة مصحوبة بالراحة المعنوية فان من يؤثر الراحة المادية يرى نفسه فى كثير من الأحيان مفرطا فى واجبه نحو ضميره ونحو وطنه ، ونحو اخوانه ونحو خالقه ، أما الذى يريد أن يؤدى واجبه نحو ضميره ونحو اخوانه ونحو وطنه ونحو خالقه فيجب عليه أن يجد ويشقى ويتعب ويتألم وهو بهذا يفقد فى العادة الراحة المادية ولكنه يستعيض عنها ما هو أغلى قيمة وأعز أثرا وهى الراحة المعنوية ، وراحة الضمير الخالص الذى لا يجد فى هذه الحياة ما يحمل على الوخز والتأنيب وغنى عن البيان أن وخز الضمير أثقل على النفس من أى ألم مادى مهما كان شديدا لأن فى استطاعة الانسان أن يتحمل الآلام المادية ويعتاد

عليها أما تبكيت الضمير فانه يورث ألما لا يمكن احتماله بل انه ينغص عيش الابى تنغيصا قد يفضل المرء معه الموت على هذه الحياة بجميع ملذاتها ، واذا تركنا هذه المعنويات ونظرنا الى الصحافة من حيث هى فن أو مهنة وجدنا أنه بجانب الصحف التى تخصص أكثر أعمدتها لنقل حوادث العالم ولا تعنى بغير ذلك يجب أن تكون هناك صحف تقف أعمدتها لخدمة المبدأ فى ذاته » .

* العقيدة السياسية للمرء تشبه العقيدة الدينية فى كثير من الوجوه وأهم أوجه الشبه ان صاحب العقيده الثابتة فى كلتا الحالتين يلاقى صنوف المتاعب فى سبيل التمسك بعقيدته والاحتفاظ بها وعدم مخالفة تعاليمها الصحيحة ، كلما ضعف شأن العقيدة فى وسط من الأوساط أو زمن من الأزمان أصبح موقف أصحاب العقائد الثابتة صعبا وعملهم شاقا واذا كان من الثابت ان القابض على عقيدته السياسية لابد أن يقع فى مثل هذه المحنة أى لابد ان يصطدم فى طريق جهاده بكثير من العقبات وان تصادفه طائفة من الأهوال والارزاء وأن تنزل به مختلف النكبات والكارثات .. هذا ما ينقشه التاريخ على صفحات كل أصحاب العقائد اذا ما أرادوا أن يثبتوا على عقيدة واحدة دون أن يتحولوا عنها وهم مع ذلك يستعذبون كل عذاب وكل تضحية وكل مشقة وكل هم فى سبيل الاستمساك بعقيدتهم لأن للايمان الثابت لذة لا يشعر بها الا المؤمنون الحقيقيون .. فالمؤمن الثابت العقيدة سواء أكانت عقيدة دينية أم سياسية يرى أن هذه العقيدة مقدسة لا تحتمل تفريطا ولا زعزعة وان له من ضميره أكبر حارس على هذه العقيدة .. فاذا ما وسوس له الشيطان أن يهمل هذه العقيدة على أية صورة من الصور

كأن صوت الضمير وحده كافيا لأن يقطع على الشيطان وسوسته ويرده مدحورا .. واذا ما تقدم خصوم العقيدة الثابتة بأموالهم الوفيرة وهباتهم العظيمة ووعودهم الخلابة كي يلعبوا بالعقول ويزعزوا الايمان ، وجدوا من يقظة ضمير المؤمن أكبر مخيب لآمالهم ، لأن هذا الضمير الخاص الذى لا يخضع للماديات ولا يتأثر بأثرها المفســد لا يلبث أن يصيح بصاحبه « اياك والانخداع بما يعرضون عليك مهما عظم شأنه فان جميع كنوز الأرض لا تعدل شرف الانسان ومتى استطاع المرء أن يحتفظ بشرفه فكل ما يفقده بعد ذلك لا يقام له وزن لأن الحياة الشريفة يمكن احتمالها مهما بلغت مرارتها واشتد شقاؤها وفدحت متاعبها ، أما الحياة المجردة من الشرف فانها لا تساوى قلامة ظفر ولا يستطيع الانســان اذا كان انسانا بمعنى الكلمة أن يحياها دقيقة واحدة ولو كانت مصحوبة بأعظم مظاهر الزخرف والزينة ، لأن هذه المظاهر المادية تتحطم فى لحظة قصيرة ، وتنقلب مصدر ألم عميق اذا ما تذكر صاحبها انها لا ترتكز على دعامة شريفة « أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون » ان هناك عقائد تتزعزع اذا وجدت فى وسط لا يقدر العقيدة حقها ، وعندئذ يفشو داء التقلب والتلون وايثار المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، ويتسع المجال لوسائل التهويش والتضليل . ومع ذلك فقد علمنا التاريخ ان هذه الاوساط المسمومة لا تخلو من وجود عقائد لا يأتيها الضعف من بين يديها ولا من خلفها بل يظل أصحابها محتفظين بعقائدهم متمسكين بمبدئهم قابضين عليها ولو كالقابض على الجمر — وكم ذهب أمثال هؤلاء ضحية تمسكهم بمبدئهم فكانوا بمثابة وقود لاشعال واضاءة النهضات الكبرى » .

« وقد يرى بعض الناس الاحتفاظ بالعقيدة فى اوقات الشدة والمحنة أمرا صعبا فهم لا يعقلونه بل يعقلون شيئا آخر هو الاحتفاظ بمصـالحهم الشخصية والجرى وراء الاشخاص ، لا وراء المبادىء ولكن هذه الخطة منكرة ممقوتة من جميع الوجوه من أجل ذلك لم نول وجهنـا شطرها بل حفظ الله علينا عقيدتنا ومبدأنا » .

وعندما عادت « الأخبار » الى الظهور كتب يقول :

احتجبت جريدة الاخبار سنة كاملة لان القائمين بادارتها أرادوا أن تكون سياستها موافقة للسياسة التى قررها المؤتمر الوطنى الذى انعقد فى فبراير ١٩٢٦ ، فلم أسلم لهم بما أرادوه ولم أكن أستطيع ان أفعل غير ما فعلت : أولا : لأن السياسة التى قررها المؤتمر كانت منـاقضة لأحكام الدستور ، فضلا عن مخالفتها للسياسة التى كان زعماء المؤتمر قرروا السير عليها، واتفقوا أن لا يحيدوا عنها ثانيا : لأننى كنت مقتنعا كل الاقتناع بصواب الخطـة التى كنت أسير عليها فى ادارة سياسة الأخبار وتحريرها فلم يكن من المعقول ، ولا من الذمة أن أغير هذه الخطة تحت تأثير ارادة الغير ، لأن قلب الكاتب ليس ملكا لارادة الغير ولا يجوز أن يخضع الا لضمير صاحبه مهما كانت الظروف وقسوتها » .

بين سعد زغلول والرافعي

كانت نظرة أمين الرافعي الى سعد زغلول كنظرة غيره من شباب الحزب الوطنى متأثرة بما يكتبه اللواء عن سعد زغلول وما يقوله مصطفى كامل عنه مادحا ، أو ناقدا ، وعندما اختير سعد زغلول المستشار بمحكمة الاستئناف الأهلية وزيرا للمعارف بعد مأساة دنشواى واخراج كرومر ، رحب مصطفى كامل فى اللواء بهذا الاختيار باعتبار ان سعدا من أحسن العناصر الوطنية ، وعندما انسحب سعد زغلول من لجنة مشروع الجامعة الأهلية وكان نائب رئيس هذه اللجنة بل كان الرئيس الفعلى لها ، انتقدت القوى الوطنية موقف سعد زغلول هذا ، واعتبرته محاولة للقضاء على مشروع الجامعة الوطنية وفى صالح مشروع الكتاتيب الذى كانت القوى الاستعمارية تعمل له وتحارب مشروع الجامعة الوطنية من أجله ، وقد عارضت القوى الوطنية سعدا لموقفه فى الجمعية العمومية ومطالبته بألا تكون اللغة العربية لغة التعليم .. وبالرغم من أن الجمعية العمومية عارضت سعدا والحكومة فيما ذهبوا اليه واتخذت قرارا بجعل اللغة العربية لغة التعليم فى مصر الا أن موقف سعد ، ظل واردا الى فترة طويلة .. وعندما امتدح لورد كرومر فى خطبة الوداع ، سعدا وهاجم المصريين ، اعتبرت القوى الوطنية

هذا المدح ضد سعد ومن المقالات التى عارض بها الرافعى سعد زغلول معارضة قوية وعنيفة تلك التى كتبها الرافعى عن موقف الحكومة وسعد بالذات من مشروع مد امتياز قناة السويس ، وعندما استقبل سعد زغلول ناظر الحقانية وفدا من المحامين وتحدث اليهم عن اهتمامه بكل ما يتعلق بالمحامين ، الذين يعدهم جميعا اخوانا له ويهمه أمرهم ، حذرهم من الاشتغال بالسياسة قائلا : لا يحسن بالمحامى أن يكون محاميا وسياسيا ولا يحسن به أن يشتغل بالسياسة والمحاماة ، وان الاولى بالمحامين الابتعاد عن السياسة والتفرغ لصناعتهم . ومما قاله الرافعى : عجيب أمر هؤلاء القوم .. يحرمون على الطالب الاشتغال بالسياسة، يحرمون على الاستاذ الاشتغال بها، كما يحرمون على القاضى الاشتغال بها ، وبالجملة يحرمونها على كل موظف من الموظفين يظنون الآن أن فى استطاعتهم تحريمها على المحامين ، ومن باب أولى المهندسين والأطباء ؟ فمن الذى يشتغل بها اذن بعد كل هؤلاء ؟ من الذى ينظر فى مصالح بلاده اذا كانت هذه الفئة لا تقوم بهذه المهمة ؟ من الذى يطالب بحقوق وطنه إذا حرم على المدافعين عن الحقوق تأدية هذا الواجب المقدس ؟

وتطوع الرافعى للدفاع عن سعد زغلول أثناء الضجة التى أعقبت استقالته من الحقانية وذهب الى سعد زغلول يسأله عن استقالته ، وهل قدمها الى اللورد كتشنر وليس الى رئيس الوزراء كما يشيع خصومه ، فقال سعد ان الخبر مكذوب من أساسه « فأنا لم أقدم استقالتى ، الى اللورد كتشنر ولا أرى له من الصفة ما يخول لى تقديم الاستقالة اليه » .

وقال الرافعى : وسرى عنى بعد أن سمعت هذا

الجواب وارتحت له أشد الارتياح كما ابتهج له كل من كان موجودا لدى سعادته ،وسألته عن حقيقة ما يقال من انه لم يؤخذ رأيه فى قضية محمد فريد بك فقال : « حقيقة تقرر السير فى هـذه الدعوى بدون أن يؤخذ رأيى ، ولقد كان ذلك من الاسباب التى عجلت استقالتى»

ورشح سعد زغلول نفسه لعضوية الجمعية التشريعية فوضع الرافعى نفسه وجريدته فى خدمة المعـــركة الانتخابية التى خاضها سعد ، ونشر حديثـا اجراه مع سعد زغلول فى شأن ترشــيحه للجمعية التشريعية عن قسمى«السيدة»و«الوايلى»، وقدطلب الرافعى من سعدأن يستحدث وسائل جديدة فى الدعاية لنفسه بين الناخبين ففى ايطاليا ـ هكذا قال الرافعى ـ لما منح حق الانتخاب العام للايطاليين ومنهم أميون فكر المرشحون فى ايقاف هؤلاء الناخبين على مبادئهم بطريقة غير الـكتابة فأخذوا يلصقون على الجدران صورا يرسمون فيها وجوههم بجانب أسمائهم تارة ضاحكة وتارة مطرقة دلالة على التفكير ، كما اتخذوا السينما وسيلة للدعاية لأنفسهم اذ ، بهذه الطريقة تعرض صور المرشح قائما خطيبا بين جماعة من المتحمسين يشرح لهم آراءه » .

وفى أكثر من مقال دعا الرافعى الى انتخـــاب سعد لكفاءته القانونية ومقدرته الخطابية ومعلوماته الواسعة . وقد كان موقف الرافعى من تأييد سعد متسقا مع موقف الحزب الوطنى الذى وقف بدوره الى جانب سـعد فى الانتخابات . ومما جاء فى مذكرات الزعيم محمــد فريد حول استقالة سعد من وزارة الحقانية وترشيحه لانتخابات الجمعية التشريعية ما يلى : ساعد محمد سعيد على اكراه سعد على الاستقالة لأنه يخشى منه المزاحمة على مركز

الرياسة وكان قد أشيع ان حماه مصطفى باشا يسعى لدى أصدقائه الانجليز لتعيين سعد رئيسا وقد تمكن سعيد من احراجه ليبقى بلا مزاحم ، لأن النظارالحاليين ليس فيهم من يقوى على مزاحمته لدهائه وخبثه لذلك يغلب على الظن أن سعيد يعاكس سعد باشا فى الانتخابات للجمعية التشريعية لأنه يخشى أن يجمع حوله أغلبية تناقشه الحساب ، وتجادله ، خصوصا ان جريدة « الشعب » لسان الحزب الوطنى تعضده وانى أعتقد انه سيفوز برغم مساعى سعيد باشا » .

وكتب محمد فريد ــ فى مكان آخر من المذكرات ــ:أما انتخاب سعد باشا فيغيظ الخديو ومما يزيده غيظا أن الحزب الوطنى عضده وساعده بقوته » .. وكتب عبدالملك حمزة الى محمد فريد عن ترشيح سعد فقال : لم نرشح سعد باشا الا بعد أن عاهدنا على ان يكون معنا قلبا وقالبا واذا وفق الى الفوز ان شاء الله سيجدد ذلك العهد » . ويجيبه محمد فريد فى ٢٥ نوفمبر قائلا : انما يلزم أن يعلن انضمامه للحزب بعد أن تتأكدوا من اخلاصه،وان قصده لم يكن الاستعانة بنا للوصول الى الوزارة ثم ينقلب كما فعل سعيد باشا ويجب الاحتراس الكافى من هؤلاء الناس الذين يسيرون مع الحوادث . انى أعرف سعد منذ نحو عشرين سنة وكنت معه بأوروبا ولا أشك فى وطنيته ولكن أعرف من جهة أخرى، انه يكره الخديو وربما تؤديه هذه الكراهية للاتفاق مع الانجليز للانتقام ، فاحترسوا جيدا وخذوا منه المواثيق كتابة حتى يخشى التحول » .

وعقب الرافعى على نجاح سعد فى الانتخابات بقوله : واذا كنا أظهرنا ميلنا لترشيح سعد باشا ودعونا الناس لانتخابه، فما ذلك الا لأنه وعدنا فى الخطة،التى عاهد الأمة

عليها ، أن يسلك سبيلا رأينا فيه تحقيق هذه الفكرة التى لابد من وجودها ووجود أنصار كثيرين لها حتى تستطيع مصر أن تخطو الى الأمام » .

وخاض الرافعي الى جانب سعد زغلول معركة وكالة الجمعية التشريعية عند غياب الرئيس وهل تكون للوكيل المعين ، عدلى يكن باشا أم للوكيل المنتخب سعد باشا ووقف الرافعى فى هذه المعركة موقفا صلبا للغاية وكان يطلق على سعد باشا « أبو الأحرار » وظل الرافعى الى ان توقفت جلسات الجمعية التشريعية بعد اعلان الأحكام العرفية يتابع باستمرار — فى غير تبعية — أعمال سعد باشا ونشاطه ثم انقطعت العلاقة بينهما خلال الحرب العالمية الاولى وخاصة بعد اعتقال أمين الرافعى وشقيقه عبد الرحمن الرافعى ورفض سعد كما جاء فى مذكراته التحدث بشأن الافراج ، عن أمين وعبد الرحمن مع رشدى باشا رئيس الوزراء وكانت لسعد علاقة وثيقة به ، غير ان العلاقة بين سعد وأمين قد عادت الى القوة منذ سنة ١٩١٨ وفى مخلفات أمين دعوات كثيرة من سعد زغلول — وبخطه — الى أمين الرافعى لتناول الغداء أو العشاء وللتحدث فى بعض الامور الجارية ، وعندما بدأ تكوين الوفد المصرى ألقى أمين الرافعى بكل ثقله الى جانب سعد زغلول واختلف مع كثير من رفاقه أعضاء الحزب الوطنى حول تأييده لسعد ، وكانت وجهة نظر الرافعى أن سعدا هو أقرب الناس الى الشعب وهو أكثر الزعماء الموجودين كفاية وقدرة على الاضطلاع بأعباء رئاسة الوفد ، وأمين الرافعى عنيف وعنيد ، عندما يرى رأيا من الآراء يبذل كل طاقته وامكانياته فى الدفاع عن هذا الرأى مهما يكلفه ذلك من تضحيات جسام ، وقد سبق ان أشرنا الى دور الرافعى فى تشكيل

الوفد وفى مناصرة سعد زغلول بالذات ، كما سبق أن أشرنا الى علاقة سعد زغلول سواء أكان فى المنفى أم فى باريس بأمين الرافعى . واذا كان عبد الرحمن فهمى هو المسئول تنظيميا عن نشاط الوفد فى أثناء غياب سعد ورفاقه فى المنفى وباريس ولندن ، فان أمين الرافعى كان المسئول الفكرى والاعلامى عن الثورة فى المرحلة الاولى من قيامها ، فكان يتولى صياغة بيانات الوفد ويتلقى تعليمات سعد زغلول السرية ، وقد أصدر الرافعى جريدة الاخبار — كما سبق أن ذكرنا وكانت أداة التعبير الصادق عن آراء الوفد ورئيسه ، وما أكثر التلغرافات التى كانت تصل الى أمين الرافعى من سعد زغلول فى بعض المسائل الهامة المتعلقة باستراتيجية الوفد وتكتيكاته التى لم يكن يعرفها من أعضاء الوفد سوى مصطفى النحاس وحده ، الذى كان بدوره وبتعليمات من سعد يرســـل الى أمين الرافعى الخطوط الرئيسية لسياسة رئيس الوفد المصرى ، وقد أدت قوة اتصال أمين الرافعى بسعد زغلول ورفاقه ودفاعه عنهم الى هجوم الكثيرين على أمين الرافعى ومن بينهم بعض زملائه فى الحزب الوطنى ، وكانت صحيفة « الأهالى » أشد الصحف هجوما على أمين الرافعى بسبب صلته الوثيقة بسعد زغلول .

ولــكن الخلاف وقع بين أمين الرافعى وسعد زغلول لان الوفد كان يرى عدم الدخول فى مفـــاوضة رسمية مع بريطانيا دون النظر الى مطـــالب الشعب التى أبداها فى صورة تحفظات على مشروع ملنر . ثم رأى العدول عن رأيه هذا فعـــارضه امين الرافعى وأصر على تعديل أساس المفاوضات قبل الدخول فيها ، وطالب باعتراف بريطانيا أساسا بالحقوق الرئيسية للبلاد فى الحـــرية

والاستقلال ، وقد حاول سعد زغلول مرارا اقناع أمين الرافعى بعدم اثارة موضوع تعديل الأساس الخاص بالمفاوضات فلم يقتنع أمين الرافعى .

وعندما انطلقت المظاهرات الدامية ضد الرافعى لم يتراجع ، بل كتب فى ١٩٢١/٤/٢٦ ، ان تلك المظاهرات الارهابية تقنعنا فوق اقتناعنا الماضي بأن الالتجاء الى القوة لتحولنا عن خطتنا ليس له معنى الا ان هذه الخطة سليمة وأن الحق فى جانبنا ، ولذلك لم يستطع أحد أن يصرعها فاستخدم القوة لصرعها ، على ان الله كان ولا يزال ساهرا علينا فلم يلحقنا أى أذى ، وخرجنا من هذا النضال وقد ازداد موقفنا قوة وثباتا فقد شعر المفكرون أن حرية الرأى اذا صودرت بهذه الوسائل المخزية فان هذه المصادر تكون سببا فى ضياع مستقبل البلاد واساءة سمعتنا الوطنية فى نظر العالم ومحو صفحتنا البيضاء التى لا نزال نفخر بها أمام الجميع » .

وقال أمين الرافعى فى ١٩٢١/٦/٢٣ : كانت الاخبار ومديرها فى نظر معالى سعد باشا مثالا للوطنية الصادقة وكان الرئيس يتفضل من وقت لآخر باعلان ذلك وامتداح خدمات هذه الجريدة فى تلغرافاته التى يبعث بها الينا وفى كتبه الخاصة وفى تصريحاته المتعددة فما باله اليوم قد انتهج حيالها منهاجا آخر وما زال ينتقل من دور الى دور حتى أراد بالأمس أن ينال من وطنيتنا وهى كل ما نملك فى هذه الحياة ، بل هى الشيء الذى يعتقد سعد باشا انها فوق كل الشكوك .. لئن كان سعد باشا يرى ان يعامل من يظن انهم خصومه السياسيون بمثل هذا السلاح مستفيدا من المركز الذى أولته الأمة اياه فليعلم انه سلاح خطر لا يملك دائما أن يكون فى قبضته فيمنح الوطنية

من يشاء وينزعها ممن يشاء وليتق الله الذى يعرف ما فى الضمائر وليخش حسابه يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا أنصار ولا هتاف ولا مظاهرات .. ليخش الرئيس قصاص الله العادل ، فان الدهر لا يبقى على حال ، والعظمة للخالق وحده وكل نعمة لا يرعاها صاحبها لا تلبث أن تزول ».

ثم يقول : اننا لم نألف أن نكون وزاريين ولم نعتد خدمة الهيئات والأشخاص وانما اعتدنا ان نخدم المبادىء وحدها .. ونعمل مع الجانب الذى يقدس هذه المبادىء ، وقد كنا نرى فى الوفد رمزا لخدمة المبادىء فتطوعت لتأييده، وقد اتهمنا ردحا من الزمن بأننا وفديون ننفق على الجريدة من أموال الوفد ، واننا مضطرون لهذا السبب أن نسير وراء الوفد فيما سار ، وقد كنتم تعلمون كذب هذه الاتهامات كما كنتم تعلمون أننا مستقلون فى عملنا ولا نرضى بأن نكون ذيلا ، لأية هيئة مهما عظم شأنها ، ولا نظنكم تنسون أنكم فكرتم فى الأيام الأولى لتأليف الوفد فى أن يصدر الوفد جريدة تكون لسانه الرسمى على أن تسند رئاسة التحرير الينا فأبينا قبول هذه الفكرة ، وقلنا لكم بأننا لا نريد أن نعمل الا مستقلين بعيدين عن سيطرة أى مخلوق الا سيطرة ضميرنا . لقد اتهمنا من أجل الوفد بتهم عديدة ولكن الله أبى الا أن يزهق الباطل ، وظهر الحق وعلم خصومنا ومتهمونا اننا لا نكتب شيئا بايحاء أحد أو لمراعاة خاطر عظيم وانما نكتب ما يوحيه الينا الوجدان وحده . اتهمنا من أجل الوفد ووجه الينا السباب بسبب تأييدكم ودعوة الأمة الى الالتفاف حولكم ، فلم نعر هذه التهم أهمية لانها صدرت من أفراد لا يعرفوننا ، ولكننا ما كنا نتوقع وما كان يدور بخلدنا أنكم تنسون كل هذا الماضى وتتولون وظيفة الاتهام الفظيعة ، أنتم الذين تعرفون دخائل نفوسنا

وحقــائق ضميرنا ومبلغ ماضحينا من أجل القضية ومن أجلكم » .

ويقول امين الرافعي : اننا لم نألف في أي دور من أدوار حياتنا ان نكون وزاريين ، وقد كنتم من أركان الوزارات الماضية فلم نسع في التقرب لكم بل عرفناكم بعد أن تركتم الوزارة .. كنتم ركنا من أركان الوزارات السابقة فلم نقصر في نقدكم على كل عمل من الأعمال التي تستوجب النقد .. لم نقصر في نقــدكم يوم وافقتم على مشروع القناة ، لم نقصر في نقدكم يوم أعدتم قانون المطبوعات ونشرتموه .. لم نقصر في نقــدكم يوم وضعتم القــوانين الاستثنائية المتعددة ونفذتموها بالرغم من معارضة مجلس الشورى ، ومنها قانون الاتفاقات الجنائية الذي يعاقب على الفكر وقانون احالة جنح الصحافة على محكمة الجنايات الذي يجعل مركز الصحفي أسوأ من مركز القاتل وقاطع الطريق .. لم نقصر في نقدكم يوم صرحتم في مدرسة الحقوق بأن قضاتنا هم قضاة ضرورة .. لم نقصر في نقدكم يوم كنتم تسنون للطلبة قوانين قاسية صارمة الى غير ذلك من التصرفــات ، وان صــفحات اللواء والعلم والشعب خير كاملة بيننا وبينكم وهي تثبت اننا لم نخلق لنكون وزاريين بل خلقنا لندافع عن المبدأ الذي نعتقد في صحته ولو تحملنـــا من جراء ذلك مانتحمل من ايذاء وتضحيات .. خلقنا لنكون أحرارا . نقول الحق صراحة وفي وجه أية قوة من قوى العالم ، ولو كان الموت واقفا لنا بالمرصاد . فراجع يا معالي الرئيس ضميرك قبل أن تتهم الأبرياء ولا تنس أن الله مطلع على كل صغيرة وكبيرة وهو المنتقم الجبار » .

ويقــول الرافعي في مكان آخر حول هــذا الموضوع أيضا : كان جنود سعد باشا يهاجموننا في دارنا ويقذفوننا

بالطوب ويوجهون الينا فاحش القول ويتهموننا بالخيانة ؛ وعندما كنا ننادى بضرورة عقد جمعية وطنية تفصل فى الخلاف كانوا يهزأون بهذا الراى حتى كتب بعضهم يومئذ مقالا طويلا يذهب فيه الى انه يجب علينا أن نكف عن الاشتغال بالصحافة ونبحث عن عمل آخر » . ويصف الرافعى،كيف ذهب فريق من العقلاء الى سعد باشايصفون هذه الحالة السيئة التى وصلت اليها المظاهرات الدامية ويطلبون منه وضع حد لها فكان يجيبهم بغير تردد : « أتريدون أن أدافع عن خصـــــــومى » وانه كان يقول لأنصاره فى أعقاب هذه الحوادث ، « عضدوا رايى بــكل قواكم » .

وعن محاولات الصلح التى قام بها البعض روى الأستاذ حامد القصبى القصة التالية : فى يوم ٢٥ أبريل سنة ١٩٢١ عندما تجمعت حشود الطلبة حول دار جريدة الأخبار التى تقوم فى مكانها الآن المدرسة اليونانية بشارعى التحرير ويوسف الجندى ، وتولى فريق منهم الحراسة الخارجية وأسرع غيرهم الى قطع الاتصال التليفونى بالدار واقتحم باقيهم ــ فى جموع زاخرة ــ حجرة مكتب صاحبهـــا الوطنى الغيور الاستاذ أمين الرافعى ، يهددونه بالقتل اذا لم يكف عن الاسترسال فى نشر رأى له عن تعديل أساس المفاوضات بين مصر وانجلترا حول قضية جلاء المحتلين واستقلال البلاد التام ، كانت بريطانيا قد وضعت وقتئذ مشروعا لحل القضية المصرية اسمته مشروع ملنر ، ذهبت به فى أغسطس من عام ١٩٢٠ الى الوفد المصرى بزعامة سعد فى أثناء اقامته فى باريس واشترطت قبوله كله او رفضه كله كأساس لمفاوضة رسمية ، ولما اختلفت الآراء فى شأن هذا العرض أوفد الوفد المصرى الى مصر فى

سبتمبر عام ١٩٢٠ بعض أعضـــائه لاستفتاء الأمة فيه فعادوا اليه مزودين بمجموعة من التحفظات الجوهرية التى توضحه وتحدده وتحول دون تسرب الخـداع والتضليل فى ثناياه ، وبمجرد أن أقر الوفد المصرى تلك التحفظات وأعلن تمسكه بها شرع المرحوم أمين الرافعى ينادى بتعديل أساس المباحثات بمراعاة هذه التحفظات قبل الشروع فى أية مفاوضة رسمية ، وكان طلاب العـــلم على اختلاف معاهدهم وتفاوت سنهم جنودا أوفياء للوفد،وكنت اذ ذاك طالبا بالسنة الثـــانية بمدرسة المهندسخانة ولم تفتنى المساهمة فيما جل أو هان من أمور كانت تعتبر من أقدس واجبات الطلاب فى ذلك الحين ، ولكن محاولة الاعتداءعلى الأستاذ أمين الرافعى وهذه دعوته وتلك رســالته ، لم تعجبهم فلم أطق صبرا عليها فبعثت فى ٢٥ مايو سنة ١٩٢١ بكتاب الى المغفور له الزعيم الخالد الذكر سعد ، كاشفته فيه ــ كجندى من جنوده ــ بالمرارة التى شعرت بها للطريقة التى قوبل بها الرجل الذى كان ينطق بلسان الوفد الى عهد قريب ، حتى فيما اختلف واياه فى الوقت الحاضر ، من ناحية تعديل الاساس ورجوت من الزعيم فى اخلاص وحرارة أن يكف الأذى عن المجاهد الكريم ويعمل على استرجاعه الى حظيرة الوفـد لأنه قـوة مؤمنة نابغة وبخاصة أن ما كان مختلفا عليه من حيث اشتراك الوفد فى هيئة المفـاوضات الرسمية قد حسم بتشكيل تلك الهيئة من فريق الحكومة وحدها ، وبعد ثلاثة أيام استدعانى المغفور له عاطف بركات باشا عن طريق أحد زملائى الذين كانوا يترددون على بيت الأمة فأدركت سبب الدعوة وقصدت فى عصر ذلك اليوم ــ وكنا فى شهر رمضان ــ الى دار جريدة الأخبـــار حيث لم أجد الا المغفور له

الأستاذ أمين الرافعى قائما يصلى ومعه شقيقه الأستاذ عبد الرحمن الرافعى — اطلعتهما على صورة خطابى للزعيم سعد ، وأنهيت اليهما نبأ الدعوة التى تلقيتها واستوضحت الرأى فيما يحتمل أن يدور بينى وبين عاطف بركات باشا فما كان من الأستاذ أمين الرافعى الا أن ابتسم وترك لى حرية التصرف ، أما شقيقه الأســـتاذ عبد الرحمن الرافعى ، فقد حبذ تلبيتها مؤكدا انها ستكشف له فى القليل عما يوجهه رجال الوفد الى الاستاذ أمين الرافعى مما أعرف بحكم صلتى به ، وكتابتى فى صحيفته انه براء منه . وبعد غروب ذلك اليوم بقليل وقبل أن يزخر بيت الأمة برواده ، كنت أمام عاطف بركات باشا فى حجرة مكتبه الزعيم سعد ، فذكرنى انه — وهو يقلب النظر فى بريد الرئيس — أطلع على خطابى اليه فرأى أن يحدثنى فى موضوعه، فليس أحب الى الوفد من استئناف التعاون فى العمل من أجل الوطن مع الأستاذ أمين الرافعى وان كانوا قد سعوا اليه من طريق المرحومين محمد سعيد باشا وفتح الله بركات باشا ، ولكنه كان كالحصان الجامح يعض على اللجام فلا يستطيع أحد كبح جماحه على ان هــذا لا يمنع من أن أجرب وساطتى . وقد يضع الله سره فى أضعف خلقه . وعندما تساءلت عما اذا كان هذا هو رأى الزعيم سعد ، أجابنى عاطف باشا بأنه يعرض حلا سيكون هو المسئول عن تنفيذه ، وأضاف قوله ان الوفد اذ يرحب بعــودة الاستاذ أمين الرافعى الى مكانه الاول منه فــانه يشترط أن تكون تلك العودة قلبا وقالبا ، والا يحاول ان يملى على الوفد خطته . وأدرنا الحديث بعد ذلك فى مواضيع شتى متصلة بالخلاف ثم استأذنت فى الانصراف لمقابلة الأستاذ امين الرافعى على ان اعود الى بيت الأمة

فى المساء نفسه لموافاة عاطف باشا بنتيجة المساعى ، وقصدت الى دار الأخبار وقابلت صاحبها وأبرزت ترحيب الوفد باستعادة نشاط صاحب الأخبار ولم أمس شروط العودة . واذا بالرجل يجيب فى اصرار بأنه عول على ألا ينتمى الى أى حزب أو جماعة وانه سيظل ما بقى حيا يعمل بوحى ضميره غير ناظر الى من يرضى او يغضب . ولما ذكرته انه صاحب رأى يعنيه ان ينتشر وان مجانبته للأغلبية ستحجب رأيه عن الكثرة ، قال : « سأكتب طالما أشعر أن هناك فردا واحدا فى الأمة يقرأ لى» . واستطرد أمين الرافعى يقول : لعلك لا تعرف اننى الوحيد فى هذا البلد الذى احتج عمليا على بسط الحماية البريطانية على مصر اذ أغلقت جريدة الشعب وطويتها عن الناس مما حدا بالسلطان حسين كامل أن يستدعينى ليفهمنى أن توقف جريدتى عن الظهور فى هذه الظروف يعتبر طعنا فى وطنيته ، وعندما انصرفت من حضرته قابلنى كبير الأمناء وحاول أن يضع فى جيبى خمسة آلاف جنيه بحجة ان حجب الجريدة ، يرجع الى نضوب مواردى المالية فأبيت عليه واستمسكت بالرفض فى عناد شديد ولم يكن فى جيبى اذ ذاك الا عشرة قروش ، وكان عطف أخى عبدالرحمن هو وحده سندى وعليه بعد الله معتمدى وقد ترتب على موقفى هذا أن خرجت فى ذلك اليوم من سراى عابدين لادخل ضيفا على المعتقل لأشهر عديدة ، مليئة بالاضطهاد والتعذيب والتنكيل ، أفتظن ان من كانت هذه حالته يمكن أن يقيد قلمه ورأيه بقيود جماعة أو هيئة » ..

وعدت الى بيت الأمة فى المساء المتأخر وهمست فى اذن عاطف باشا قائلا : ابعدوا الطلبة عن أمين الرافعى وكفوا عن العدوان ، والزمن كفيل بأن يقرب ما بينه وبين الوفد

فقال : واذا سأل سائل عمن كان سببا فى أخفاق سعيك فهل تقول انه الوفد أو أمين الرافعى ؟ فقلت : أمين الرافعى كانسان من حقه أن يغضب لاستباحة دمه فلا أقل من أن نستعين عليه بالزمن فى ظل جو هادىء » . قال : الى هذه اللحظة كنت أحسبك محايدا فاذا بى أراك متحيزا . قلت : أفيمكن أن يكون الساعى الى الوفاق الا محايدا اصدق الحياد » .

وعندما قطعت المفاوضات بين مصر وبريطانيا كتب الرافعى فى ١٩٢١/١١/٢١ يقول : لقد كنا خصوم الوفد الرسمى لأنه قبل مبدأ المفاوضة على غير الأساس الصالح لتحقيق مطالبنا ، فلما أزمع السفر جددنا معارضتنا له فى خطته ، ثم انتظرنا نتيجة سعيه لنحكم على عمله » . وأكد الرافعى انه لم يتسرع فى الهجوم على أعضاء الوفد المصرى كما فعل آخرون بل آثر الانتظار حتى ظهرت الحقيقة : « ولعل فى هذا ما يحمل الطاعنين فى ضمائر الناس المتسرعين فى اتهام مخالفيهم على أن يخففوا من غلوائهم ويقلعوا عن أمثال هذه الخصومات الشخصية الضارة ، وأن تكون خصومتهم شريفة رائدها حسن النية ومقصورة على المبدأ وحده ، لأن الخصومة القائمة على الكذب والتضليل تكون مجردة من الشرف وخليقة بالازدراء ودليلا على أن صاحبها لا يحمل بين جنبيه ضميرا يبغى حسابه » .

وينفى سعد زغلول للمرة الثانية وينسى الرافعى كل ما كان بينه وبين سعد زغلول من خصومة ، ويجند نفسه للدفاع عن سعد زغلول وضرورة تمتعه بالحرية . ويسمع أن سعدا مريض ، فيكتب مقالات عديدة مطالبا بالافراج عنه والاهتمام الخاص بصحته .

وتجرى الانتخابات ويفوز سعد بالأغلبية الساحقة في هذه الانتخابات ، وفور ظهور النتيجة طلب الرافعى من يحيى ابراهيم باشا رئيس الوزارة ، الذي سقط في الانتخابات هو وبعض وزرائه بالاستقالة لتجيء وزارة حزب الأغلبية ويكتب الرافعى كثيرا عن أحلامه وآماله في تلك الوزارة ثم يصدم بخطاب العرش .

على أن الجدير بالذكر ان الخصومة بين سعد زغلول وامين الرافعى التى قامت اثر هجوم أمين على خطبة العرش الاولى التي كانت باسم الوزارة السعدية ، قد ظلت قائمة الى أن لقى سعد زغلول ربه في ٢٣ أغسطس ١٩٢٧ أى قبل وفاة الرافعى بأربعة أشهر تقريبا ، وهناك حقائق لابد من تسجيلها لتحديد العلاقة ما بين أمين الرافعى وسعد زغلول : أولا — ان الرافعى عندما كان يقف الى جانب سعد زغلول كان يؤمن بأن الصالح العام يقتضى الوقوف الى جانبه ، وعندما كان يعارضه بشدة وعنف لم يكن ذلك لمصلحة شخصية بل كان يستهدف الصالح العام أيضا .

ثانيا — ان أمين الرافعى انفرد دون غيره من أبناء الحزب الوطنى بالثقة في سعد زغلول . وثق به يوم ان رشح نفسه لانتخابات الجمعية التشريعية وشجعه بالرغم من أن محمد فريد كان يريد أن يأخذ على سعد المواثيق بأن يعلن عن انتمائه للحزب الوطنى بعد فوزه ، ووثق به أثناء تكوين الوفد المصرى ، وأيده بينما كانت الغالبية من أعضاء الحزب الوطنى تعارض سعدا معارضة عنيفة ، ودافع عنه أيضا وهو فى المنفى ولم يكن الرافعى فى ذلك كله ساذجا ولكنه كان يرى أن الطريق الذى سار فيه هو أسلم الطرق .

ثالثا ــ عدما اختلف أمين الرافعى مع سعد زغلول لم يشأ الرافعى ان يستغل ما لديه من تلغرافات وخطابات ووثائق كانت تحت يده بوصفه سكرتيرا مساعدا للجنة الوفد المركزية ، ولم يسمح أمين الرافعى لأحد باستغلال هذه الوثائق لاضعاف مركز الوفد ومركز سعد بالذات وكانت حجة أمين فى ذلك أن الخصومة فى الرأى مهما عنفت واشتدت لا يمكن ان تصل الى حد افشاء الاسرار التى أؤتمن عليها أحد الافراد فى وقت من الاوقات وكان كل ما يفعله الرافعى ان ينشر فقط رسائل المديح والاطراء التى كان يرسلها اليه سعد من الخارج .

رابعا ــ كان سعد زغلول يخشى أمين الرافعى وكان يعرف أن لديه الكثير من الحجج المقنعة وان خصوم سعد بل أنصاره يثقون فى رجاحة رأى الرافعى ونبل مقاصده ولذلك كان سعد زغلول يحاول باستمرار أن يستميل اليه الرافعى . وكان يقف فى طريق الاستمالة صلابة أمين الرافعى وتمسكه بوجهات نظره .

منقذ الدستور

كان الرافعى بطبعه وثقافته وميوله يؤمن بالشعب وحكم الشعب ويرى فى الحياة النيابية خير علاج لما تعانيه الشعوب المستعبدة من كوارث ونكبات ، ومنذ أن حمل القلم وهو ينادى بضرورة تحقيق الحكم النيابى وعندما دعا الحزب الوطنى بقيادة محمد فريد الى توقيع عرائض المطالبة بالدستور اشترك الرافعى فى هذه الحمله كصحفى وسياسى ، وعندما صرحت الوزارة فى ٨ فبراير ١٩٠٨ فى الجمعية العمومية بأن الوقت لم يحن بعد لحصول البلاد على مجلس نواب بادر الرافعى الى مهاجمة الحكومة مؤكدا « ان شعب مصر أرقى بكثير من الشعوب التى حصلت على الدستور فى أوروبا » — ولم يترك الرافعى أية فرصة دون أن يستغلها للحديث عن أهمية الحصول على الدستور ، ورغم ضعف اختصاصات الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين الا أن الرافعى كان يهتم بهما ، ويولى جلساتهما اهمية خاصة .

وعندما بدأت جلسات الجمعية التشريعية ، راح الرافعى كأى محرر برلمانى نشيط يتابع جلسات الجمعيه التشريعية ويعقب على المناقشات التى تجرى فى هذه الجلسات ، واقترح الرافعى انشاء معارضة داخل الجمعية التشريعية ورشح سعد زغلول لزعامة هذه المعارضة

وعندما قامت الحكومة بتعيين بعض أعضـــاء الجمعية التشريعية ، لم يشأ الرافعى أن يقف موقف العداء من هؤلاء الأعضاء لان الحـــــكومة – وهى خاضعة للنفوذ الاستعمارى – قد عينتهم بل راح يبدى اهتماما خاصا بهم ويعلن ان الشعب يطلق عليهم آمالا كبيرة .

ويستمر الرافعى فى الاهتمـــام بأعمال الجمعيـــة التشريعية ويهتم الاعضاء بما ينشره الرافعى من مقـــالات ويعرض سعد زغلول بوصـــــفه وكيلا منتخبا للجمعية على أمين الرافعى وظيفة سكرتير الجمعية بمرتب مغر فيأبى الرافعى مؤكدا ان مجاله ليس تقلد الوظـائف الحكومية وانما فى العمل الصحفى المتحرر،وعندمااكفهرالجوالدولى فى منتصف ١٩١٤ وصدر الأمر العـــالى فى ١٨ اكتوبر ١٩١٤ بتأجيل انعقاد الجمعية الى أول يناير ١٩١٥ قال الرافعى : « ان الظروف الراهنة لا تســـتدعى تأجيل جلسات الجمعية بل بالعكس فان هذه الظـــروف تؤكد ضرورة دعوة الجمعية التشريعية للانعقاد » وبعد انتهـــاء الحرب العالمية الأولى وقيام ثورة ١٩١٩ وبداية الخلاف بين سعد وعدلى دعا الرافعى الى عقد جمعية وطنيـــة لتبدى رأيها فى هذا الخلاف باعتبـــار ان الشعب هو مصدر كل سلطة ، وهو وحده المرجع الأول والأخير فى كل ما يتعلق بشئون السياسة ، ويكرر الرافعى دعوته الى انتخاب جمعية وطنية لبحث أى اتفاق يمكن أن تصـــل اليه مصر وبريطانيا .

وعندما شرعت وزارة ثروت باشا فى اعداد دستور للبلاد سل الرافعى قلمه ، دفاعا عن حق الشعب فى وضع دستوره ، وعاب على الحكومة التجاءها الى الوسيلة العتيقة التى تجعل وضع الدســـــتور من مهمة لجنة

حكومية ، وقال ان الشعب فى عام ١٨٨٢ هو الذى قام بوضع الدستور ، ولا يمكن ان يعود الشعب الى الوراء أربعين عاما . وطالب بانتخاب جمعية وطنية تتولى وضع الدستور باعتبارها منتخبة من الشعب ، وكتب الرافعى مقالات عديدة عن « كيف تضع الأمم دساتيرها » وتتبع اعمال لجنة الدستور ، وناقش المبادىء العامة التى وضعتها وكتب سلسلة من المقالات عن المبادىء العامة التى ارتأت اللجنة الأخذ بها ، كما كتب سلسلة مقالات أخرى عن مشروع لجنة الدستور وكتب سلسلة مقالات أخرى عن الدستور ذاته بعد صدوره .

وتعتبر مقالات الرافعى عن الدستور من اروع المقالات التى كتبت عن حق الشعب فى حكم نفسه بنفسه . وتصلح هذه المقالات ان تكون وحدها كتابا قائما بذاته ، ومما يجدر بنا أن نذكره أن سعد زغلول كان يحتفى بهذه المقالات ، وكان يعتبرها خير معبر عن آرائه : قال سعد زغلول فى الحفلة التى أقامها له الطلاب « تسألوننى عن رأيى فى الدستور وأقول لكم انى قرأت كل ما كتبه أمين الرافعى فى نقده وكأنه يستلهمنى ما كتب ! » .

وكتب سعد زغلول خطابا الى طاهر اللوزى يقول فيه : « وعدتكم بابداء ملاحظاتي على الدستور ، وهى بالاجمال انه أنشأ للبلاد حكومة مطلقة فى الظاهر ومقيدة فى الحقيقة . وفتح للانجليز بابا واسعا للدخول منه فى شئون البلاد وادارتها بما يعوق تقدمها ونجاحها من غير أن يتعرضوا للمسئولية ، اذا أرادت البلاد تقييد هذه السلطة ، بما يمنع هذا التدخل لم يمكنها ذلك الا بتعديل الدستور وتعديله لا يتأتى الا باجماع شروط صعبة الاجتماع وأهمها موافقة الملك ، وقد فصل ذلك أمين بك الرافعى فى ملاحظاته على الدستور وقد قرأت منها لغاية

الملاحظة ١٢ فاستحسنتها كل الاستحسان » .

ويرد الرافعي على هذا الخطاب بقوله : « أطلعت اليوم على خطاب معاليكم لصديقي طاهر اللوزي الذي أشرته فيه الى نقد الاخبار للدستور واستحسانكم لهذا النقد ، واني مغتبط كل الاغتباط لتقديركم لهذه المقالات وموافقتكم على ما تضمنته من الآراء » .

ويتولى الرافعي باستمرار الدفاع عن الدستور عند كل أزمة يتعرض لها ، وعندما قام زيور باشا بحل مجلس النواب مرتين لسبب واحد ابتكر أمين الرافعي فكرة عقد مجلس النواب بحكم القانون في السبت الثالث من نوفمبر ١٩٢٥ ودعا الرافعي الى تنفيذ الفكرة واجتمع البرلمان في فندق الكونتننتال وتفرع عن اجتماعه انعقاد المؤتمر الوطني في فبراير ١٩٢٦ الذي قرر — مع معارضة أمين الرافعي دخول الانتخابات وفيما يلي قصة هذا العمل الدستوري الذي كان من أجل الاعمال التي قام بها في تاريخ حياته قال أمين الرافعي :

في مساء يوم السبت ٧ نوفمبر ١٩٢٥ بعد الفراغ من عملي اليومي في جريدة الأخبار أخذت أقرأ كتابا وضعه الاستاذ بول فافر في البحث الخاص بحل الجمعيات البرلمانية ابتغاء الوقوف على آراء علماء الدستور في مدى السلطة التي تخول الحكومة الانفراد باصدار القوانين خلال الفترة التي يكون فيها البرلمان منحلا . فلم أكد أتمم القسم الأول من هذا الكتاب حتى رأيت نفسي أمام غاية أخرى غير التي كنت أسعى وراءها لأن الآراء التي ادلى بها الكاتب في مسألة حل البرلمان والآثار التي ترتبت عليه كانت بمثابة قبس من نور هداني الى طريق جديد كان مغلقا امامي وأمام غيري .

وتكونت لدي عناصر الفكرة التي عزمت على الكتابة فيها ولا أستطيع ان أصف مقدار سروري باهتدائي الى هذه الفكرة التى اعتقدت أن تنفيذها يخرج البلاد من الازمة التى كانت تتخبط فيها وكدت أصيح وجدتها ! لقد وجدتها ، كما فعل أرشميدس حينما اكتشف فجاه قانون الوزن النوعى — وما لبثت ان فاتحت بعض الاخوان بهذه الفكرة وناقشتهم واقتنعوا بها وان كانوا لم يتوقعوا نجاحها وبدأت حملتى من اليوم التالى (الاحد ٨ نوفمبر) ولكنى كنت أخشى كثيرا كما خشى اخوانى أن تحبط هذه الفكرة وتقف عند مجرد الادلاء بهـا دون أن يسمع لها النواب » وتدخل فى دور التنفيذ بيد ان الله قدر لها النجاح فكتبت أكثر الصحف فى تأييدها واتفقت كلمة الأحزاب على الدعوة اليها ونشطت الأمة لتحبيذها ونهض نواب البلاد لتنفيذها وكانت الأيام القليلة التى تفصل ٨ نوفمبر عن ٢١ نوفمبر حافلة بحركة وطنيـة كبرى كللت بفوز باهر بالرغم من المساعى التى بذلتهـا الحكومة وقتئذ لاحباط هذه الفكرة .. انعقد البرلمان اذن فى فندق الكونتننتال بين سمع الحكومة وبصرها فـكان لهذا العمـل أثران فى نفسى : الاول : سرورى بانقـاذ الدستور وفوز الأمة واندحار الحكومة وهو ذلك السرور الذى عم البلاد واشتركت فيه جميع الطبقات ؛ الثانى : ارتياح ضميرى ارتياحا يشعر به كل من وفقه الله الى دعوة صالحة كتب لها النجاح » .

وفى نفس اليوم المحدد لاجتماع البرلمان كتب الرافعى يقول : استئناف الحياة النيابية وانعقاد البرلمان بارادة الشعب — اجتمع البرلمـان بالرغم من ارادة الوزارة — اجتمع البرلمـان بالرغم من القـوى المسـلحة — اجتمع

البرلمان بالرغم من الخطة الحمقاء التى أشار بها حلمى عيسى وعلي ماهر ــ اجتمع البرلمان رغم كل شيء ــ اجتمع البرلمان وأنف الاستبداد راغم ــ اجتمع البرلمان فسجل فى تاريخ مصر صفحة خالدة سيقرأ فيها العالم بأسره ان مصر لا تعرف الهزل فى حياتها وانما تعرف الجد ــ انه لدرس جليل ألقته الأمة على المستبدين وأشهدت العالم على أن الروح الوطنية تدب فيها دبيب الحياة وان نارها أصبحت موقدة فى كل قلب من قلوب أبنائها ، فلا يستطيع أي مستبد ولا أي ظالم أن يخمدها أو يضعف أثرها » .

ويصف عبد الرحمن الرافعى هذا الحدث الضخم ــ فى مذكراته المخطوطة التى نحتفظ بها والتى لم تنشر بعد ــ بقوله : كان يوم السبت ٢١ نوفمبر يوما مشهودا فى تاريخ مصر وفى تاريخ الحياة البرلمانيةالمصرية ففيه انعقد البرلمان من تلقاء نفسه فى فندق الكونتيننتال بالرغم من ارادة الحكومة : ان الفضل فى هذه الحركة العظيمة يرجع الى شقيقى أمين الرافعى لأنه هو الذى ابتكر فكرة وجوب انعقاد البرلمان فى ٢١ نوفمبر طبقا للمادة ٩٦ من الدستور وكتب سلسلة مقالات مملوءة حججا قوية وبراهين قانونية فى وجوب انعقاد البرلمان من غير دعوة من الملك . كتب أول مقالة فى الأخبار يوم ٨ نوفمبر ١٩٢٥ وأثبت أن مرسوم الحل قد بطل بالمرسوم الذى أوقف عملية الترشيحات بسبب شروع الحكومة فى تعديل قانون الانتخابات ؛ ومع ان الاخبار ليست منتشرة مع الأسف فان الفكرة لقيت تعضيدا كبيرا من الصحف لأن السعديين والأحرار الدستوريين والجمهور كانوا متعطشين لعودة الحياة النيابية بعدما

عانوا من سيئات حكومة الاتحاد ما عانوا . وافق الاحرار الدستوريين بلسان صحيفة « السياسة » على الفكرة وكذلك أقرها السعديون في صحفهم . وصارت حديث الناس في مجالسهم على اختلاف أحزابهم وأعلن حافظ بك رمضان باسم الحزب الوطنى قرار اللجنة الادارية فى ١٣ نوفمبر ١٩٢٥ بدعوة نواب الحزب الوطنى فى البرلمان ومن ينحو نحوهم من النواب الى الانعقاد فى دار البرلمان يوم ٢١ نوفمبر طبقا لاحكام الدستور فكانت هذه الدعوة الرسمية من الحزب الوطنى تسجيلا لفكرة امين بك ان الحزب الوطنى هو صاحب الفضل فى هذه الفكرة من مبدأ ظهورها وظهر ان سعد باشا فى خطبته التى كان ينوى القاءها يوم ٢٣ نوفمبر موافق على الفكرة ولو انه لم يشأ ان يردها الى صاحبها وقال انها ليست جديدة والحق انها جديدة لأن أمين بك هو الذى ابتكرها ولولاه لما التفت أحد الى وجوب انعقاد البرلمان ، بعد حل مجلس النواب تبين ان الأحزاب كلها وافقت اذن على الفكرة فوجب على النواب أن يلبوا الدعوة فاهتمت الامة بهذه المسألة اهتماما عظيما لأن انعقاد البرلمان بعد حل مجلس النواب حادث خطير يعيد الحياة النيابية الى البلاد رغم ارادة الحكومة، وانهمر سيل التلغرافات على جميع الصحف تأييدا للفكرة وكان واجبا على أن أعمل على نجاح الفكرة والحق انى قمت بمجهود عظيم فى سبيل نجاحها سافرت الى مصر صباح يوم الأربعاء ٨ نوفمبر فتقابلت مع اخوانى اعضاء الحزب لنتفق على طريقة اجتماع البرلمان ونتفاهم مع نواب الأحزاب الأخرى على طريقة الاجتماع وكانت الحكومة قد شعرت بخطورة الفكرة فأعلنت بلسان صحافتها انها ستمنع الاجتماع وأنها ستعتبره باطلا وانها

ستحيط دار البرلمان بقوة جنودها في الجيش والبوليس لمنع الاجتمـــاع وأصدرت بلاغا تطلب فيه من النـــواب والشيوخ ان يمتنعوا عن عقد اجتماع قالت انه باطـل وتهددهم بأنها ستمنع الاجتماع في دار البرلمان وفي اي مكان آخر .

عزمت على ان أقوم بواجبي في سبيل التفـاهم بين الأحزاب فقابلت فتح الله بركات باشا في منزله صباح الخميس وسألته عمـــا اذا كان الوفـــد قد نظم طريقة اجتماع البرلمان فرأيت تخوفا كبيرا من عواقب الاجتماع ودهشت لأني أعلم ان انعقاد البرلمان في هذه الظـــروف هو لمصلحة الوفد لأن الأغلبية فيه للسعديين ولقد قال لي ان الفكرة هي فكرة الحزب الوطني فعليه هو أن ينظم الاجتماع فقلت له ان الحزب الوطني هو حقيقة صاحب الفكرة ولكن ليس له الأغلبية بل هو أقلية صغيرة ولا يطلب من الأقلية وضع خطة تنفيذ الفكرة وكانت المناقشة على غير جدوى وأخيرا فهمت منه أنه يفضل مقابلة حافظ بك رمضان لسعد زغلول ليتكلم في هذا الموضوع وكنت عالما ان حافظ بك غير راغب في هذه المقابلة لتكرار ورود اسمه في تشريفات بيت الأمة حينما قابل سعد باشا غير مرة منذ أكثر من شهر فلمحت لفتح الله بركات الى هذا المانع وقلت له انه ليس من المناسب عندما يقابل مثل حافظ بك سعد باشا أن يرد اسمه في التشريفات ويبلغ الصحف وأخيرا فهمت انه لابد لحل هذه العقدة من ان يتقابل حافظ بك مع سعد باشا فذهبت الى نادي الحزب الوطني واجتمعت باخواني وأفهمتهم الحديث الذي دار بيني وبين فتح الله باشا وكان حافظ بك مترددا لأن نفس أعضاء الحزب كانوا يلومونه على تكرار مقابلته لسعد وبعد

مناقشة طويلة استقر الرأى على ان يقابله فتقابلنا مع فتح الله باشا وعلى الشمسى ودعانا فتح الله الى الفداء فى منزله فذهبنا معه لنتم مساعينا فى سبيل التفاهم .. ورأيته من حديث فتح الله لحافظ بك انه شديد الوجل من اجتماع البرلمان وقد لاحظت انه يتخوف من عدم نشر الأحرار الدستوريين لقرارهم وانه لا يثق بهم فهو لا يريد ان ينفرد النواب السعديون بتحمل هذه المسئولية مع نواب الحزب الوطنى فلما عرضنا عليه أن يتداول النواب قبل يوم الاجتماع فى اصدار قرارات يوقعونها حتى تكون معدة للنشر يوم ٢١ نوفمبر فيما اذا لم يتيسر عقد البرلمان أظهر كذلك تخوفه من عواقب هذه الطريقة وقال: كيف تضمنون أن لا تصل الحكومة الى استكتاب قرارات تناقضها من باقى الأعضاء وافترقنا الساعة الثالثة على ان يعود حافظ بك لمقابلة سعد باشا فى بيت الأمة الساعة الخامسة لأن سعد كما يقول فتح الله باشا هو مفتاح الباب ، ذهب حافظ لمقابلة سعد باشا فى الموعد فألفاه أيضا متخوفا جدا من الاجتماع — وكان حديث فتح الله باشا صورة لأفكار سعد وقد ألح عليه حافظ بك فى ضرورة العمل وأن الجمود يقضى على الحركة كما انه يؤثر فى مركز سعد والظاهر ان حديث حافظ بك قد أثر فى نفس سعد وأخرجه من الجمود لأنه فى المساء دعا حافظ بك من جديد لمقابلته بعد العشاء فعلمنا انه حصل تطور فى الموضوع ولكن قبل ذلك نشر سعد نداء للأمة بالتزام الهدوء والسكينة فى يوم ٢١ نوفمبر ففهمنا من ذلك انه ما زال شديد التخوف من عواقب الاجتماع والتصادم مع قوة البوليس والجنود — كتبت فى مساء الخميس مشروع قرارات يقررها البرلمان

مجتمعا يوم ٢١ نوفمبر وكان من رأيى أن نتفق قبل هذا اليوم على صيغة القـــرارات وأن يجمع عليها النواب للأحزاب المختلفة حتي لايحصل أي خلاف يوم ٢١ نوفمبر وحتي يمكن عقد اجتماع قصير ينتهى باعلان هذه القرارات ـ فكرت فى ذلك لأننا كنا نتوقع ان الحكومة لا تمكننا من عقد اجتماع صحيح فوافق اخوانى أعضاء الحزب علي هذه القرارات وذهب حافظ بك رمضان وعبد الحميد بك سعيد الى نادي الأحرار الدستوريين لعرضها علي أقطابهم الذين كانوا مجتمعين فى ناديهم وهم عبد العزيز بك فهمى ومحمد على باشا وحافظ بك عفيفى ومحمود باشا عبد الرازق ومحمد باشا محمود ، وانتظرت أنا فى نادى الحزب الوطنى لكى أتلقى طلبا من بيت الامة لأبلغه الى حافظ بك ولم يوافق زعماء الأحرار الدستوريين على الصيغة التى وضعتها لأنها عبارة عن اعلان ثورة فى نظرهم»

ويمضى عبـــد الرحمن الرافعى فى ذكـــر الحـــديث عن الخطوات التى أدت الى لقاء الأحزاب الثلاثة : الوفــد والحزب الوطنى والأحرار الدستوريين ـ وكان الحـــزب الوطنى كمـــا ذكر حافظ رمضان هو موقف الزوج بين ضرتين (الوفد والاحرار الدستوريين) لا يستطيع كيف يوفق بينهما . ويذكر الرافعى كيف كان الاحرار الدستوريين أسرع الى تنظيم الاجتمـــاع فانهم اتفقوا مع فنـــدق الكونتيننتال على أن يبيت أكبر عـــدد ممكن من النواب ليكونوا على موعد للالتقاء باخوانهم صباح السبت ، وكنت ممن بات فى الفندق ليلة الاجتماع وكنا لغاية الصباح مترددين فى هل نعقد الاجتماع فى الكونتيننتال أم نذهب الى دار البرلمان ونحاول أن نقتحم أبوابه ، وقد كان من رأيى أن نجرب هذه المحاولة فان نجحنا انعقد البرلمان

فى داره وان لم ننجح عـدنا الى الـكونتننتال ، وعقدنا اجتماعنا فيه وكانت الاشاعات متضاربة والأنباء مزعجة فيما ستفعله الحكومة لمنع الاجتمـاع فان البـلاغات والتعليمات التى أصدرتها الحـكومة ووزارة الداخليـة كانت تقضى بمنع الاجتمـاع فى أى مكان ولو باطلاق النار وأعدت الحكومة احتياطات عسكرية كأنما نحن فى حالة حرب وكان الناس فى البـلاد فى خوف وقلق وانزعاج . على إنى نمت فى الـكونتننتال نوما هادئا .
تقابلت فى الصباح بردهة الكونتننتال ببعض النواب الذين بكروا فى الحضور وكنت أرى على الوجه ابتسامة الحزم والعزم فتفاءلت خيرا ، وكانت القوات المسلحة منتشرة فى الشوارع والطرقات والقـوة الـكبرى معسكرة فى دار البرلمـان ، على ان الذى لاحظته ان الجنـود وضباطهم كانوا يظهـرون عطفهم واحترامهم للنواب والشيوخ واعجابهم بهذه الحركة المباركة . والواقع ان الجيش لم يكن فى صف الحكومة وكذلك البوليس وهذا مكسب كبير لنا وكنت على يقين انه اذا استمر التضامن الذى ظهـر فى اجتماع الكونتننتال فان الحكومة لا تجد أية قوة ترتكز عليها لمقاومتنا .. الى ان كانت الساعة العاشرة فعددنا الحاضرين منهم فوجدناهم نحو ١٨٠ نائبا وشيخا ، وكانت أغلبية النواب المطلقة قد تكامل عددها فأصبح من الممكن عقد مجلس النواب ، وكان سعد باشا لا يريد حضـور الاجتماع ، هذا أمر واقع ، وكتابة صيغة الاحتجاج الذى وقعه النواب السعديون تدل على انهم يريدون الاكتفاء بالاحتجاج واعلان ارادة النـواب فى أن يجتمعـوا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .. واذكر اننا عندما كنا فى منزل سعد باشا ليلة الجمعة قال لنا بصراحة يجب ان

نكتفى بالاحتجاج وأن لا نحاول الذهاب الى البرلمان او الاجتماع لأنه كان متخوفا من العواقب ، ولكن تطور الحال صباح السبت ارجعه عن عزمه واقنعه بالعدول عن رأيه والحضور لمشاركة الأعضاء فى اجتماعهم وليس من شك أن من مهارة سعد مسايرة الظروف وانتهازه الفرص الطارئة والاستفادة منها ولكن يظهر ان سعد لما تكامل عدد النواب وأخذوا يوقعون القرارات التى اتفقنا عليها خاطبه بعض أعضاء الوفد فى التليفون فى ضرورة الحضور ، فحضر والاعضاء يوقعون — والحق ان حضوره اثار الحماسة فى النفوس لا فى الأعضاء وحدهم بل فى الجماهير ويجب أن نعترف بأن لسعد شخصية كبيرة مؤثرة فى الاجتماعات وتزيدها قوة ، هذا هو رأيى وان كنت أعتقد ان أنانية سعد قد أضرت كثيرا بالقضية الوطنية كما انها فككت الوحدة القومية وكنت أعتقد انه اذا استطعنا ان نقلل من أنانية سعد ونجعله زعيما قوميا لا زعيما حزبيا لاستفادت البلاد كثيرا من هذا التطور : والواقع انه حضر اجتماع الكونتننتال بروح مسالمة وهوادة مع خصومه السياسيين لا بروح التعصب الحزبى الذى اشتهر به والذى رأيته فيه حتى ليلة الجمعة .. حضر سعد ومد يده نحو خصومه ورفع راية التضامن القومى بالكلمة التى ألقاها بعد انتخابه رئيسا .. وسعد هو مقترح اجراء انتخاب اعضاء مكتب المجلس والواقع انه محق فى اقتراحه لأننا ما دمنا اعتبرنا انعقادنا دستوريا وأصدرنا قرارات برلمانية فمن الواجب علينا أن نبدأ بانتخاب الرئيس والوكيلين والسكرتيرين والمراقبين تنفيذا لأحكام اللائحة الداخلية لكن هذا الاقتراح قد اساء الأحرار الدستوريين وخصوصا عبد العزيز فهمى ومحمد على

وغيرهم لأنهم لم يكونوا يريدون سـعدا رئيسا وكانت حجتهم ان انتخابه رئيسا يغضب الملك ويعتبر تحديا له ولا أنفى عنهم من التأثر فى هذهالمسألةبالحزازاتالقديمة، لاننا اذا كنا نريد اعادة الدستور والحيـاة الدستورية فيجب علينا أن نحترم حكم الأغلبية وهذا ما قاله سعد لهم حينما اعترضوا على اجراء الانتخابات ، لأننا اما أن نريد الدستور واما أن لا نريده ، فاذا كنا نريده حقا فيجب علينا أن نحترم رأى الأغلبية ولا جدال ان أغلبية النواب من السعديين فيجب دستوريا ووطنيا أن ترضى بسـعد رئيسا للمجلس واما أن نقبل الدسـتور فى جزء منه ونرفض حكمه فيما لا ترضاه فهذا ليس من الدستور فى شيء . وفعلا تمت انتخابات مكتب المجلس والحق انها تدل على تغيير فى نفسية سعد لأنه رضى أن يكون الوكيلان غير سعديين وجعل وظائف السكرتارية والمراقبين موزعة بين السعديين وغير السعديين وفى ذلك ما فيه من روح المسالمة والمهادنة — ويكتب عبد الرحمن الرافعى عن نتائج انعقاد البرلمان فيقول : كان لانعقاد البرلمان نتائج خطيرة جدا فى حالة البلاد السياسية لأنه كان بمثابة اعلان العصيان والتمرد على النظام الاستبدادى الذى تحكم به البلاد فى ظل عصابة حزب الاتحاد والسراى . والحق ان هذا العصيان قد اشتركت فيه كل طبقات الأمة وكل الهيئات المفكرة فى البلاد لانه ما من هيئة تحترم نفسها ترضى بأن يتحكم فى مصير البلاد بضعة أفراد من أدنياء النفوس وطلاب المنافع الشخصية ، والواقع ان حزب الاتحاد قد ضرب ضربة قاتلة بهذه الحركة المباركة . وابتدأ الشعور الوطنى يستيقظ من جديد ويهب بقوة ونشاط لمحاربة الظلم والاستبداد بعد أن مضى عليه زمن طويل وهو مصاب

بالجمود والفتور ولا شك أن تضامن الأحزاب السياسية هو الذى هز الرأى العام وأخرجه من الجمود الذى كان غارقا فيه فهبة الرأى العام وشعور الأمة بقوة التضامن وتضعضع هيئة الحكومة الفــــردية هى من أهم النتائج التى ترتبت على انعقاد البرلمان .. ولقــــــد ولد اتفاق الأحزاب قوة فى الرأى العام لأن الحكومة أحست بعزلتها وبالسخط الذى وقــع عليها وليس فى مقدورها وهى فى عزلتها وضعفها ان تقاوم طويلا قوة الامة فى تضامنهـــا واتحاد زعمائها .. وقد كسب الحزب الوطنى من هذه الحركة مكسبا أدبيا كبيرا وارتفع نجم أخى أمين بعد أن كان مرموقا من الجماهير الســعدية بعين السخط فالآن شعروا بأن دعوته هى التى أدت الى انعقــــاد البرلمـــان واتحاد كلمة الأمة فاليه يرجع الفضل فى هذه الحركة المباركة والآن شـــعروا بأنهم كانوا ظالمين فى اتهـــامه والسخط عليه وهكذا لا يلبث الحق أن يعلو ويتغلب على العقبات والدسائس والأباطيل التى يلقيها البـــاطل فى طريقه » .

مع الحرية بلا حدود

كان أمين الرافعى من أصدق المؤمنين ـ بلا حدود ـ بالحرية ، حرية الكتابة وحرية الخطابة وحرية الاجتماع وحرية التعبير والحرية الشخصية وشتى أنواع الحريات ولم يكن الرافعى يكافح من اجل تحقيق الحريه له وحده أو للذين يقفون معه بل لخصومه أيضا فالحريات هى مقومات الحياة ولا يمكن أن يحرم منها احد .. ولم يكن الرافعى يثور عند تعطيل الصحف الوطنية التى يعمل بها وحسب ، بل كان يثور عند أتخاذ الاجراءات غير العادية تجاه خصومه من الصحفيين أيضا . فتعطيل الصحافة فى رأى امين الرافعى عمل جائر ، والزج بالكتاب والصحفيين فى السجون والمعتقلات لا يمكن أن يقضى على الآراء التى يدافعون عنها ، ولو كانت آراء خاطئة وانما الذى يجدى ويفيد هو الاقناع ، فبدلا من ان تعطل صحيفة ما يمكنك أن توضح للرأى العام اخطاء اتجاهها وبدلا من أن تزج بصحفى فى سجن او معتقل يمكنك ان تقضى على آرائه الخاطئة عن طريق الحوار والمناقشة . كتب الرافعى فى ٦ سبتمبر ١٩٠٩ مقالة تحت عنوان : « نحن والحكومة » أكد فيها وجود هوة سحيقة بين الأمة والحكومة « فالحكومة تهزأ بالرأى العام وتسخر منه وتعد الأمة عدوة لهـا لا تستحق رحمة ولا عطفا ، والرأى العام ساخط على

الحكومة يرفع أصوات الاستياء من أعمالها فتذهب هذه الأصوات أدراج الرياح » ويتساءل الرافعى فى نهاية مقاله : هل هناك ثورة مدبرة ؟ أحرم على الناس المطالبة بحق كان لهم من قبل ؟ أم ماذا جرى حتى آلت الأحوال الى ما نحن عليه الآن » .

وكتب الرافعى فى ٢٥ مارس سنة ١٩١٠ فى ذكرى صدور قانون المطبوعات يقول : « عام انقضى على صدور هذا القانون والأمة تئن منه وتشكو من تطبيقه فلا يسمع لها أحد نداء » ثم قال « ان الحرية مهما صودرت وضويقت فى مكامنها فلا يتوارى ضياؤها ولا تغرب شمسها ولا تلبث أن يزيدها الحجب ظهورا ولا يفعل بها الضغط الا انماء وانبعاثا » .

وعندما يناقش الرافعى السير جورست المعتمد البريطانى فى مصر فى تقريره السنوى يقول : يجب أن تكون الصحافة حرة لأنها تعبر عن رأى الأمة بأسرها ولأنها خلاصة أفكار الطبقة الجاهلة والطبقة المتعلمة وهى المرآة التى يرى كل انسان فيها نفسه بجانب غيره فيقارنها بسواها ويصدر حكمه بعد ذلك » .

كانت جريدة الأخبار تعادى الرأى العام ويوم أن نزل الايطاليون الى شاطىء طرابلس كتبت تقول : « ادخلوها بسلام آمنين » ولكن يوم أن عطلت كتب الرافعى فى ٣ مارس سنة ١٩١٢ فى صحيفة الأفكار يقول : ان ديدن الأخبار التصفيق لكل جديد لقانون العقوبات والتشفى من كل جريدة وطنية ينالها نصيب من هذا القانون ولكن ذلك كله لا يبرر قرار الداخلية القاضى بتعطيلها شهرين ، لأننا نبغض تطبيق القوانين الاستثنائية حتى

على خصومنا السياسيين وما دامت خطتنا انتقـاد مبدأ من المبادئ وجب علينا أن لا ننظر للأشخاص ولا نلجأ الى الشماتة كما يفعل غيرنا ــ ان قانون المطبوعات ما وضع الا لزمن الثـــورة فليس له مسوغ الآن بأى حال من الأحوال ولقد رفعت جميع طبقات الأمة صوتها بالاستياء منه مطالبة بالغائه فمجلس الشورى طلب الغاءه والجمعية العمومية طلبت بالاجماع الغاءه وكذلك الاحزاب وجميع الهيئات التى فى مصر فلا معنى اذن لبقـــاء سيفه على الرءوس ، لا معنى لأن تكون الصحف مهددة بضرباته القاتلة فبينما القلم يخط اليوم ما شاء واذا بنا نراه فى الغـد محطما ليس هذا هو الذى تطلبه أمة تنشد الحرية وليس هذا ما يتفق والقرن العشرين وليس هذا آية من آيات المدنية » .

وعندما عطلت صحيفة وادى النيل كتب الرافعى فى العلم ١٨ ابريل سنة ١٩١٢ مقالاً عنيفا تحدث فيه عن تعطيل « مصر الفتاة » تعطيلا أبديا ، كما تحدث عن تعطيل « الشعب » و « الأخبار » و « وادى النيل » وقال أن هذه التصرفات لا تستهدف الا شيئا واحدا وهو أن يمتنع الكتاب عن توجيه كلمة انتقاد للحكم . ولم يكن الرافعى يدافع فقط عن حرية الصحافة بل كان يدافع عن حرية التعبير بشتى صورها ، كتب فى ٥ فبراير ١٩١١ فى « العلم » ينقـد التضييق على التمثيل فقـال : وضع بعضهم رواية تمثيلية عن حياة نابليون فى جزيرة هيلانة عندما كان أسيرا لانكلترا قبل موته وابان فيها المعاملة التى عومل بها ثم عرضها على نظارة الداخلية وبعـد فحصها رفضت الترخيص له بتمثيلها ونحن نعجب لهذا التصرف الاستبدادى لأنه ليس هناك قانون يخول الداخلية فحص

الروايات قبل تمثيلها للترخيص بمـــا يوافقها ورفض ما لا يتفق مع آرائها ، ولا ريب فى أن تدخـل الداخلية فى أمر التمثيل بهذه الصفة أى بغير حق شرعى يجعلنا نعتبر أنفسنا فى بلد تقام فيه الأحكام العرفية اننا لا ندرى كيف تحجر الحكومة على حريات التمثيل هـذا الحجر الغريب ؟ ومن خول لها تلك السلطة الاستبدادية وما هو القانون الذى تستمد منه ذلك ؟ هذا ما نسأل عنه عطوفة ناظر الداخلية الذى صرح فى أول عهد الوزارة السعدية (الحرة) بأنه يعتبر الحرية حقـــا طبيعيا للأمم ويمقت وسائل الضغط ، فأين هذه الحرية يا عطوفة الوزير ونحن نرى ركنا منها يقبر بلا قانون أو لائحة بعد ما قبرت الاركان الاخرى . لقد تملكتنا الحيرة يا عطوفة الوزير من هذه التصرفات التى ما كنا نسمع بها قبل الآن . يوعز الى الممثلين بعدم تمثيل بعض الروايات ، ويرغم الـكتاب على عرض رواياتهم على الداخلية قبل تمثيلها وترفض هذه النظارة الاذن بتمثيلها واذا أراد أحـدهم استئجار ملهى من الملاهى أو أى محل عمومى آخر لاقامة احتفال أو غيره منع من ذلك وأبى عليه صاحب المكان ما يريده الا اذا حصل على تصريح من الحكمدارية .. يحدث كل ذلك واكثر منه بغير قانون ينص عليـه فاذا سألنا عن مصدره أو المسوغ له قالوا لنا : أوامر سرية صدرت ويجب أن يجرى العمل بها ولو انصفوا لقالوا انها احكام عرفية مقامة فى البلد : اننا لا تهمنا الرواية التى منع تمثيلها وانما يهمنا ذلك المبدأ الخطير الذى وضع للتضييق على البقية الباقية من أركان الحرية » . وحول اشاعة ترددت بأن فى دار جريدة الشعب منشـــــورات ثورية قـــال الرافعى : اذا أصبح للوشايات أى أثر ولو كان طفيفا فان

الحرية الشخصية تكون مهددة بخطر عظيم لقد فتش مندوب الداخلية ومأمور قسم عابدين دار « الشعب » فلم يجدوا بها شيئا » ويتساءل الرافعي عقب استدعائه الى وزارة الداخلية ــ وما أكثر ما استدعته هذه الوزارة في تلك الفترة ــ وقد وجهت اليه تهمة الكتابة فيما يدخل الشك في صحة بلاغات الوكالة البريطانية : « ما الذى يمكن ان نفعله لنكون محل رضاءهم ؟ لقد أصبحت أكثر مواد « الشعب » تحرر في دوائر المراقبة او الداخلية والتلغرافات الخصوصية التي ترسل الينا لا تسلم الا بعد ان يصلح فيها الرقيب ما يصلح والتلغرافات العمومية وبلاغات الوكالات التي ترسل الينا من قلم المطبوعات تأخذ من صحيفتنا فراغا كبيرا مع اننا غير ملزمين بنشرها فما الذى يتبقى بعد ذلك حتى نحاسب كل يوم حسابا عسيرا . اننا اليوم لا ننظر الى هذه الحرب نظرة انجليزى او فرنسي وعلى ذلك لا يجوز ان نحاسب باعتبارنا انجليزيين وفرنسيين كما اننا لا ننظر اليها نظرة المانى وانما نحن نراها بعين مصرية مستقلة » .

وتقوم الحرب العالمية الاولى وبنهايتها تبدأ ثورة ١٩١٩ ولا يستطيع الرافعي طوال عام ١٩١٩ أن يصدر صحيفة فيكتفي بكتابة المقالات في بعض الصحف الصديقة وعندما ساعدته ظروفه فأصدر « الأخبار » في فبراير سنة ١٩٢٠ حالت الرقابة بينه وبين ما يريد أن يقوله وسقط سيف الرقابة وبودع الرافعي الرقابة في ١٥/٥/١٩٢٠ بكلمة يحمد فيها الله على ما انعم به علينا من جلاء الرقابة على الصحف . ولا ينسى الرافعي أن يحذر من اى اعتداء على حرية الرأى او المساس بها ، فحرية الرأى يجب أن تكون مقدسة محترمة .

وفى دراسات الرافعى عن الدستور يؤكد على ضرورة الحرص على الحريات وقد كان الرافعى أول من نبه الى الخطر الجسيم الذى جاء فى الدستور عندما نص على « ان انذار الصحف او وقفها أو الغائها بالطريق الادارى محظور الا اذا كان ذلك ضروريا لوقاية النظام الاجتماعى» وقال ان هذه العبارة الاخيرة قد سلبت الصحافة حريتها الصحيحة ، لان محاسبة الصحف بالطريق الادارى انما هو قضاء على الصحافة وحريتها ولا سيما اذا استخدم فى هذا السبيل نص مبهم غامض مرن لا حدود له ولا قيود اذ أن وقاية النظام الاجتماعى يمكن تطبيقها على كثير من الأمور ، أن تدخل الادارة فى شئون الصحف لا سيما فيما يتعلق بحياتها وموتها انما هو تدخل سيىء المغبة يطعن الحرية طعنا قاتلا مهما كانت الاسباب الداعية لهذا التدخل لأنه تدخل لا مبرر له اذ حرية الصحافة تحتم أن يكون حساب الصحف من حق القضاء وحده أما الطريق الادارى فانه طريق استبدادى محض ولا يمكن التخلص من اخطائه الفظيعة ولا من شهواته السياسية ولا من أغراضه الإنتقامية ، ولقد دخلت البلشفية فى جميع دول أوروبا ومع ذلك لم نسمع بأن حكوماتها الدستورية أدخلت فى دساتيرها ذلك الاستثناء الموجود فى دستورنا المصرى أو فكرت فى تعطيل الصحف أو وقفها بالطريق الادارى وكم هناك من صحف تقف أعمدتها لنشر الفكرة الشيوعية ومع ذلك فانها اذا خالفت القوانين لا تجرؤ الادارة على التدخل فى شأنها بل يعهد بأمرها الى القضاء وحده فهو الذى يفصل فى جميع جرائم الصحافة ، بل ان كثيرا من البلاد قررت حرصا على حرية الصحافة إذا لا ينفرد القضاء بمحاكمة الصحفيين وانما

يقضي هذا القضاء بناء على قرار هيئة من المحلفين وقد بالغ الشارع الفرنسي فى احترام هذا المبدأ الى حد انه حتم عدم رفع الدعوى المدنية الا أمام قضاة الدعوى الجنائية حتى يمنع الفصل فى أية نقطة من نقط الدعوى الصحفية،بدون تدخل هيئة المحلفين فالتوارى خلف خطر الدعوة البلشفية لابقاء سيف الطـريق الادارى مهددا للصحف بالموت وللحرية بالفناء انما هى وسيلة يستحيل الدفاع عنها فالقضاء هو الهيئة الوحيدة التى يجب أن تحاسب الصحف على ما نشر والقانون العام هو وحده الذى يرجع اليه لمعرفة الجرائم المعاقب عليها » .

روى الشاعر أحمد محرم حادثة يتجلى فيهـا ايمـان الرافعى بحرية النشر فقال : أردت يوما ان اكتب مقالا عن بعض الصحف الاسـبوعية التى اغرقت فى نشر الفضائح ولما عرضت نيتى على أمين الرافعى واظهرته على مقال لبعض الزميلات من كبريات الصحف الحت فيه بشدة طالبة وضع تشريع قال لى بلهجة الغاضب المشفق : أكتب ما تشاء ولكن لا تطلب وضع تشريع يقيد حـرية الكتابة لأننا مرهقون بالقيود ، واننا نطلب الحرية مطلقة بلا قيود . قلت ولكن الحرية المطلقة لا وجود لهـا فقـال : وهل للحيـاة قـوانين تحـددها حسب الحيـاة أن تكون بريئة لتـكون صـالحة قلت وماذا يمكن أن يصـد هـذه الصحف عن نشر الفضـائح أن لم يسن قانون يحرم الخوض فى الشخصيات ، فقال : « الضمير » هو الشريعة فخاطب ضمائر زملائنا أصحاب ومحررى الصحف الاسبوعية الجريئة على العـلاقات الشخصية وعلى حوادث ما وراء الستار ، وترفق فى مناشدتهم فقد تنال باللين ما لا تناله بالعنف ، وسبيلنا

هو النصيحة وما كان سبيلنا أن نستعين بالقوانين على تقييد الحريات لأن القوانين تفسر وفق الأهواء ولأنهـا قـد وضعت بحيث تتخـذ يوما من الايام آلة للارهاق والانتقام » فاقتنعت بوجهة نظره واقتنعت بأن الرافعى أكبر مشرع معاصر وكنت أظنه متفقها فى القـانون فاذا بى أراه فقيها فى علوم الحياة . ولم يغب عنى ان الرافعى كان يحب الحـرية لخصومه وخصوم المجتمع وللأمم المهضومة كما يحبها لنفسه : الحرية التى كان يدعو اليها أمين الرافعى حرية تقوم على الفضيلة وعلى الانسـانية وعلى العدل لا حرية كتلك التى نفهمها ولـكنها حـرية يفهمها الرسل والأنبياء ولم يكتب الرافعى كلمة واحـدة ضد حرية الاجتماعات وضد حرية المظاهرات فى الوقت الذى قذفت الجماهير الطـائشة دار « الأخبار » ، بالحجارة وكادت تقتحمها عليه لأنه يطلب الحرية للجميع ولأنه يعتقد ان تقييد الحرية اذا حمى شخصه فربمـا أضر بالأمة ، فليذهب هو فداء الامة ولتتوطد الحرية على جثته وعلى جثث سواه اذا لزمت الحال .

ولم يـكن عباس محمود العقـاد ينتمى الى المدرسة الوطنية التى انتمى اليهـا الرافعى ولم يلتق العقاد والرافعى يوما فى عمل صحفى واحد ، ومع ذلك فان أحدا لم يفهم أمين الرافعى كما فهمه العقاد ، ولم ينجح فى تصوير شخصيته ، كما نجح العقاد . قال عبـاس محمود العقاد يصف الرافعى : كان أمين مؤمنـا وكفى بالايمان عزاء فى شقاء الحياة ، وكفى به شقاء فى عالم الكفاح ، فلولا ايمان الرجل لما ألقى بنفسه فى ميدانه ولولا ايمانه لعز عليه الصبر فى بلائه فالايمان عدوه والايمان حليفه ويا لشقاء من يأتيه الـكيد من حليفـه الحميم

ويا لسعادة من يأتيه العون من عدوه المبين لم تكن للرافعى آراء تحتمل الخطأ والصواب وانما كانت له عقائدلاترخص بشك ولا تأذن فى هوادة وكان حد العقيدة عنده أن يجهر بالرأى ، فما هو الا أن يخالف فيه المخالفون حتى يفصح عنه ويشتد فى تأييده ويأخذ على المعارضين سبيل الشك فى أصوله وفروعه وحتى يلتقى الراى والايمان ويمتزج اليقين والبرهان واذا بكل راى كأنه دين ذو شعائر وفروض لا تختل منها شعيرة ولا تمس منها فريضة واذا بنفسه كلها قد صبت قواها على الراى فلا بقية فيها لراى سواه .. لقد عاش أمين لرايه وعقيدته فكان مثلا فى الثبات وعنوانا شريفا لصناعة الصحافة وفردا من الأفراد الذين رفعوا هذه الصناعة النبيلة عن طمع الطامعين وشبهة المشتبهين ... فالرافعى لم تكن له كما يقول العقاد آراء تحتمل الخطأ والصواب وانما كانت له عقائد لا تحتمل الجدل والمناقشة والتحوير والتأويل وكما لا يجوز الخروج على الأصول فكذلك لا يجوز الخروج على الفروع : ان معتقدات الرافعى كائن حى له قلبه وعقله وفكره وأطرافه وكل ما للكائن الحى من اجزاء والاضرار بجزء من هذا الكائن مهما صغر هذا الجزء ومهما بدت عدم أهميته اضرار بجسم الكائن كله »

كان الرافعى ــ مثلا ــ يؤمن بأن شر ما أصاب مصر فى قلبها هو الاحتلال البريطانى وكان لا يرى من دواء لهذا الداء الا الجلاء فأى لقاء او اتفاق أو تعاون او مصالحة مع المحتل بدون الجلاء اضرار بالقضية المصرية وأى طريق لا يوصل مباشرة الى الجلاء طريق لا أمان فيه ولا يمكن لأحد أن يطمئن اليه أو يسير فيه .. والرافعى ــ مثلا ــ كان يؤمن بالدستور والحياة النيابية القائمة على

اسس ديمقراطية سليمة ، فأى عمل داخلى لا يستهدف الحصول على الدستور ولا يوصلنا الى الحياة النيابية السليمة عمل لا يعتد به ولا خير فيه .. والرافعى — مثلا — يعتقد بحرية الصحافة فى التعبير عن آمال الشعب وآلامه ومعتقداته ومطالبه وأى قيد على هذه الحرية حتى ولو أسرفت بعض الصحف فى الخروج عن واجبها وأساءت الى المهنة قيد باطل يجب العمل بكل قوة للتخلص منه .

والرافعى — مثلا — يؤمن بأن بريطانيا قد اغتصبت مصر واحتلتها بالقوة والخيانة والخديعة وأى مفاوضة بين مصر وبريطانيا ينبغى أن تكون واضحة الأسس والمعالم بحيث تعترف بريطانيا أولا بحق مصر فى الحرية والاستقلال وبحيث تعلن بريطانيا عزمها على احترام حرية مصر واستقلالها وبعد ذلك يمكن اللقاء للبحث فى التفاصيل .

وكان الرافعى — مثلا — يؤمن بأن مركز القوة فى مصر، فى دار المندوب السامى البريطانى فهو وحده الذى يحرك الخديو ، والسلطان والملك — كما يحرك الوزراء والساسة أو بمعنى أدق كثير من السياسيين وهو — أى المعتمد البريطانى — مهما يكن اسمه ومهما يكن الأسلوب الذى يعتمد عليه فى الحكم لا يعمل الا لتنفيذ السياسة الاستعمارية ولا يمكن أبدا لممثل بريطانيا فى مصر أن يعمل لفائدة مصر ، ولذلك فان أى تفاهم معه ، أو تعاون واياه — أو على الأقل السكوت على ما يرتكبه من جرائم يكون ضارا بالقضية الوطنية المصرية ، ومفيدا للمصالح الاستعمارية البريطانية وكان الرافعى مثلا — يعتقد بأن الأسرة المالكة التى تحكم مصر ، لا تستهدف الا مصالحها

الشخصية ، ولما كان الاحتلال البريطانى قد جاء الى مصر باسم الدفاع عن هذه الأسرة وباسم حمايتها فان هذه الأسرة ستظل ملتصقة بالاستعمار ، معتمدة على قواته ، ولذلك فان محاربة الاستعمار البريطانى والقضاء عليه انما يعنى الاستفادة من التناقضات الموجودة بين المعتمد البريطانى وبين الخديو عباس حلمى الثانى لاضعاف السلطتين الشرعية والفعلية معا .

وكان للرافعى معتقدات كثيرة خاصة بالسودان والجيش المصرى والحزب الوطنى ولم تكن هذه المعتقدات تتبدل أو تتغير بتغيير الظروف وتبدلها ، لقد كان فى مصر معتمدون عديدون كرومر وجورست وكتشنر ونجت واللنبى ولويد جورج وكان فى أيديهم كل السلطة وكل الجاه وكانوا يختلفون فى أساليبهم كما كانوا يختلفون فى طريق معاملتهم للشعب ، ومع ذلك لم يتخلف الرافعى عن مهاجمتهم وهم فى مراكز السلطة ولم يقف من واحد منهم يوما ما موقف المسالمة أو المعاداة .

بينما كانت لجنة الدستور تعمل لاعداد الدستور كان الرافعى يكتب مقالات عديدة ، صريحة وجريئة حول سلطة الملك وكيف يجب « أن يملك ولا يحكم » وكيف يجب أن يباشر عمله عن طريق وزرائه ، وكيف يجب أن تتحمل الوزارة المسئولية كاملة بحيث لا يكون للملك الا التصديق على القرارات وكيف يجب الا يملك الملك سلطة الاشراف على المعاهد الدينية وكيف يجب الا يكون له حق منح الرتب والنياشين الا عن طريق الوزارة المسئولة أمام البرلمان و .. و .. وقد دخل الرافعى في صدام مباشرة مع الملك عندما أصر الملك علي السفر

الي اوروبا لاجراء مفاوضات مع بريطانيا دون أن يصحبه رئيس وزرائه كما دخل في صدام مباشر معه في موضوع حسن نشأت باشا وكيل الديوان الملكي بالنيابة الذي كان يسير الوزارة من مكتبه في السراي وكذلك في موضوع المخصصات الملكية واستبدال تفتيش بشبيش بسراي الزعفران ، وكان الرافعي كمحام قدير يعتمد في كل مايكتبه على القانون فلم تستطع الحكومات الاستبدادية أن توجه اليه العيب في الذات الملكية التي وجهتها الى غيره .

في منتصف يونيه سنة ١٩٢٥ كتب الرافعي عن استبدال سراي الزعفران بتفتيش بشبيش وذكر مايتردد على السنة الشعب حول عدم عدالة الصفقة وما تردده الحكومة حول عدالتها وقال الرافعي ان ايراد التفتيش يساوي أربعة أمثال ايراد السراي وان الاعتماد على الايراد في تثمين قيمة التفتيش لا يمكن أن يكون مبررا للصفقة : وفي ديسمبر سنة ١٩٢٥ بلغت فضائح حسن نشأت باشا في القصر ذروتها وأصبح الرأي العام مستاء جدا لمواقفه المعادية للشعب فأراد المعتمد البريطاني الجديد جورج لويد في مستهل عمله أن يكتسب ارضا شعبية فتدخل لاقالة حسن نشأت من منصبه . ورغم أن الشعب كان مستاء لهذا التدخل الا أن اقصاء حسن نشأت عن السراي كان له رنة فرح وكان مما قاله الرافعي عن اخراج حسن نشأت باشا : انتهى دور من أدوار الازمة الحاضرة بخروج نشأت باشا من القصر الملكي وقد كانت البلاد تتمنى من زمن طويل وقوع هذا الحادث ، لأن نشأت باشا استخدم منصبه في غير ما أنشيء له وكان اكبر خصم للدستور وألد عدو للحياة البرلمانية : حارب نشأت باشا الدستور والحياة البرلمانية لانه اراد ان يسيطر على البلاد ويتحكم

« فى شئونها ويأمر وينهى فى كل أمورها » .

لقد كان أعضاء الوزارة الاتحادية آلات فى يده يلعب بهم كيف يشاء ويحركهم كيف يملى عليه هواه ، لقد كانوا عبيدا له خاضعين لا يعصون أمرا ولا يرفضون له اشارة فكانت النتيجة الوبيلة أن فردا واحدا هو نشأت، أصبح الكل فى الكل وأصبحت شئون البلاد فى قبضته » وبينما كان الملك فؤاد يستعد للسفر الى أوروبا أثار الرافعى موضوع هذه الرحلة فى أكثر من مرة اتسمت بالعنف وخاصة عندما طلب من مجلس النواب اعتماد مبلغ ٢٠٫٠٠٠ فى ميزانية ديوان الملك لنفقات الرحلة وعندما ناقش مجلس النواب المخصصات والمرتبات فى ميزانية الديوان الملكى قال الرافعى : « ان خطة الاسراف والتبذير ، أصبحت عظيمة الضرر على البلاد ولا سيما فى الظروف الحاضرة التى قلت فيها ايراداتنا فاذا لم نعمل بحزم وعزم على تقليل نفقاتنا كان علينا أن نواجه أزمة مالية خطيرة لا ندرى كيف نتغلب عليها ولم يعد خافيا على أحد ان القسم الخاص بمرتبات ومخصصات ديوان جلالة الملك تتضخم تضخما لا يتناسب مطلقا مع ايراداتنا ، وأشار الرافعى الى الزيادة المطردة التى طرأت فى السنوات الأخيرة على المخصصات الملكية حتى أصبحت ٦٠٣٦٩٩ جنيها مصريا وهى زيادة فاحشة ليس لها ما يبررها » كما أشار الرافعى الى التخفيض الذى اقترحته اللجنة المالية فقال انه تخفيض أكثره تصورى ، وأشار الرافعى الى فداحة المبالغ التى تنفق على اصلاح السرايات الملكية والمبالغ التى زادت بسبب شراء قصرى المنتزه والقبة لسكنى جلالة الملك بمبلغ ٢٢٢٫٢٣٧ جنيها وأشار الرافعى الى اقتراح حافظ بك رمضان الذى يقضى

بأن تعتبر سرأى عابدين وسرأى رأس التين وحدهما مقرا للجالس على العرش ، ولاتتكلفميزانيةالدولةغيرالمصاريف اللازمة لهاتين السرايتين لان هذه هى الطريقة الأولى لسد هذه البالوعة التى تبتلع ميزانية الدولة ويوضع حد لتلك المصاريف الطائلة التى لا فائدة منهــا واشار الى ما ذكره مصطفى الشوربجى من انه ليس هناك مثل قاطع على سياسة الاسراف ، مثل مايتفق على الباب الخاص بالركائب الملكية فقد حسب مجموع ما صرف فى هذا السبيل فى مدى ست سنوات فاذا به يقرب من نصف مليون جنيه فى حين اننا لم نر ثمة منفعة من هذه الركائب كما أشار الى ما ذكره كامل حسين الأسيوطى من ان ما ينفق على هذا الجزء من الميزانية يذهب على الكماليات وليس فيــه من الضروريات الا جزء يسير جدا .. وينتقد الرافعى المجلس لأنه لم يوافق على ما ارتأته اللجنة المالية ولم يوافــق على ملاحظات الاعضاء وانما وافق على انه عهــد الى حكومة الملك النظر فى الملاحظات التى بينتها اللجنة المالية . وفى اختيار الوزارة لتكون مسئولة عن قسم المبانى ابتداء من السنة المالية القادمة . وحول اصرار الملك فؤاد على عدم اصطحابه رئيس الوزارة معه فى رحلته الى الخارج كتب الرافعى يقول : « ان اصطحاب جلالة الملك رئيس الحكومة أمر ضرورى لما فيه من احترام التقاليد الدستورية ولكن مجرد هذا الاصطحاب وحده لا يكفى لدرء الأخطار التى قد تترتب على مثل هذه الزيارة ومن اجل هذا كان حتما أن تطرح مسألة هذه الزيارة على بساط البحث فى مجلس الوزراء ووضع برنامج خاص لرئيس الوزراء فى هذه الزيارة لا يجوز له أن يتعداه حتى ولا يسمح له بالقاء تصريحات قد يأخذها الانجليز علينا ويجعلونها دعامة يرتكنون عليهــا

لتحقيق أغراضهم الاستعمارية ، وعندما احيلت صحيفة « السياسة » الى قاضي الاحالة تمهيدا لاحالتها الى محكمة الجنايات بتهمة العيب فى الذات الملكية . كتب الرافعى أكثر من مقالة فى هذا الموضوع وأشار الى الرأى القائل بضرورة التفرقة بين ذات الملك وعمله وكيف ان القانون وقف عند حماية ذات الملك ولكنه لم يتعرض لحماية عمل من أعماله ولا سيما اذا كان لهذا العمل مساس بالدستور .

وبعد ذلك يأتى معتقد الرافعى الخاص بالمفاوضات بين مصر وبريطانيا ، وربما كان هذا المعتقد هو الذى حدد عمله السياسى منذ عام ١٩١٩ الى وفاته وبسبب هذا المعتقد خاض حربا ضارية ضد الوفد ، كما خاض معركة عنيفة ضد اخوانه وأصدقائه وزملائه فى الحزب الوطنى الذين كانوا لا يرون رأيه فى المفاوضات بصورة عامة . لقد كان الحزب الوطنى يتجه فى هذه النقطة الى التشدد الذى ما بعده من تشدد ، وكان الحزب الوطنى قد اتخذ قرارا فى ١٩ ديسمبر ١٩١٩ يقضى بأن « الأمة لا تقبل غير استقلال مصر التام مع سودانها وملحقاتها استقلالا غير مشوب بأية حماية أو وصاية أو سيادة أجنبية أو أى قيد يقيد هذا الاستقلال وأنها لا ترضى بالمخابرة مع أية هيئة بريطانية أو غيرها الا اذا اعترفت بريطانيا بهذا الاستقلال التام وأعلنت اعترافها رسميا وايدته بجلاء الجنود الانجليزية عن وادى النيل وسحبت اعلان الحماية، اى ان الحزب الوطنى كان يطالب قبل المفاوضة مع أية هيئة بريطانية بالاعتراف بالاستقلال التام من قبل انجلترا وتنفيذ هذا الاعتراف بالفعل ، وكان الوفد قد اشترط قبول التحفظات التى أدخلها الشعب على مشروع ملنر ،

ثم عاد ، فرأى دخول المفاوضات بدون أى قيد أو شرط .
وهذا ما جعل الرافعى يختلف واياه .. فالرافعى اذن كان يقف موقفا وسطا بين الحـــزب الوطنى وبين الوفـــد فيشترط وضع اسس سليمة واضحة للمفاوضـــات بين مصر وبريطانيا ، الأمر الذى لا يقبله الوفد رغبة منه فى التفاوض والامر الذى لا يقبله الحزب الوطنى اعتقادا منه بسوء نية بريطانيا هذا الاعتقاد الراسخ الذى آمن به الرافعى منذ عام ١٩٢٠ لم يتخل عنه الى وفاته والجدير بالذكر ان الكتاب الوحيد الذى أخرجه أمين الرافعى كان عن مفاوضات الانجليز بشأن المسألة المصرية وقد طبعه ووزعه فى أواخر عام ١٩٢١ وقد تكلف هذا الكتاب ٣٧ جنيها مصريا دفعها لصاحب مطبعة النهضة بشارع عبد العزيز وقام الرافعى بتوزيع أعداد كبيرة من هذا الكتاب مجانا وكما سبق ان قلنا ان الرافعى بعـــد فشل مشروع ملنر ومفاوضات ملنر أخذ على عاتقه محاربة كل مفاوضات بين مصر وبريطانيا لا تقوم على أسس سليمة وواضحة وكان الرافعى أبعد السياسيين نظرا فيما يتعلق بالمفاوضات وربما لو اتبع الساسة المصريون ما كان ينادى به لما وقعوا فى المصيدة التى كانت بريطـــانيا تضعها لهم ، واحدا وراء الآخر ، وحزبا وراء حزب الى ان وقعوا جميعا — فيما عدا الحزب الوطنى — فى الفخ الأكبر الذى انتهى بمعاهدة ١٩٣٦ . وكان الرافعى أول صحفى مصرى اهتم بالجيش المصرى وتولى الدفاع عنه ضــــد مؤامرات الاحتـــــلال البريطانى .

وقد كان الرافعى بحق محامى القضية السودانية وما من مناسبة الا وحمـــل الرافعى على الســـــياسة الانجليزية الاستعمارية فى السودان .. وفى ١٩ يناير من كل عام

كان الرافعي يكتب باستمرار عن أتفاقية السودان (١٨٩٩) وينادي ببطلانها بطلانا مطلقا ، وللرافعي مواقف مشهورة في القضية السودانية وخاصة عند وضع دستور ١٩٢٣ ويعتبر عام ١٩٢٤ عام السودان في مصر ومعظم مقالات الرافعي في ذلك العام كانت عن السودان وللحق وللتاريخ أيضا ، لم تكن نظرة الرافعي الى قضية السودان تختلف أى اختلاف عن قضية مصر بل لقد كان يرى ان القضية الوطنية لوادى النيل هى قضية مصرية سودانية .وكان الرافعي حريصا على اعتبار مصر والسودان دولة واحدة لكل جزء الحق في الجزء الآخر وللسودانيين كما للمصريين في وادى النيل نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات .. وكان الرافعي يعلم حق العلم أن الاستعمار التركى قد أساء الى مصر كما أساء الى السودان وان الاستعمار البريطانى قد عمل على تشويه الوجود المصرى فى السودان . ومما قاله الرافعي في هذا الخصوص : لقد ابتلينا في مصر بحكام ينسبون الى مصر ظلما وعدوانا كما ابتلى السودان أيضا في نفس الوقت بحكام ينسبون أيضا الى مصرظلماوعدوانا وكان من راى الرافعي ـ وكان يكرره باستمرار ـ انانجلترا يجب أن تخرج من مصر ، ومن السودان ، ويجب أن يترك لأبناء النيل وحدهم بناء دولتهم دون تدخل أو وصاية من بريطانيا التى لا تستهدف الا اضعاف كل من القطرين وتوسيع الشقة بين الأخرين » ولا يتسع المجال ـ فى هذا الفصل ـ للاحاطة بما كتبه الرافعي عن السودان فالمقالات كثيرة ومتعددة عن السودان والسياسة الانجليزية فى السودان وما صنعته الحكومة البريطانية في السودان ، وكان الرافعي الى جانب اهتمامه بالمقالات التى كان يكتبها بقلمه عن السودان كان يعطى أخبار السودان وحركاته

الوطنية وانتفاضاته الشعبية التى كانت تقوم بين حين وآخر أهمية كبرى فى الصحف التى كان يصدرها .

وفى الدراسات العــديدة التى كتبهـا الرافعى عن الدستور مقالات متنوعة عن السودان ومما قاله الرافعى فى هذه المقالات : لقد كان من حق الشعب القاطن فى مصر والسودان أن يقرر مصيره بنفسه بدون تدخل أية دولة أجنبية وأن يضع لوادى النيل من منبعه الى مصبه ما يشاء من الأنظمة .

وكتب الرافعى فى ١٩٢٣/١١/١٦ يقول : لقد شــغل الوزراء كثيرا بمشاكل الترقيات والتعيينات وزيادة المرتبات وأفرطوا فى حضــــور الولائم والمآدب ونسوا أن هناك مصالح وطنية يجب السهر عليها وأن الاهتمام بالسودان أعود على البلاد من حضور مأدبة الاسطول البريطانى » وواصل الرافعى دفاعه عن السودان وهجومه على الاستعمار البريطانى هناك وتتبع أخبار الحركة الوطنية السودانية ، وعندما اعتقل البطل الســـودانى على عبد اللطيف نادى الرافعى فى ١٩٢٤/٦/٢٨ بارسال محامين مصريين متطوعين للدفاع عنه وطلب من الوزارة تسهيل مهمة السفر لهؤلاء المحامين ليتمكنوا من القيام بواجبهم الوطنى والقانونى .

وفى كلمات مختصرة كان الرافعى يؤمن بحق الشعوب ، كل الشعوب ، فى الحـــرية والاستقلال والتخلص من الحكومات الاستبدادية . . كان يؤمن بحرية الشعب ـ أى شعب ـ فى الثورة ضد أى ظلم يقع عليه وكان فى مقالاته العديدة يحتفى بذكرى الثورات الشــعبية ويعطى أهمية خاصة للثورات التى قامت فى عصره .

معارك صحفية

كان أمين الرافعى مسالما للغاية غير أنه كان ينقلب الى العكس اذا اعتقد للحظة ما ان الصالح العام فى خطر من قريب أو بعيد ، وقد أشرنا فيما سبق الى بعض المعارك التى خاضها الرافعى ضد الشيخ على يوسف ـ وكان وقتئذ من كبار رجال السياسة والصحافة ـ بينما لم يكن الرافعى قد أنهى بعد دراسته فى مدرسة الحقوق الخديوية ونشير فى هذا الفصل الى بعض معارك الرافعى ونسميها تجاوزا بالمعارك لأن الرافعى كان يدخلها مدعما بكل أسلحته ويخوضها بكل ما يملك من قوة وعنف .. دخل فى سبتمبر ١٩١١ معركة مع حزب الأمة ومع صحيفة «الجريدة» ردا على مقال كان الأستاذ احمد لطفى السيد قد كتبه واشار فيه الى حزب الأمة قائلا انه ليس حزب شعب ولا حزب جماعات : قال الرافعى : كأن جماعات الشعب أحقر من أن تنضم تحت لواء حزب الامة . لقد فات الاستاذ لطفى السيد ان هذه الجماعات هى عدة الأمم وذخيرتها . وهى التى قوضت العروش وانتزعت التيجان من فوق الرءوس وهى التى قضت على السلطات الغاصبة فى كل العصور وهى التى قلبت اوروبا رأسا على عقب فأبدلت حكم الفرد بحكم الأمة وهى التى اذا أرادت أمرا كانت ارادتها صحيحة لم يقف فى وجهها أغنياء ولا اشراف ، وحول ما قاله

لطفى السيد من اننا نعتقد انه لكى يحق لانجلترا أن تتخلى عن مصر لابد من ان تتوافر شروط مخصوصة تلك الشروط التى تآلف حزب الأمة لتحقيقها وان سياستنا لم تتغير انها ترمى الى تحقيق غرض واحد وعظيم هو ان يحصل المصريون على المجلس النيابى الذى نجد جميعا للوصول اليه بكل قلوبنا . حول ذلك قال الرافعى : « ان هذا القول يظهر قائله فى مظهر الذى يريد أن يكون انجليزيا أكثر من الانجليز أنفسهم ان الأمة كلها تطالب بالجلاء العاجل وترى سعادتها فى هذا الجلاء فما معنى وضع شروط له من جانب المصريين » ويدخل فى معركة عنيفة مع اسماعيل أباظة باشا بعد أن أشاد به وبوطنيته أكثر من مرة ويقول الرافعى : ان مدحنا اباه فى بعض المواقف المحمودة لا يمنعنا من ذمه اذا فعل ما يستحق الذم وهذا يدل على اننا لا ننظر الى نفس الشخص وانما ننظر الى عمله ، فان أحسن أطريناه وان أساء نقدناه » . وأشار الرافعى فى نقده لاسماعيل أباظة باشا الى اعتذاره عن قبول عضوية مجلس ادارة جمعية السلام بحجة ان له مصالح خصوصية كثيرة واذا ظهر فى مثل هذا العمل الذى حاربه الانجليز ، وأضروا بمصالحه الخصوصية» ورد مرة أخرى على ما قاله أباظه باشا بأن الحزب الوطنى ماهو الا قوة معنوية وكل ما لديه من تلك القوة القلم واللسان . ويسأل الرافعى أباظة باشا أن يذكر له اسم حزب من أحزاب أوروبا له جيش ومدافع وحراب تنفذ أوامره وهل يستطيع أباظه باشا ان ينكر قوة القلم واللسان وأثرهما فى جميع الانقلابات التى حدثت منذ خلق العالم الى الآن . ثم يقول الرافعى : ان قوة الأحزاب فى تضامنها واحتفاظ أعضائها بعقيدتهم فاذا كانت العقيدة قوية ثابتة

تدفع الشخص الى تضحية مصالحه الشخصية وعدم الالتجاء الى أعداء البلاد وكان الحزب قويا تبعا لتلك العقيدة فالعقيدة اذا تمكنت من النفوس استطاعت أن تهزم كل قوة تقف في سبيلها وزلزلت الأرض ومن عليها » وقال الرافعى « لقد انقضى ذلك الزمن الذى كانت المصلحة تقاس فيه بالثروة وتقدر بالفدادين من الارض وأصبح كل فرد من أفراد الشعب له مصلحة تعادل مصلحة أكبر الناس جاها واعظمهم ثروة فالبلاد ليست بلاد الأغنياء وحدهم وانما هى بلاد الشعب بأسره » .

ويقول الرافعى معللا كثرة دخوله مع بعض السياسيين فى معارك « لسنا من عشاق الانتقاد فى المسائل السياسية وانما نحن نلج هذا الباب مع خصومنا السياسيين مضطرين لا طائعين لاننا كنا نود ولا نزال نأمل ان تكون الأمة كلها يدا واحدة ضد الاحتلال تتفق جميع مجهوداتنا على هذا الفرض ولا نفقد جزءا منها فى تنفيذ آراء الذين يتبعون سياسة لا تنفع الأمة والبلاد » .

تنشر الاخبار فى ١٩٢٣ للرافعى كلمة يقول فيها: من فظائع الاستعمار الفرنسى فى المغرب العربى تروى قصة رجل علق جسمه فى سقف وراح اثنان من الفرنسيين يتبادلان ضربه بكل قوة وعنف بسوطين طويلين » فيكتب ويكتب الى أمين احد أصدقائه قائلا : لا تحزن على ما يجرى فى المغرب العربى على يد الاستعمار الفرنسى ففى مصر الكثير من هذه المآسى » ويروى صاحب الرسالة قصة زوجة موظف انجليزى تسكن أمامه رأت سجينا يأكل طماطمة ملقاة على الارض فامرت الأومباشى الحارس بضربه بالكرباج الخ . وينشر الرافعى الواقعة فى الأخبار ١٩٢٣/١/١٥ طالبا من الحكومة التحقيق لأن مهمة

الصحفي ـ كما قال الرافعي ـ تقضي عليه ألا يقف جامدا أمام أية مظلمة ولا سيما اذا كان راويها موثوقا منه وعند هذا تنتهي مهمة الصحفي وتبدأ مهمة الحكومة وهي الكشف عن الحقيقة » ويستدعي الرافعي للتحقيق ويسأل عما ورد في الرسالة فيجيب بأنه واثق من صدق الكاتب الذي بعث برسالته اليه وأن على الحكومة أن تحقق ما تضمنته المقالة من الوقائع ويذكر للمحقق ـ مساعدة له ـ الجهة التي وقع فيها الحادث ويسأل الرافعي عن كاتب الرسالة فيرفض بتاتا أن يذكر اسمه لأن ذكره ـ كما جاء في محضر التحقيق مع الرافعي ـ مخالف لشرف الصحفي ، ومناهض لأبسط واجبات المهنة الصحفية وما دام صاحب الجريدة قد نشر شيئا بغير توقيع صريح فلا يجوز مطالبته باظهار صاحب التوقيع . ويسمح للرافعي بالانصراف وبعد أيام طلب الى الرافعي أن يتجه الى المحافظة وفي المحافظة سلم ثلاث صور من المستند التالي وقد كتب باللغة الانجليزية : في النية محاكمة أمين بك الرافعي محرر الأخبار أمام محكمة عسكرية بما يأتي : التهمة الأولى مخالفته الأحكام العرفية وذلك بأن نشر خبرا من شأنه أن يحدث الفزع والقلق بين المدنيين وطبقة منهم بأن نشر في اليوم الخامس عشر من يناير سنة ١٩٢٣ بجريدة الأخبار الخطاب التالي » وتنشر عريضة الاتهام الخطاب الذي نشرته الاخبار وفيه طلب من مدير الاخبار الى المصريين أن يحتجوا على فرنسا على صنع بعض أفرادها في تونس فأسمع ما جرى هنا في مصر منذ أيام أكل مسجون من المساجين الذين يخدمون في حديقةأحد الموظفين الانجليز (والحديقة والدار للحكومة) طماطمة واحدة ملقاه فما كان من السيدة زوجة الموظف الانجليزي وقد رات المسجون

الا أن أمرت الاومباشي الحارس أن يظل يضرب المسجون بالكرباج حتى تكلفه أن يكف فألهبه بسوطه الى أن شبعت من المنظر وأشارت له بالكف ، وتنتهى الرسالة بكلمة من صاحبها « متألما » بأن الحالة فى مصر أفظع منها فى تونس والجنس اللطيف هنا من أولئك القوم صار قلبه بهذا الشكل » أما التهمة الثانية التى قدم بسببها الرافعى الى المحاكمة العسكرية بناء على عريضة الاتهام - فهى مخالفته قانون مصرى ، وذلك بأنه يبيع ويوزع ويحفظ للبيع فى محل عمومى - هكذا فى الاصل - مادة مطبوعة من شأنها اثارة احساسات الاحتقار او البغض لطبقة من الاشخاص وذلك بأن نشر الرسالة السالفة الذكر بجريدة الاخبار وهذه مخالفة لنصوص المادتين ١٤٨ ، ١٥٣ من قانون العقوبات الأهلى المصرى ويكون التوقيع : عن مدير القسم المخصوص هيو . و . هلمر بيه . ويتسلم الرافعى المستند ويطلب اليه الحضور الى القسم المخصوص ويقول الرافعى : لا ندرى مسوغا لمحاكمتنا أمام محكمة عسكرية على أمور يذهبون الى انها واقعة تحت طائلة القانون المصرى فان لهذا القانون محاكم أهلية تطبقه على كل من يرتكب أمورا تقع تحت طائلته ، فلماذا يتخطون هذه المحاكم القائمة بعملها ويلجأون الى المحاكم العسكرية وأغرب من كل ذلك أن يتم هذا التخطى فى العهد الذى يسمونه بالاستقلال وفى العصر الذى يقولون فيه ان الانجليز تركوا للمصريين شئونهم » وتثور الصحافة المصرية - بل الاجنبية فى مصر - لمحاكمة الرافعى محاكمة عسكرية وتقول صحيفة الليبرتيه « ان أمين الرافعى من الصحفيين الذى تفخر بهم مهنتنا لسمو آرائه ونزاهه أسلوبه وهو يتصف دائما بالصدق والصواب . ان أمين الرافعى

يشغل مكانا فى الصف الاول من كبراء هذه البلاد بحيث لا يسلم أحد بأنه فى الامكان ان يكون مهيجا » وتقول الجازيت « انه رجل ذو مبادىء ثابتة وقد كان أنصار الوزارات السابقة يصفونه دائما بأنه خصم شريف وهو ينتقد كل وزارة تسىء الى مصر وقضية مصر » وتبذل سلطات الاحتلال البريطانى جهودا كبيرة لمعرفة كاتب الرسالة التى نشرها الرافعى ليقينها بأن الرافعى لا يمكن أن يصطنع هذه الرسالة ويحاول كثير من أصدقاء الرافعى وقد رأوا سلطات الإحتلال جادة فى محاكمته عسكريا ان يقبل الرافعى البوح باسم صاحب الرسالة ، ويرفض رفضا باتا مفضلا السجن بل الموت على ان يخل بشرف المهنة ويكتب الرافعى فى الاخبار : « لسنا اول من قدم للمحاكمة العسكرية حتى فى عهد الاستقلال ، ولسنا أول من سخطت عليهم الوزارة لأنهم يقولون لها الحق فى وجهها ولسنا أول من يتخذونه دليلا على ان سياسة الشدة لا تجدى نفعا ولسنا أول القائلين بأن المبادىء التى اختلطت بعظم الانسان ولحمه ودمه لا يمكن أن تضعف أو تتلاشى أو تتغير أمام تدابير القوة ووسائل الاعنات » . ويختم كلمته بقوله تعالى « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا أن نصر الله قريب » ١٩٢٣/١/٣١ ، ويثار موضوع الطماطمة هذه فى سبتمبر سنة ١٩٢٤ وكان الذى أثاره الأستاذ عباس محمود العقاد وكان قد دخل فى معركة مع الرافعى بسبب موقف الرافعى من وزارة الشعب التى كان يؤيدها العقاد وكان الاستاذ العقاد قد تشكك فى وجود الشخص الذى قال أمين

الرافعى ، انه أرسل له رسالة خاصة بموضوع « الطماطمة » متهما الرافعى بالجبن : وقد عثرت على نص الخطاب الذى أرسل الى الرافعى والذى نشره فى الاخبار فى منتصف يناير سنه ١٩٢٣ كما عثرت على خطاب آخر لصاحب هذه الرسالة قال فيه « كأنما فرغت مصر من متاعبها وعاد قادتها وكتابها يصفون ما بينهم من الحساب فرجعوا الى أحقر الأشياء ، حقا لست أقدر أن ادخل فى نزاع بين الاخبار والبلاغ فأسلم عرضى لأسنة الأقلام وحقا مرة أخرى لست أبيح اسمى لينشر لا لأنى جبان فلقد كتبت للأستاذ أمين بك حين حوكم ليبوح باسمى أو أبوح أنا به لانقاذه من المحاكمة فكان يكتب الى بشجاعة بأنه يأبى ان أبوح أنا باسمى واذا كان المراد اقناع الأستاذ العقاد فأنا مستعد أن اقابله شخصيا وأقنعه بما يرضى ، وينهى صاحب الرسالة رسالته بقوله : انى لا أريد الآن اقلاق راحة عائلة بلا فائدة ولا جدوى : أنى ما أظن مصريا يصف امين بك بالجبن حتى يحتاج الى الشهود والادلة على شجاعته فلا يحتاج النهار الى دليل » . ويقول صاحب الرسالة فى حاشية له موجهة الى أمين الرافعى « مررت عليك كوعدى فلم اجدكم وكنت فى حاجة للأستاذ المازنى لأخذ المقالة ولضيق وقتى سافرت للمنصورة وكتبت هذا وأنا فى منتهى التعب » .

وكان الرافعى قد فاجأ الرأى العام بنبأ عودة الشيخ جاويش الى مصر وطالب الحكومة بعدم التعرض له ، وتقوم قيامة صحف الوفد ضد أمين الرافعى وضد الشيخ عبد العزيز جاويش وكانت معظم المقالات التى نشرتها الصحف الوفدية تتسم بالعنف وخاصة تلك التى كتبها كاتب مقنع رفض أن يذكر اسمه ، ومما قاله امين الرافعى

فى هذا الخصوص « ان الحرية اذا انتهكت وجب على كل وطنى أن يدافع عنها ، وان ينسى فى سبيل هذا الدفاع كل خصومة وكل حقد وكل ضراوة، لأننا اذا كنا نتخلى عن واجب الدفاع عن الحرية لان المعتدى عليه من خصومنا كان معنى هذا ان الحرية ليست حقا للجميع ، وانما هى من نصيب فريق دون آخر وفى هـذا هـدم لأقـدس مبدأ ترتكز عليه حياة الشعوب . أضف الى ذلك ان الذين يشمتون اليوم بخصمهم لأنه مسلوب الحرية لم يأخذوا على الدهر عهدا بأن تظل حريتهم مصونة الى الأبد .. ان الحرية حق للجميع فيجب أن نطلبهـا لأنفسنا وخصومنا وأن نعمل على احترامها وأن نناوىء كل من تحدثه نفسه بالاعتداء عليها » لا ان نحبذ ذلك الاعتداء اذا كان واقعا على أى خصم من الخصوم ». ويذهب الرافعى الى يحيى ابراهيم باشا رئيس الوزراء ويتحدث اليه فى موقف الحكومة طالبا منه عدم التعرض للشيخ جاويش اذا ظهر . ويوافق رئيس الوزراء ويدعو الشيخ جاويش لمقـابلته ويجىء الشيخ جاويش من الاسكندرية الى القاهرة بعد نداء وجهه اليه الرافعى على صفحات الاخبار ويقابل رئيس الوزراء الشيخ جاويش وأمين الرافعى ويحمد الله أمين الرافعى على أن الدسائس التى أرادها بعض خصوم الأستاذ قد أصابهـا الفشل المحقق : لقد ظهر ان العاطفة الوطنية متغلغلة فى النفوس وان فكرة الاتحاد قد ارتكزت على أقـوى أساس فأصبح الباطل لا يأتيها من بين يديها ولا من خلفها » .

وينتهز الرافعى هذه الفرصة فيكتب فى ١٩٢٣/١٢/٢٠ عن الخصومة السـياسية وكيف يجب أن تـكون شريفة لا تتعدى تمحيص الآراء المخالفة وتفنيدها وبيان أضرارها ان كان لها أضرار » ويتساءل الرافعى : « هل من شرف

الصحافة أن يستعمل كاتب قلمه فى محاربة خصم يذود عن حريته ويدافع عن نفسه ويسعى فى أن يتمتع بما له حق من كفلته له القوانين العامة وهو العودة الى الوطن » ثم يقـول : « ألم يـكن من الواجب الصحفى أن يدافع الصحفيون عن حرية الخصم وعن حقوقه الوطنية حتى تعود اليه ثم تفعلوا به بعد ذلك ما نشاءون » .

ويدخل الرافعى فى معركة من أعنف المعارك التىخاضها فى حياته ضد حسين رشدى رئيس الوزراء المصرى أثناء الحرب العالمية الاولى ،وكانت بعض الصحف قد نشرت اثر وفاة اسماعيل أباظة باشا بعض صفحات من مذكراته ورأى رشدى باشا أن يصحح بعض ما جاء فى هذه المذكرات حول موقفه من اعلان الحماية وخلع الخديو عباس حلمى الثانى ورأى الرافعى أن يرد على رشدى باشا ويفند حججه الواحدة بعد الأخرى .

ويرسل رشدى باشا الى أمين الرافعى الخطاب التالى — ٢٥ مارس سنة ١٩٢٣ — « سيدى مدير الاخبار : آثرتم ما طواه الماضى لمجرد قصـد الاساءة الى أحاديث قديمة صدرت منى فى بعض الجرائد ومع فرض انى راجعت هذه الأحاديث قبل نشرها وانه لم يحشر فيها بعض الاضافات فانها انما كانت من مستلزمات الخطة السياسية التى كنت رسمتها لنفسى لمصلحة البلاد فاننى كنت أعتقد ان مصلحة مصر تقضى بأن تتجنب البلاد كل عدوان للانجليز بل ان تقدم على مساعدتهم وتعلمون انتم حق العلم ان الذى دفعنى الى هذه التصريحات هو تلك الخطة السياسية ، تعلمون ذلك لأننى سبق ان نشرت تفاصيل الأمر فى الجرائد ، حسن ومفيد ان يوجد فى البلاد حزب متطرف ولـكن التطرف السياسى لم يخلق ياسيدى لهدم الرجال الذين

يعول عليهم فى خدمة البلاد : فهل مصر غنية بهؤلاء الرجال الى درجة تجعل شغلكم الشاغل هدم أمثالى مهما قل فى الماضى مقدار نصيبى فى خدمة البـــلاد ومهما قل فى المستقبل الأمل فيه ؟ فان كنتم تعتقدون حقا ان مصلحة البلاد تقضى بهدمى فأريحوا أنفسكم من هذا العناء فان الموت كفيل بتخليصكم منى قريبا أما عن الثلاثةالملايين التى قدمتها للانجليز رغم معارضتهم فانى آخذ على نفسى بكل ارتياح مسئولية ذلك أمام التاريخ » ويرد الرافعى على خطاب رشدى باشا بقوله : ونحن نقول لدولة رشدى باشا انه أخطأ فهم ما تقصده من الرد عليه فلا نحن نرمى الى الاساءة اليه كما أن من أبعد ما يدور بخلدنا أن نهدمه أو نهدم غيره وانما الامر أهون من ذلك بكثير . لقد نزل رشدى باشا الى ميدان المساجلة والبحث ونشر ما انطوى من صحف التاريخ فهل يظن دولته أن موقفـه هـــذا لا يستلزم أخذا وردا ولا يستتبع مناقشة وتمحيصا ؟ أم يريد دولته ان يقف الكتاب مكتوفى الأيدى حيال ماينشره ولو كانت هناك نقط تستوجب ردا أو تتطلب ايضاحا ؟

ثم يقول الرافعى بقيت فكرة الهدم التى ينسبها الينا رشدى باشا ونحن نسأل الله أن يغفر له مارمانا به فى هذا الصدد فاننا لا نبغى هدم أحد وانمـــا نبغى تقرير الحقيقة ، والانتقاد شيء والهدم شيء آخر يا دولة الباشا، وتقرير الحقائق وحرية مناقشة الآراء أمران لا يحملان على أى محمل سيىء ، أما الموت الذى تحدث عنه دولة رشـــدى باشا فلم يـكن لذكره محل فى مثـل هـذه المنـــاقشة ونحن جميعـــا أمام الموت ســـواء وغنى عن البيان اننا مهما اختلفنا مع دولة رشـدى باشا فى الآراء أو فى تقرير الحقائق فان ذلك لا يمنعنا مطلقا من

ان ندعو له بالصحة والعافية وطول البقاء أننا لا نعرف في خلافنا السياسي مع أي انسان عداء شخصيا ولا نضمر ى حقد لأحد وانما نحن نكتب عن الفكره مجرده عن شخصية أصحابها ولا نبغي سوى الوصول الى الحقيقه التى نرجو أن نوفق لخدمتهـا . والله على ما نقـول شهيد » .

وقد دخل الرافعى فى معـارك عنيفة مع الحكومة المصرية دفاعا عن حرية كثـير من الزعمـاء العرب : احتجت الحكومة الايطالية أيام حكومة سعد على وجود بعض الزعماء الطرابلسيين فى القاهرة وطلبت اعتقالهم وتسليمهم للحكومة الايطالية ، وأعلن الرافعى ثورة عارمة ضد الحكومة لأنها وقفت موقفا متخاذلا من هؤلاء الزعماء وعندما ثار الرأى العام ووقف الى جانب هؤلاء الزعماء لم تشأ الحكومة تسليمهم وانما طلبت منهم مغادرة مصر واعتمد الرافعى على النص الوارد فى برقية لوكالة استيفانى الايطالية الشبيهة بالرسمية ـ حيث جاءت عبارة الطرد ، وسل الرافعى قلمه وهاجم الحكومة هجوما مرا قائلا : ان ما حدث لم يكن سوى معنى الطرد وهذا ما نراه ماسا بكرامة مصر وعزتها القومية فضلا عن مجـافاته للقوانين والعادات المرعية . وعندما أصدرت الحكومة أمرا بابعاد الزعيم السورى الكبير عبد الرحمن شهبندر بناء على تدخل من الحكومة الفرنسية احتج الرافعى فى مقالات عديده على هذا الابعاد وقال فى بعض هذه المقالات : ليس الدكتور شهبندر بالرجل المنكور القدر أو المجهول الجاه ولقد كان فى العراق فقوبل من ملكه ووزرائه ونوابه بأعظم مظاهر التبجيل والتكريم ولما زار مجلس النواب العراقى حياه النواب وهو جالس فى شرفات كبار الزائرين وهتفوا

له ، أما فى مصر المعروفة باكرام ضيوفها والتى يتسع صدرها حتى للجناة الوافدين عليها من الغرب فانه يطرد منها ولا تحتمل حكومتها ان يقيم أياما فيهـــا لا عـــذر للحكومة فى تصرفها الممقوت حيال هذا الزعيم السورى ان ابعاده ينافى أبسط قواعد الانسانية ويصم مصر بأقبح سمعة فى جميع بلاد الشرق ويظهر الحكومة المصرية بأنها آلة فى يد الغير فعلى الحكومة أن تعدل عن هذا التصرف المعيب وأن تسمح لهذا الزعيم بالبقاء فى مصر كما يشاء ولعلنا نسمع غدا فى مجلس النواب أصواتا تدافع عن سمعة مصر وكرامتها وتحمل الحكومة على سحب قرارها الاستبدادى الضار بالكرامة القومية (١٩٢٧/٥/١٥)

وتكون آخر معارك الرافعى وأرقها تلك التى كانت بينه وبين زميله وصديقه الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى وكان قد انتقل الى العمل فى جريدة الإتحاد عندما عتب المازنى على الأخبار لأنها نسبت الى حزب الاتحاد محاربة الدستور . لم تكن أبدا معركة بقدر ما كانت مساجلة فقد كان كل من أمين الرافعى وعبد القادر المازنى يحب الآخر ، ويقدره وان اختلفت وجهات النظر فى مرحلة من مراحل العمل الوطنى .

الرافعى وتمثال نهضة مصر

كانت القضية المصرية تشغل باستمرار عقل الرافعى وقلبه ، والى جانب ذلك كانت له اهتمامات عديدة بالقضايا الاجتماعية والاقتصادية والدينية ولم يكن الرافعي مجرد كاتب سياسي أو زعيم وطنى وحسب بل كان فى الوقت ذاته كاتبا يهتم بالمسائل الاقتصادية والاجتماعية والدينية كان له دور بارز فى التنظيمات النقابية كما كان له دور هام فى اخراج مشروع تمثـال نهضة مصر ووضعه فى ميدان المحطة بالقاهرة ..

نترك المجال للأستاذ بدر الدين أبو غازى وزير الثقافة السابق ومؤرخ حياة فنـانا « مختار » وابن شقيقته ليروى قصة تمثال نهضة مصر يقول : أولى صلات مصر بالتمثال جاءت من جريدة الأخبار التى كان يصدرها المرحوم أمين الرافعى ومن خلال مقالة من أربع مقالات نشرتهـا للأســتاذ مجد الدين حفنى ناصف الذى كان يدرس بباريس ومن خلال هذه المقالات جاء التعـريف الأول بالتمثال وقد انطوى المقال الأخير على اشارات الى أهمية العناية بالفن وضرورة انشاء المتاحف والى ضرورة اقتناء تمثال مختار بمعرفة البلديات ووضعه فى ميدان عظيم من كل بلد .. وكان الوفد المصرى برياسة سعد زغلول

قد سافر الى باريس للدعــوة للقضية المصرية فتعــرف أعضاء الوفد على مختار ووقفــوا على جهــوده وشهدوا تمثاله قبل أن يعرضه فلما نشر مجد الدين حفنى ناصف مقالاته أعقبه الدكتــور حافظ عفيفى وكان ضمن أعضاء الوفد الذين وقفوا على جهود مختـــار بباريس فكتب يقترح على المرحوم أمين الرافعى أن تقوم جريدة الأخبــار بالدعوة لاكتتاب عام لاقامة تمثال مختار فى أحد ميادين العاصمة ورحب المرحوم أمين الرافعى بالفكرة ونشر فى اليوم التالى نداء الاكتتاب تحت عنوان : نهضة مصر دعوة الى الأمة المصرية » وأثار البعض المخــاوف من أن تعترض الحكومة على اقامة التمثال فرد المرحوم حافظ عفيفى بأن التمثال رمز يمثل الفلاحة وأبا الهول ولا يعقل أن ترفض حكومة اقامة مثل هذا التمثال وساند الفكرة من أعضاء الوفد المصرى المرحومان ويصا واصف وواصف غالى فنشر الأول مقالا مسهبا تحت عنوان محمود مختار والنهضة الفنية فى مصر ، ونشر الثانى مقالا تحت عنوان واجبنا نحو مختـــار . وبدأت حركة الاكتتاب وكانت الأنباء قد حملت خبر قبول التمثال فى المعرض وتمييز لجنة التحكيم له ضمن ٦٠ تمثالا قدمت للمعرض ومنح مختار شهادة شرف من المعـــرض لأن الجوائز الأخرى حجزت للفنانين الفرنسيين العائدين من الحرب وعلى هذه الأنغــام ــ مقــالات الصحف الأجنبية كالفيجـــــارو والستراسيون والــكان والمجلة الحديثة للفنون عن مختار ــ نشط الاكتتاب وارتفعت الحماسة . جموع صــغار العمال والباعة الجائلين وتلاميذ صغار يبعثــون برسائل تفيض بالحماسة ومعها قرش هى كل مدخراتهم ، سيدات يهدين حليهن من أجل اقامة التمثال ومع هذه الرسائل

كلمات وقصائد من الشعب صيغت من حماسة الناس وكلها دعوة للتمثال ، ووصل هذا التيار الى جموع الفلاحين فأخذت التبرعات تصل من جوف الكفور الى جريدة الأخبار وهكذا ارتفع التمثال الى قداسة الفكرة الوطنية وتحقق بذلك الاتصال بين الفن والحركة القومية ..

وقد وجدت ضمن مخلفات الرافعى التى تسلمناها من استاذنا عبد الرحمن الرافعى مجموعة من الوثائق الخاصة بتمثال نهضة مصر . منها خطاب ارسله فى ٨ مايو ١٩٢١ الى عدلى يكن باشا رئيس الوزراء يقول فيه : سبق ان قدمنا طلبا الى دولتكم أرجو فيه صدور ، الامر للتصريح باقامة تمثال نهضة مصر من صنع الحفار الأستاذ مختار فى ميدان المحطة بالقاهرة حيث انه هو المكان الوحيد الذى يصلح له ، وحيث أن الضرورة تقضى بمباشرة هذا العمل فى اقرب وقت لأن العمال اللازمين قد استحضروا من أوروبا وهم باقون من غير عمل ، وليس من الميسور أن تبدأ أعمالهم الا فى نفس المكان الذى ينشأ عليه التمثال ، وهذا بالنظر لارتفاعه وعظم حجمه ولاتقاء نفقات النقل واخطاره فيما لو صنع فى غير المكان المعد له من قبل فيكون رجاؤنا الى دولتكم صدور الأمر لحصولنا على هذا التصريح وان شكرنا ليتضاعف لدولتكم اذا صدرت هذه الأوامر فى أقرب وقت ممكن حتى لا يزداد تعطيل العمال أكثر مما هو الآن » . وخطاب آخر أرسله الرافعى فى ٢١ اغسطس سنة ١٩٢٣ الى رئيس الوزراء يقول فيه : سبق لى أن تشرفت بمحادثة دولتكم بشأن تمثال نهضة مصر الذى قررت وزارة دولة عدلى باشا اقامته فى ميدان محطة القاهرة ثم تلتها وزارة دولة ثروت باشا فأعانت المشروع ماليا بمبلغ قدره ثلاثة آلاف من

الجنيهات فالحاقا بالحديث المذكور أحيط دولتكم علما بأن المبلغ الذى قدمته الحكومة سابقا قد نفذ وبيان حسابه عند حضرة صاحب العزة فؤاد سلطان بك امين صندوق التمثال نقدمه الى دولتكم بمجرد الطلب كما قدمنا للحكومة سابقا حساب المبالغ التى جمعت من طريق الاكتتاب . ولقد أصبح التمثال على وشك ان يتم ولكن اتمامه يحتاج الى معونه اخرى قدرها ٢٥١٠ جنيهات على وجه التقريب فرجائى الذى أتشرف بعرضه على دولتكم هو : (أولا) ان تتولى الحكومة وضع القاعدة التى سيقام عليها التمثال وأنا مستعد لتقديم كل الرسوم والمعلومات الفنية التى أعددتها لوضع القاعدة على النمط الملائم للتمثال ، وسأشارك المهندس الذى تكل اليه الحكومة القيام بهذه المهمة فيما يقتضيه العمل من وجهته الفنيه. (ثانيا) أن تتكرم دولتكم بتقرير ما ترونه بشأن مبلغ الالفين والخمسمائة من الجنيهات التى يحتاج اليها اتمام التمثال نفسه خصوصا وقد نفد مبلغ الاعانة التى قررتها الحكومة سابقا مع استمرارها فى العمل حتى اليوم ومع النفقات الشهرية التى تبلغ ما يزيد على اربعمائة من الجنيهات وهى مرتبات العمال وأثمان المواد اللازمة للعمل . هذا واللجنة على أتم استعداد لأن تقبل اشراف الحكومة على ما بقى من الأعمال كما عرضنا ذلك على الحكومات السابقة وتقبلوا يا صاحب الدولة مزيد اجلالى واخلاصى » . . وخطاب آخر من الرافعى الى رئيس الوزراء بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٩٢٣ يقول فيه : أتشرف بأن أرفع الى دولتكم حسابا تفصيليا من حضرة صاحب العزة فؤاد سلطان بك امين صندوق تمثال نهضة مصر مستخرجا من دفاتر لجنة التمثال كطلب وزارة الماليه

عن مبلغ الالفين وخمسمائة جنيه التى طلبتهـــا بوجــه التقريب لاتمام التمثال وكنت قدمت الى دولتــكم بتاريخ ١٢ اغسطس سنة ١٩٢٣ بيانا مثل هذا راجيــا اعتماد صرف هذا المبلغ ليتسنى لى اتمام هذا العمل الوطنى بالسرعة التى تحملها وجود النقديه محددا مبلغ الالفين وخمسمائة جنيه بأقل ما يمكن تقديره لانجاز هذا العمل الجسيم . ولقد مر للآن زهاء الثلاثه اشهر دون البت فى صرف هذا المبلغ مما ترتب عليه زيادة فى النفقات وتعطيل فى الأعمـــال وما كان يتطلبه العمـــل من شراء الادوات الضرورية وغيرها فترون دولتكم من البيان المذكور مقدار المبالغ الجسيمة التى يكلفها عمل التمثال خصوصا وقد عاينتم دولتكم شخصيا وكذلك حضرة صاحب المعـــالى وزير الأشغال وحضرتا صاحب السعادة وكيل الخــارجيه ووكيل الأشغال وغيرهم الاعمال الشاقة التى تمت الى اليوم ، ما برحنا منذ نضب معين اعانتنا من مزاولتهـــا ولا يخفى على دولتكم أن كل تأخير فى صرف هذا المبلغ يكلف من الزمن والمال أكثر مما قدر له لاتمام هذا التمثال اذ يترتب على التأخير زيادة المصـــاريف لذلك أرجو من دولتكم اعتماد صرف المبلغ » . ويخطو المشروع خطوة كبيرة فى أيام وزارة الشعب حيث ينجح ويصا واصف فى الحصـــول على قرار من مجلس النواب بفتح اعتماد بمبلغ ١٢٫٠٠٠ جنيه لمواجهة نفقات اقامة التمثال (يوليو ١٩٢٤) وتتلكأ الحكومة فى العمل بحجة النظر فى تعديل موضع التمثال فى أعقاب اقالة الوزارة الشعبية ويكتب الرافعى فى ١٩٢٥/٤/١٤ يقــول : أصـــدرت وزارة الاشغال قرارا غريبا فيما يتعلق بتمثال نهضة مصر وحكاية هذا التمثال تتلخص فى أن الأستاذ محمود مختار صنعه

ليكون رمزا لنهضة مصر ثم عرضــه فى معرض باريس فنال تقدير المحكمين الذين منحوه الجائزة الجديرة به هنالك نبتت فى مصر فكرة اقــامة التمثـــال فى مصر وفتحت الأخبار باب الاكتتاب الشعبى لتنفيذ هذا المشروع فبلغ ما جمعته نحو ستة آلاف جنيه ولم يقف الأمر عند اشتراك الشعب فى هذا العمل بل ان الحكومة نفسها اشتركت فيه بمختلف الوسائل فقد طلبت لجنة التمثال من وزارة دولة عدلى باشا اقامة هذا التمثال فى ميدان باب الحديد وكان دولة ثروت باشا نائبا لرئيس مجلس الوزارة فى ذلك الوقت فلم تتردد الحكومة فى اجابة هذا الطلب فشكرتهــا اللجنــة على ذلك بكتاب ارسله سعادة عبد الخالق باشا مدكور . فرد عليـــه دولة ثروت باشا بقوله : « ان ما أبديتموه بكتابكم الخاص بشكر الحكومة على ما قررته من اقامة تمثال نهضة مصر فى ميدان باب الحديد بالقاهرة ، كان له أجمــل وقــع وأحسن أثر وان الحكومة لا تدخــر وسعا فى تشجيع الأعمال والمشروعات العامة الناهضة بالبلد الى الرقى العلمى والفنى » . ثم توالى اشتراك الوزارات الاخرى فى هذا العمل ففى عهد وزارة ، دولة يحيى باشا ابراهيم تقرر أن تقوم الحكومة بنفقات نقل أحجار التمثال من اسوان الى ميدان باب الحديد والتبرع ببعض الأدوات مما بلغ مجموعه نحو ٤٥٠٠ جنيه ، وفى عهد وزارة دولة سعد باشا زغلول قرر البرلمان فتح اعتماد بمبلغ ١٢ ألف جنيه لاتمام التمثال وكان معنى هذا القرار الاستمرار فى العمل الى النهاية ، ولكن وزارة الاشغال طلعت علينا أخيرا بقرارها الغريب الذى يقضى بتأليف لجنة تفحص التمثال من جديد فاذا وافقت عليه كان لها الحق فى

تقرير المكان الــذى ينصب فيه .. ذلك قــرار وزارة الأشغال وهو قرار ينطـوى على العبث بارادة الشعب والعبث بقرارات الوزارات السابقة والعبث بقرار البرلمان المصرى نفسه ، فهل تملك وزارة الاشـغال الحاضرة من السلطة ما تستطيع به القيام بمثل هذا العبث الشنيع وهل أتمت الوزارة كل المشروعات التى لديها فلم تجد ما تشغل به الوقت سوى هدم ما اشتركت فى بنائه الأمة والحكومة معا ؟ حقا اننا لا نفهم تلك العقلية الغريبة التى املت هذا القرار الشاذ فاننا على اى وجه نظرنا الى المسألة لا نجد أى مسوغ لذلك اللهم الا اذا كانت الأهواء وحدها هى التى يحلو لها التعطيل والهدم والتخريب من أجل ذلك نرى واجبا على وزارة الأشغال أن تعدل عن قرارها وتشتغل بما هو أجدى وأنفع أما الخضوع للاهواء واما الهدم والتخريب فتلك سياسة عقيمة » وظل المشروع بتالكأ طوال وزارة زيور باشا ولم يتحــــرك الا فى اثناء الوزارة الائتلافية التى اهتمت بالمشروع من جديد عام ١٩٢٦ — ووافق البرلمان على تخصيص ثمانية آلاف جنيه لاتمام التمثال وتعاقدت الوزارة مع مختار فى اغسطس سنة ١٩٢٧ على اتمام اقامة التمثال خلال ثلاثة عشر شهرا .. ولا يشهد الرافعى ازاحة الستار عن تمثال نهضة مصر الذى عمل طويلا من أجل اقامته فى هذا المكان لان ازاحة الستار عن التمثال لم تتم الا فى ٢٠ مايو ١٩٢٨ أى بعد وفاة الرافعى ببضعة أشهر ..

من بناة نقابة الصحفيين

وعن دور الرافعى فى انشاء التنظيمات الشعبية نقول ان الرافعى منذ مطلع القرن العشرين كغيره من قادة الحزب الوطنى قد أولى اهتماما بالغا بالتنظيمات العمالية والطلابية ، وقد أشرنا من قبل الى دوره فى انشاء نادى المدارس العليا الذى أختير عضوا بمجلس ادارته عن طلبة مدرسة الحقوق حتى تخرج فيها فانتخب سكرتيرا له الى أن أغلقته السلطات العسكرية فى عام ١٩١٤ كما ان مقالات الرافعى عن العمال وحقوق العمال واضراب العمال عديدة وقد اختارت نقابة عمال الصنايع اليدوية وهى أهم النقابات المصرية أمين الرافعى فى ١٣ ابريل سنة ١٩١٣ عضوا بمجلس ادارتها .

أما نقابة الصحفيين فقد كان الرافعى من أوائل الذين دعوا الى انشائها ، وقد اشترك فى أول اجتماع نظم لهذا الغرض فى ١٩٠٩ ، بوصفه محررا باللواء ولم يكتب النجاح لهذه الدعوة بسبب تدخل المعتمد البريطانى غير ان الرافعى حمل لواء الدعوة الى انشاء نقابة الصحفيين فى عام ١٩١٩ وبين أيدينا ونحن نكتب هذا البحث القانون الأساسى لنقابة الصحافة المصرية عام ١٩١٩ المطبوع فى مطبعة البلاد بشارع نوبار والذى وضعه أمين الرافعى .

والذين وجهوا الدعوة لانشاء نقابة للصحافة عام ١٩١٩ هم داود بركات ، سعيد علي ، اسكندر رسلان ، حافظ عوض ، جورج طنوس ، وأمين الرافعي ، وكان أول نقيب للصحافة هو جبرائيل تكلا — الذى أنتخب عامين متتاليين — على ان الحكومة لم تعترف بهذه النقابة وظلت المحاولات تبذل من جانب الصحفيين وفى مقدمتهم أمين الرافعى لكى يكون للنقابة كيانهـــا الرسمى ، غير أن الحكومات كانت دائما تقف لها بالمرصاد، ثم سرى الضعف والتخاذل الى النقابة فى آخر عام ١٩٢٢ بسبب انشقاق البلاد الى سعديين وعدليين وتفتت القوى الوطنية الى أن جاءت وزارة يحيى ابراهيم التى أصـــــدرت العـديد من القوانين الجائرة ، وفى مقدمتهـــــا قـانون خاص بالصحافة وتعديل قانون العقوبات فيما يتعلق بالصحافة .. وأحس الصحفيون بالخطر الذى تتعرض له المهنـة فنجحت دعوة الرافعى الجديدة بتشكيل هيئة تدافع عن الصحافة والصحفيين : ومن محاضر جلسات اجتماعات الصحفيين وقـد كتبت بخط أمين الرافعى : فى جلسة ٦ أكتوبر سنة ١٩٢٣ اجتمع كل من عبد القادر حمزة وحافظ عوض ورشيد رضا واميل زيدان واميل الغورى كامل وابراهيم عبد القـادر المازنى ومحمود عزمى وأمين الرافعى وتباحث الجميع فى حالة الصـحافة الحاضرة وقرروا دعوة أصـــحاب الصحف اليـــومية بالصيغة التالية :

يجتمع أصحاب الصحف اليومية غدا (٣٠ أكتوبر) الساعة السابعة مساء فوق بار اللواء للنظر فى موقف الصحافة أمام قانون المطبوعات وأمام قانون الصحافة المنتظر وقد قرروا دعوتكم لحضور الاجتماع ، فالمرجو

حضوركم أو انتداب من ينوب عنكم » ويكتب الرافعى بخطه جلسة هذا الاجتماع وفيه أن مستر راؤول كانفيه يعتذر ويعطى موافقته على ما يقرره الحاضرون ويعطى صوته لأمين الرافعى .

وعند افتتاح الجلسة عرض سيد بك كامل ان الدكتور حسين هيكل اعتذر عن الحضور لأن الدعوة سياسية ولا يملك تلبيتها حتى يأخذ رأى أعضاء حزبه ، وعلى ذلك فسيد بك كامل يحضر لا عن جريدة السياسة ولكن عن نفسه باعتباره صحفيا ويعرض على الهيئة مسألة تطبيق قانون المطبوعات بتعطيل الصحف والقانون الجديد الذى تشتغل الحكومة بسنه للصحافة ، وتقرر الهيئة أن انذار الصحف أو تعطيلها بالطريق الادارى مخالف للمبادىء الاساسية المقررة بالدستور ويقرر الصحفيون المجتمعون ان من واجبهم مطالبة الحكومة باحترام المبادىء الأساسية فى الدستور العام وعدم مخالفتها .

وبهذه المناسبة قرر المجتمعون أن اجتماعهم هذا ليس له صفة سياسية ، كما ذهب الى ذلك الدكتور حسين هيكل وبنى عليه امتناعه عن الحضور وانما هو اجتماع للمشتغلين بمهنة الصحافة للدفاع عن حقوقهم ورفع كل حيف يقع عليهم .. وقررت الهيئة مطالبة الحكومة أصليا بعدم وضع قانون للصحافة الآن بانتظار انعقاد البرلمان فاذا أصرت الحكومة على سن هذا القانون الآن قبل انعقاد البرلمان فهذه الهيئة تطالبها بعرض مشروع قانونها على الصحفيين للوقوف على ملاحظاتهم عليه والعمل بها وتقرر الهيئة تكليف أمين الرافعى بكتابة قرار بهذا المعنى وتوقيعه من جميع الحاضرين ورفعه الى دولة رئيس الوزراء بواسطة أمين الرافعى وحافظ عوض والمسيو ليون كاسترو ،

وتقف الأغراض الحزبية حجر عثرة أمام طريق انشاء نقابة للصحفيين ويتكون ما سمى بأسرة الصحافة .

وتحاول هذه الأسرة مرة أخرى فى ٢٦ مارس ١٩٢٥ انشاء نقابة للصحافة المصرية ويعـــد الرافعى مشروع القانون الجديد ويجرى العمل لتنشيط الانضمام الى هذه النقابة ودفع الاشتراكات وتوجيه الدعوة لحضور اجتماع الجمعية العمومية للنقابة فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٥ وتجتمع الجمعية العمومية ولتنتخب مجلس الادارة ولتقر القانون وتسير النقابة الجديدة بخطى حثيثة وتدعى فى نوفمبر ١٩٢٦ الجمعية العمومية للنظـر فى مشروع « صندوق تعاون نقابة الصحافة العامة » ومن اغراض هذا الصندوق « الانفاق على اعضاء النقابة الذين تنزل بهم ضائقة مالية » .

وتدعو النقابة الجديدة الى اضراب الصحف فى ١٦ يوليو ١٩٢٥ وتبلغ كل التنظيمات الصحفية فى العالم بهذا الاضراب الذى نجح نجاحا باهرا .

والجدير بالذكر أن نقـابة الصحافة هـذه كانت من المؤسسين لاتحاد الصحفيين العالمى فى ٣ يوليـو سنة ١٩٢٦ وكان الدكتـــور محمد حسين هيكل هو ممثـل الصحافة المصرية فى أول اجتماع لهذا الاتحاد .

ويتجلى اهتمام الرافعى بالصحافة والصحفيين ونقابة الصحفيين والصحافة من اجابته على الاستفتاء الذى نظمته مجلة الهلال (العـدد الأول عن سـنة ١٩٢٣) واستفتت فيه اعلام الصحافة وأرباب الاقلام وكان من بينهم أمين الرافعى وهذه بعض الاسئلة التى وجهت الى الرافعى واجاباته عليها :

س : ما رأيكم في محرري الصحف في الوقت الحاضر؟ ونسبتهم الى من سبقهم من الوجهة العلمية العامة والفنية الخاصة ؟

ج : ان المستوى العلمي والفني لمحرري الصحف في الوقت الحاضر يعتبر أرقى من المستوى الذى كان عليه من قبل ، فقد أنضم الى الصحفيين عنصر جديد نال من العلوم والآداب قسطا وافرا ، كما ان المنافسة الصحفية والعناية بادخال الاسلوب الصحفي الغربي كان لهما الفضل في ترقية المستوى العلمي والفني للقائمين بتحرير الصحف .

س : هل يحسن انشاء فرع في الجامعة المصرية او دائرة خاصة لاعداد الصحفيين ؟ وهل يوجد عندنا من يقومون بالقاء المحاضرات في هذه الدوائر ؟ .

ج : لا أرى بأسا من انشاء فرع في الجامعة المصرية او دائرة خاصة لاعداد الصحافيين واظن ان بيننا من يستطيعون القيام بالقاء المحاضرات في هذه الدوائر .

س : هل يجب أن تبقى الصحافة حرة بلا قانون ؟ أم يجب تقييد من يسيرونها بشروط كشهادات مدرسية وخبرة فنية وقضاء زمن ، في مزاولتها ونحو ذلك ؟

ج : الاصل في الصحافة هو انه يجب أن تكون حرة من كل قيد ، ولكن حرصا على مكانة الصحافة وعلى حسن أدائها للمهمة الكبيرة الملقاة على عاتقها يجب أن يشترط فيمن يديرونها ان يكونوا حاملين شهادات دراسية او يكونوا ذوى خبرات فنية ، أو يكونوا ممن قضوا زمنا ما في مزاولتها ، وذلك فضلا عن الشروط العامة الاخرى كعدم سبق الحكم عليهم بأحكام مخلة بالشرف . ولكن لا يجوز أن يتخذ البحث في توفر هذه الشروط وسيلة للتحكم

فى الصحفيين ، ومنعهم من مزاولة مهنتهم بل يجب ان يكون توفر الشروط السابقة كافيا لتخويل من شاء حق ادارة الصحف وتولى أمرها .. فقد جربنا مثلا ان وزارة الداخلية كانت تعطى رخصا باصدار الصحف لمن تشاء وتمنعها عمن تشاء . فمثل هذا النظام يجب ان يقضى عليه قضاء مبرما ، بمعنى ان كل من يقدم طلبا لاصدار صحيفة وتتوافر فيه الشروط الخاصة بشرف المهنة وبالكفاءة الصحفية يجب منحه هذا الحق ليكون الصحفى كالمحامى والطبيب متى حصل على شهادة الليسانس أو الدبلوم اضطرت الحكومة ان تجيز له الاشتغال بمهنته . ومن رأيى – محافظة على حرية الصحافة – أن تكون للصحافة نقابة ذات سلطة قانونية كنقابة المحامين يكون من اختصاصاتها الفصل فى من له الحق فى مزاولة الصحافة وعلى الادارة تنفيذ القرارات .

س : ما رأيكم فى رواتب المحررين الحاضرة بوجه الاجمال واجور كتابة المقالات والرسائل الخاصة ؟

ج : رواتب المحررين الحاضرة حسنة ومعتدلة بوجه الاجمال وكذلك أجور كتابة المقالات والرسائل الخاصة .

س : ما رأيكم فى انشاء نقابة للصحف ؟ وهل تكون جامعة للمحررين وارباب المحال أم يكون لكل فريق نقابة وهل تكون للنقابة علاقة بالحكومة أم لا ؟

ج : يجب كما قلت أن يكون للصحافة نقابة ذات سلطة قانونية ومن رأيى أن تكون النقابة عامة للمحررين وارباب المحال ، وليس فى هذا الجمع ما يخشى منه على الفريق الأول لا سيما اذا لاحظنا انهم هم الاغلبية .

هذا ويجب أن تكون النقابة مستقلة عن الحكومة اللهم الا ضرورة اعتراف الحكومة بها وتنفيذها لقراراتها » .

الرافعي في ذمة التاريخ

يمكننا القول — في ايجاز نرجو الا يكون مخلا — بأن حياة أمين الرافعي تنقسم في جملتها الى عدة مراحل ، تنتهي كل واحدة منها بحدث هام له أثره البالغ في تكوين الرافعي ، وفي خلق شخصيته ، وليس معنى ذلك ابدا ان كل مرحلة من هذه المراحل ، منفصلة عما سبقتها أو تلتها فكل مرحلة ليست سوى تمهيد للمرحلة التي تتلوها وليست سوى تكملة للمرحلة التي سبقتها ، بحيث تجيء تلك المراحل كلها وكأنها أشبه بسلسلة متصلة الحلقات لا تستطيع أن تفصل واحدة عن الأخرى . وأولى هذه المراحل بدأت بسن التمييز عند الرافعي الذي ولد في أعقاب الاحتلال البريطاني ، ورأى الجنود البريطانيين بخوذاتهم اللامعة وأحذيتهم الثقيلة وصلفهم وكبريائهم يجوبون شوارع القاهرة والزقازيق والاسكندرية وكل مدينة أتيحت له فرصة الوجود بها . وينمو أمين الرافعي وتنمو معه كراهيته للاحتلال الاجنبي الذي داس كرامة بلده بالنعال ، وراح يتحكم في كل صغيرة وكبيرة من أمور شعبه الصبور المسالم . ويتجه الرافعي الى القراءة لعلها تنسيه الهموم والأحزان التي سيطرت على قلبه وقلوب زملائه ثم يتجه فيما بعد وبعد أن مكنته القراءة الجادة من الحصول على جزء من المعرفة الى الاجتماعات

الصغيرة المغلقة التى كان يعقدها فى سرية تامة وفى غفلة عن الجواسيس وجنود الاحتلال بعض الوطنيين الشرفاء الذين لم يفقدوا الأمل ـ رغم اكفهرار الجو وظلمته ـ فى انقاذ بلدهم من المحتل الاجنبى ، ونرى الرافعى وهو يوشك أن يكمل دراسته الثانوية يشترك فى بعض المهرجانات الوطنية والمظاهرات العامة التى يحاربها العدو بكل ما يملك من وسائل ، ونراه يخطب مرة ـ وهو الخجول ـ فى احتفال السنة الهجرية وفى الاحتفال بالمولد النبوى ثم نراه يتشجع أكثر وأكثر : فيحضر بعض الاجتماعات العامة التى كان يعقدها مصطفى كامل بالاسكندرية ويرسل بعض المقالات التى كتبها الى بعض الصحف تحمل اسماء مستعارة ، ولم يكد امين الرافعى ينهى دراسته الثانوية فى عام ١٩٠٥ بعد أن تأخر أكثر من عام بسبب المرض الذى كان يصيبه فى وقت الامتحان حتى كان قد اختط لنفسه خطة فى الحياة هى العمل السياسى الوطنى تحت قيادة مصطفى كامل ، وفى خلال السنوات الاربع التى قضاها أمين الرافعى فى مدرسة الحقوق كان سياسيا لامعا يكتب فى غير أوقات المذاكرة والامتحانات فى « اللواء » كما يحضر باستمرار الاجتماعات التى يعقدها مصطفى كامل فى جريدة اللواء للمحررين العاملين فى اللواء ، ويقود الرافعى المظاهرات الصاخبة ضد مدير مدرسة الحقوق الانجليزى وضد نظم التعليم الاستعمارية التى أريد فرضها على كلية الحقوق وهو أحد ثلاثة كانوا يختارون كل عام ابتداء من عام ١٩٠٦ لتمثيل طلبة مدرسة الحقوق فى نادى المدارس العليا وهو يخوض المعارك الصحفية بأسلوب رشيق وعبارة سلسلة وفكر مستنير ضد كبار الصحفيين والسياسيين

مثل لطفي السيد وعلي يوسف مما لفت أليه الأنظار وعندما تخرج أمين الرافعي في مدرسة الحقوق لم يجد تعبا ولا نصبا في شق طريقه في الحياة : لقد أهله نشاطه الصحفي والاجتماعي والطلابي والسياسي في مدرسة الحقوق الخديوية ان يكون بسرعة خارقه من اوائل سياسيي الحزب الوطني وكتابه في تلك المرحلة التي بدات في عام ١٩٠٩ وانتهت بنشوب الحرب الأولى كان أمين الرافعي كاتب الحزب الوطني الثاني بعد الشيخ عبد العزيز جاويش وخلال الفترات التي سجن فيها الشيخ جاويش او التي نفي فيها من مصر كان امين الرافعي الكاتب الأول للحزب الوطني حتى بعد ان استقال من العلم وانشأ الشعب لم ينازعه أحد من رجال الحزب الوطني في زعامته الصحفية بالرغم من كونه ليس رئيس تحرير جريدة العلم لسان حال الحزب الوطني : كان هناك اعتراف صريح وواضح ممن يؤيدون امين الرافعي في اللجنة الادارية للحزب الوطني ومن يعارضونه بأنه اللسان الناطق والترجمان الصادق للحركة الوطنية ، وقد كان الرافعي في هذه المرحلة من خيرة الكتاب المصريين على الاطلاق فهو لم يكن يكتب الا عن فهم ودراسة وايمان وهو لم يكن يكتب الا بصدق وجرأة وحماس ، ولذلك اعتبر الاجراء الذي اتخذه أمين الرافعي باغلاق جريدة الشعب ـ أوسع الجرائد المصرية انتشارا وأقواها نفوذا ـ حتى لا تنشر قرار الحماية على مصر اخطر اجراء ووجهت به سلطات الاحتلال في أعقاب اعلان الحماية على مصر وخلع الخديو عباس والمجيء بالسلطان حسين : ويدخل الرافعي كما سبق أن ذكرنا السجن وينتقل من معتقل الى معتقل دون أن يتبدل له

رأى أو اعتقاد ، ويتحمل الرافعي في سجنه وأعتقاله كل صنوف التعذيب وسوء المعاملة وعندما يفرج عنه يطلب منه السلطان حسين أن يعيد اصدار « الشعب » ويعده بكل مساعدة مالية ويرفض امين الرافعي باباء وشمم أن يعيد اصدار الشعب بأمر السلطان قائلا ان الذى يملك اصدار « الشعب » قيادة الحزب الوطنى ، ولا يستطيع أن يستمر في عمله كمحام أكثر من عام واحد ليتفرغ للدراسة لايمانه بأن الليل يجب أن يعقبه النهار واعلان الاحكام العرفية وتقييد الحريات وملء السجون والمعتقلات بالأبرياء لا يمكن أن يدوم الى الابد ، اذن فلابد للرافعى من أن يعد نفسه لذلك اليوم المقبل الذى يغضب فيه الشعب لكرامته ويثور ضد من اغتصبوا حقوقه وكادوا يفقدونه كل أمل في التقدم والحياة الحرة ، ولذلك فان الرافعى لم يكد يعرف نبأ اعلان الهدنة حتى ابتدأ يتحرك فيتصل بالقيادات الوطنية أو ما تبقى منها يفتح صفحات جديدة للزعماء والسياسيين الذين يعرفهم ويعرف أخطاءهم وانتهازيتهم وينغمر الرافعى فى أتون ثورة ١٩١٩ بكل ما يملك من قوة ويهب سعد زغلول زعيم هذه الثورة كل ما لديه من جهد وعبقرية وكفاءة ومقدرة : لقد وثق بسعد زغلول كما وثق به الشعب كله ولقد علق عليه الآمال الكبار كما علقها عليه الشعب بجميع فئاته وطوائفه : ويصبح الرافعى كاتب الوفد الاول كما كان قبل قيام الحرب العالمية الاولى الكاتب الاول للحركة الوطنية ويختلف الى حد كبير مع قيادات حزبه الوطنى ويتعب الرافعى نفسيا بسبب هذا الاختلاف مع احب الناس اليه ولكن الرجل وجد أن القضية المصرية اكبر من الاحزاب فآثر أن يقدم للملأ

نموذجا حيا طيبا جريئا ينسى كل شيء فى سبيل ما يعتقد انه الحق .

ويصل الرافعى الى القمة وتصبح البلاد وتمسى ولا هم لها الا انتظار ما سيقوله الرافعى فى الاحداث التى تمر بها وتتوالى تلغرافات سعد زغلول وخطاباته الى الكاتب الشعبى القدير تطلب منه المزيد ويطلب من الآخرين ممن لهم حظوة عند الرافعى ان يشجعوه على المزيد وفجأة تبين للرجل أن الناس ليسوا كلهم مثله يسيرون على خط واضح ، فالوفد الذى أعلن انه لن يقبل المفاوضات الا على أساس التحفظات التى ابدتها الأمة على مشروع ملنر يعلن عكس ما قاله من قبل ويعلن رغبته فى الدخول فى المفاوضات بدون قيد أو شرط ويعلن أمين الرافعى مخالفته للوفد المصرى الذى انضم اليه أكثر من ٩٩ ٪ من أبناء الشعب ، ويجاهر الرافعى باختلافه فى الرأى مع سعد زغلول الزعيم الجماهيرى الذى كان فى ريف مصر ومدنها أشبه بالمعبود « يولد الطفل وهو يهتف بحياة سعد » . « ينزل العجل الصغير من بطن أمه قائلا : سعد سعد » « حتى أوراق الفول والتوت والقطن وبقية المحاصيل الزراعية تظهر وعليها عبارات عاش سعد عاش سعد » الى غير ذلك من الترهات والأكاذيب ، وتنطلق المظاهرات الدامية تهدد الرافعى ، تهدده فى جريدته ، فى بيته فى أعز الناس اليه ولكن الرافعى لا يتراجع عما قاله فى الوفد ورئيسه قيد أنملة فتستمر المظاهرات الدامية تحرق أعداد الأخبار فى وضح النهار ويستولى المتعهد الوحيد للصحف فى مصر على نسخ الأخبار كلها ليعيدها الى الرافعى كما هى لأنه يأخذ ما هو أكثر من الثمن من جهات أخرى ، ويذهب الوسطاء الى الرافعى يرجونه

ان يرأف بنفسه ، بولده ، بزوجه ، وأن يكف بمجرد الكف عن معارضته للوفد ولسعد ، ولكن الرجل يصر على رأيه ويعلن على رءوس الأشهاد :

« اذا كان معنى الحياة ان الغير يسيرنا وأن نكون آلة فى يد كائن من كان فاننا نرفض هذه الحياة ونحتقرها لأننا ما عشنا الا للحرية وما وهبنا حياتنا الا لنكون أحرارا ، احرارا فى عقائدنا احرارا فى أفكارنا ، احرارا فى آرائنا ، أحرارا فى خططنا واذا كانت حرية الرأى لم توجد فى كثير من البلاد الا بعد أن ذهب فيها عدد كبير من الضحايا فليكن كاتب هذه السطور أول ضحية لاحترام حرية الرأى المصرى » .

« اننا لو سلمنا لأنفسنا بأن نغير خططنا تحت تهديد أو وعيد من طائفة من الناس ، فقد حكمنا على أنفسنا بأننا عبيد لفكرة غيرنا لا لفكرتنا ، ومتى كنا عبيدا لفكرة غيرنا فاننا نصبح أبواقا لغيرنا وقد كنا ولا نزال معبرين عن ضميرنا لا تقبل أن نشرك احدا فى الضمير الذى به نحيا ، وبصوته ، نسترشد ، وبأمره نهتدى وفى سبيله نموت ، لقد قلنا لمن يهددوننا فى أرزاقنا ، ونقول لكل محاربى حرية الرأى : لو نصبت أمامنا المدافع ، وخيرنا بين اطلاق قنابلها علينا وبين أن نسلم فى عقيدتنا لما ترددنا فى اختيار الطريق الاول ، اذن فلا سبيل لاية قوة انسانية فى العالم على التحكم فى ضمائرنا ، لا سبيل لاية قوة على تغيير موقفنا وما دام هذا هو مبلغ ايماننا وما دامت هذه عقيدتنا فليبحث الباحثون عن شخص آخر يقبل ان يسلم « قياده لغير ضميره » .

أما نحن الذين لم نخضع فى اى وقت من الاوقات الا لهذا النداء الصادر من أعماق قلبنا فلن نتحرك من

مكاننا وسيظل صوتنا مرتفعا لان الواجب الوطنى يطالبنا بأن يرتفع هذا الصوت الى آخر نسمة من حياتنا ومحال أن يخفت لنا صوت الا اذا خفتت دقات قلوبنا » .

« لقد وطنا أنفسنا على ان نحول السجون الى بيوت لنا « نخرج من هذا السجن ليحل محلنا غيرنا حتى تتحرر بلادنا » .

ومهما واصلت صحف الحكومة تهديدنا وتوجيهه السباب كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة فاننا لن نتحول عن خطتنا قيد شعرة فليحققوا معنا ، وليحاكمونا اذا شاءوا ، اما أن نعدل عن خطتنا أو نكتب ما نخالف عقيدتنا او نسكت عن تقرير الحق او نتخلى عن واجبنا فذلك ما لا يكون ، وما لا يجوز ان يدور فى خلد احد ، وسنواصل الكتابة بهذا المعنى الى أن تتحقق الحرية » .

وينفى سعد زغلول وبعض رفاقه وسرعان ما يتحول المهاجم الأكبر الى مدافع أكبر : ضحية سعد زغلول يصبح محامى سعد زغلول : ينادى كل صباح بضرورة عودة سعد ورفاقه الى وطنهم ، ويفتح صدر جريدته لاولئك الذين كانوا الى أيام قليلة يقذفونها بالطوب وبالحجارة .

ويعود سعد زغلول عودة الظافر المنتصر ، ويصبح فيما بعد رئيسا للحكومة ، ويلقى سعد خطاب العرش كما تجرى بذلك الاعراف الدستورية ، ولكن أمين الرافعى وجد فى خطبة العرش ما يعيبها : لقد كان فى الماضى يهاجم زعيم الشعب ولكنه الآن يهاجم زعيم الشعب ورئيس الحكومة معا ولا يقبل سعد من أمين الرافعى ان يهاجم خطبة العرش ، ويتكرر فى عام ١٩٢٤ ما تكرر فى عام ١٩٢١ ، بل ان الهجوم على امين الرافعى وعلى دار

الاخبار أخطر فى عام ١٩٢٤ منه فى عام ١٩٢١ : على الاقل كان هناك فى ١٩٢١ بقايا بوليس يمكن أن يدافع عن امين اما فى عام ١٩٢٤ فالجماهير والبوليس معا ضد أمين . المظاهرات تنطلق لتحطم دار الاخبار ولتدق رأس صاحب الاخبار ، ولكن الله — كما عوده دائما — ينجيه من كل هذه المظاهرات الصاخبة .

وتبدأ الوساطة من اصدقاء سعد وامين ، لعل الامور تعود الى الحب والود بين سعد وأمين .

وتتوالى استدعاءات البوليس والنيابة لامين الرافعى فى عهد وزارة الشعب ، ويستمر التحقيق فى احدى المرات اكثر من عشر ساعات حتى لا يتمكن امين الرافعى من اصدار الجريدة ، ولكن أمينا هو أمين لا يتغير ولا يتبدل ، هو هو ، ولكنه فى هذه المرة يتساءل :

« ماذا عساهم يقصدون من أجل ذلك ، هل يريدون ازهابنا ، وتخويفنا ؟ اذن فهم لا يعرفون نفسيتنا أو بالأحرى يتجاهلوننا ، فما كانت السجون تصرفنا عن مبدئنا ولا تزلزل عقيدتنا الوطنية ولا تحولنا عن خطتنا التى يمليها علينا ضميرنا وحده دون أى مؤثر من الخارج ، واذا كان سعد باشا بذلك يريد أن يبعثنا الى غياهب السجون فما ذلك بضائرنا ، ولن نكون فى السجن أول ولا آخر من يضطهد فى سبيل عقيدته ومبدئه : اذا كان سعد باشا يرى أن يتخلص من صوتنا لان فى يده الآن مفاتيح السجون فنحن ندخلها بشرفنا ، وعقيدتنا ، ومبادئنا ، ونبقى فيها بشرفنا وعقيدتنا ومبادئنا ، ونخرج كذلك بشرفنا وعقيدتنا ومبادئنا ، لقد اعتقلنا من قبل أحد عشر شهرا لاننا أبينا أن نحبذ الحماية ورفضنا الا التمسك بالاستقلال التام بينما كان

غيرنا يشترك فى الاحتفال بالحماية ، وظللنـا ننتقل من سجن الى سجن فما كان السجن بضائرنا بل فهم الذين سجنونا ان عقيدتنا الوطنية لا يؤثر فيها اى نوع من الاضطهاد .

ويتساءل الرافعى أيضا : أين حرية الرأى ؟ أين ما يكفل وسـائل اعراب كل انسان عن فكره بالقـول والكتابة ؟ أين ما يكفل الحـرية الشخصية ؟ أين حرمة المنازل ؟ كل ذلك أصبح لا وجـود له بالنسبة للأخبار ولمحررى الاخبار والعاملين فى الاخبار وللساكنين فى الأخبار فهل استثنانا الدستور بنص يقول ، يحرمنا من التمتع بهذه الحريات ؟ »

وبصلابة المؤمن بربه ، وبوطنه وبمبدئه يقول : نقول لأولئك المعتدين ومن يحركونهم : اننا لن نتحول عن عقيدتنا وخطتنا ولن ننصرف عن العمل للقضية القومية ولن نتخلى عن القيام بواجبنا الى آخر نسمة من حياتنا » ولان الفلك دوار ولان دوام الحال من المحال فان سعد زغلول رئيس الوزارة ابعد عن الحكم ، ولما تكتمل وزارته عاما واحدا من حياتها القصيرة .

وتستقيل وزارة سعد زغلول أو بمعنى ادق تقال اثر حادث اغتيال السير لى ستاك حاكم السودان وسردار الجيش المصرى ويتساءل الناس : ماذا سيكون موقف أمين الرافعى من سعد زغلول بعد اقالة وزارته ؟ أيتشفى فيه وهو الذى وجه اليه المظـاهرات تحطم داره وتطلب رأسه ؟ أيتعاون مع خصومه الذين تولوا الوزارة بعده ؟ الذين يعرفون جيدا أمين الرافعى لم يكلفوا أنفسهم عناء وضع السؤال ، وعناء الاجابة عليه ، ايمانا منهم بأن أمينا هو ، هو لن يتغير ولن يتبدل هو هو فى موقفه : ضـد

الاحتلال البريطاني ، ضد الحكم الجائر ، هو هو في موقعه، مع الشعب لتحقيق مطالبه وأمانيه القومية ؟

وبكل ما لدى أمين الرافعي من قوة ومن صلابة راح يعمل على تحطيم ذلك النظام الجديد، نظام احمد زيور الذى خلف سعدا في رئاسة الوزارة . ويحل زيور البرلمان مرتين ويحمل الرافعي على حل البرلمان ، ويطالب بانعقاد مجلس النواب المنحل رغم أنف المندوب السامي والملك أحمد فؤاد والحكومة المصرية ، ويستجيب زعماء البلاد وقادتها وعلى رأسهم سعد زغلول لفكرة أمين الرافعي ، ويجتمع البرلمان في فندق الكونتننتال حيث كان يقيم أحمد زيور باشا رئيس الوزراء . و . و . .

وتنطلق المظاهرات في هذه المرة الى دار الاخبار فرحة جذلة تهنىء صاحب الاخبار بنجاح دعوته المباركة .

ويجلس الرافعي في مكتبه المتواضع بميدان الازهار ينتظر ماذا سيقرره الزعماء والقادة والنواب والشيوخ ، وهل سيثورون فعلا — كما نادى — على من عطلوا الدستور ؟ .

ويقرر المجتمعون في فندق الكونتننتال الاحتجاج — فقط الاحتجاج — على تصرفات الوزارة والمنافية للدستور كما يقررون حجب الثقة عن الوزارة بالاجماع ، كما يقررون ايضا استمرار جلسات مجلسى الشيوخ والنواب في المواعيد والامكنة التى سيتفق عليها الاعضاء غير ان هذه القرارات رغم ضعفها لا تنفذ اذ سرعان ما انشغل الجميع بالاستعداد لاجراء الانتخابات الجديدة التى كانت لقمة تقدم دائماً للغاضبين لكي يزول عنهم غضبهم !

يرى أمين الرافعى ان ما كان يأمله من دعوته لم يتحقق وان المعركة ضد الاحتلال الخصم الاول للدستور ، ضد السراى ، ممثلة الحكم الاوتوقراطى ، ضد الرجعية التى تعمل فى خدمة الاستعمار والسراى ، وكل قوى أخرى معادية للشعب : هذه المعركة التى كان يدعو اليها أمين الرافعى تحولت الى معركة أخرى : معـــركة انتخابات لا اكثر ولا أقل !

ويصاب الرافعى بصـــدمة عنيفة هزت كيانه وزلزلت بنيانه ، لقد وجد نفسه وحيدا فى الميدان .. وأعلن أمين الرافعى احتجاب الأخبار !

وفى فترة احتجاب الأخبـــار ينتزع القدر من أمين الرافعى ابنه البكر عبد الرحمن البالغ من العمر خمس سنوات بعد اصابته بالدفتيريا ويصلى أمين الرافعى بعد أن علم بنبأ الوفاة ، وينكفىء على سجادة الصلاة يبكى ، ثم يطلب ان يدفن جثمان ابنه الى جوار جثمان الزعيم مصطفى كامل ، ويجاب الى طلبه ، وتفتح لأول مرة مقبرة مصطفى كامل ليدفن بها عبد الرحمن أمين الرافعى .

ويصاب أمين الرافعى بمرض السكر .

ويذهب امين الرافعى لأداء فريضـــــة الحج ، وينتهز الدكتـــور محمـــــد حسين هيكل رئيس تحرير صحيفة السياسة الاسبوعية وقتئذ الفرصة فيطلب من أمين الرافعى أن يكون مراسلا لصحيفة السياسة وهو فى الحجاز .

وهنـــا تبدو شخصية الصحفى الكبير عظيمة رائعة انه وهو صاحب أكبر صحيفة شغلت الرأى العام أكثر من خمس سنوات وهو السياسى الوطنى الرائد ، الذى سبق د . هيكل فى العمـــــل السياسى بسنوات عديدة

يرحب بأن يكون وهو صاحب الصحيفة ورئيس التحرير والصحفى الخطير مراسلا لواحدة من الصحف التى كانت دون صحيفته نفوذا وانتشارا .

وفى موسم الحج يشترك فى أول مؤتمر اسلامى عرفه العالم الاسلامى دعى اليه الملك عبد العزيز آل سعود ملك « نجد والحجاز » .

وتصادف ان وقعت فى السنة التى كان يحج فيها أمين الرافعى فتنة « المحمل » بين القوات المصرية المرافقة للمحمل وبين بعض المتطرفين من النجديين وقد تم تبادل الرصاص بين الجانبين وكلف الملك عبد العزيز أولاده بالاسراع بالذهاب الى مكان الحادث ومنع اطلاق الرصاص و .. و .

وقد شارك أمين الرافعى فى وأد تلك الفتنة قبل أن تستفحل وتؤدى الى قطع العلاقات بين الحكومة المصرية وحكومة نجد والحجاز ، وقتئذ .

وعندما عاد أمين الرافعى من أداء فريضة الحج باشر العمل لاستئناف اصدار الاخبار ، وتعود الاخبار مرة أخرى الى الصدور أقوى مما كانت تهاجم وبعنف السراى وسلطات الاحتلال والاحزاب التى ائتلفت من أجل الانتخابات .

وبسرعة تعود جريدة الاخبار لتحتل مركز الصدارة بين الصحف المصرية ولم يكن ذلك بحاجة الى جهد لقد كان والقراء ــ وقتئذ ــ يتبعون كاتبهم المفضل الى أية جريدة يذهب اليها ولم تكن الجريدة التى عطلت بقرار من الحكومة أو بقرار من صاحبها ، عندما تفكر فى الظهور من جديد بحاجة للاعلان عن موعد صدورها أكثر

من بضعة أسطر تنشر فى الصحف القائمة ان جريدة كذا ستعود الى الظهور ، ليعود اليها قراؤها .

وفى نوفمبر سنة ١٩٢٧ اشـــتد المرض على أمين الرافعى وبدأ الاهل والاصـــدقاء محاولة اقناعه بالراحة دون جدوى . ووصف عباس محمود العقاد : « أمينا فى أيامه الأخيرة بقوله : « رأيت أمينا يمشى فى الطريق على مهل فرأيت شبحا يتماسك ، وجسدا قد تهدم الا قليلا ، ونفسا تمشى فى عالم وحدها وهى تشعر بنهايتها ولا تكاد تشعر بها من فرط الاطمئنان فيها وسيماء الســـكينة والرضوان التى تحف بها ، فعلمت اننى أرى أمينا فى تهافت جسده وأمينا فى قـــوة نفسه ورأيت كيف يؤثر الايمان على الجسد الفانى أما نفسه فهى فى ملأعزيزالحوزة منيع الجانب ، وعجبت ان يكون هذا أمينا وهو بعد فى ابان الفتوة وعنفوان الحياة ثم عجبت لهذا الهيكل الفانى، أن يكون هو ذلك الفتى الذى كنت أراه فى مكتب آلدستور أو مكتب اللواء فياضا بالشباب مقبـــلا على الحياة فى وجهه بشرة العافية وفى عينيه وميض الامل وفى مشيته صولة القوة والمضاء ، فكيف تبدل هذا ومن أين حل الهرم فى هذا الاهاب النضير ، ههنا شيخ يحسبه من يجهله فى الستين أو ما فوق الستين وهنالك لم يتجاوز العشرين أو جاوزها بقليل ، وما جار الرجل على شبابه فى غواية ولا أسرف على نفسه فى مهلكة من مهالك الاعمار ، فقل اذن انه هو الجهاد ، كان داء ذلك الجسد الناحل فأعجل اليه الموت وهو فى مقتبل الشباب » .

ويلقاه فى أيامه الأخيرة هذه ، محمود الطوخى ــ الفلكى ــ بعـــد خروجه من المسجد الزينبى اثر صـــلاة العشاء فيهش للقائه ، فقـــد كان الطوخى زميلا له فى سجن

الجيزة أيام الحرب العالمية الاولى ، وكان الطوخى يعمل في الحقل الوطنى كما يعمل في الفلك وهو الذى اعتقل في اثر حادث مقتل بطرس غالى لانه كتب في طوالعه أن رئيسا يقتل ، وينعم على ابنه بالباشوية ، ووجهت الى الطوخى تهمة الاشتراك مع الوردانى في الجريمة لانه ذكر الواقعة في تقويمه وقال الطوخى للمحققين ضاحكا : من الممكن ان أكون قد اشـــتركت في جريمة مقتل بطرس غالى ، ولكن من الذى أعلمنى ان الخديو سينعم على ابن بطرس باشا غالى بالباشوية » .

ويركب الرافعى والطوخى الترام من ميدان السيدة زينب الى ميدان الازهار ويسأله الرافعى وهو يضحك : اين تقويمك ؟ فيخرجه الطوخى من جيبه ويعطيه اياه ، مشيرا الى البيت الذى يقول فيه الطوخى في صفحة ٦٥ :

ونجـــــم أمين الرافعى صـــعوده
يكون بهذا الدور والسعد يكتمل !

ويقول له الرافعى وهو يبتسم مشيرا الى حرف الصاد في التقـــويم صـــفحة ٨٠ وقد جاء فيه عن سعد زغلول وحرمه صفية زغلول :

صفية ان الوقت قد حان للصفا
فلا تجزعى ان النجـــوم ستنقل

ويقول الرافعى للطوخى : لقد مات سعد ولم ير الناس رأيى في أن هذا دلالة الموت فان الموت .. هو الصفاء ، هو الراحة . ويسأل الرافعى صديقه العالم الفلكى قائلا : فكيف ترى صعودى اذن .. هل الى منصب وزير مثلا ، فليس يكمل السعد الا به طفـــرة .. وقال الطوخى : لا أدرى يا أمين بك .. لقد تنبأت للأخبار بالخير و ها هى ستبدأ حياة جديدة .. » وانصرف كل منهما .

وفى منتصف نوفمبر ، يشتد المرض ويكثر الاطباء من نصحهم للرافعى بأن يلجأ الى الراحة ، والرافعى كالعادة لا يستمع الى النصيحة ، وفى ليلة ٢٣ نوفمبر يكمل الرافعى عمله اليومى فى الاخبار ويكتب مقالته التى يفتتح بها مرحلة جديدة من مراحل تطور الاخبار ، وتشتد الحمى ، وترتفع الحرارة الى الاربعين وينقل الرافعى الى سريره محمولا على سيارة . وفى مرضه يزوره كل أقطاب البلاد وكل السياسيين والادباء والشعراء ويتحول بيته المتواضع ، الى مزار لجميع الشخصيات المصرية والعربية .

وتشتد الحمى ويصبح الرافعى كالورقة الجافة فى مهب رياح هوج ، وتنطفىء شمعته فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٢٧ .

واذا كل جريدة فى مصر ـ حتى تلك التى خاصمها الرافعى بعنف ـ تنعى الى مصر والعالم العربى والاسلامى وفاة أصدق الكتاب وأخلصهم وأصلبهم واشدهم ايمانا وأكثرهم تضحية .

وتكون جنازته أروع ما شهدته مصر .

وتعيد الى الأذهان جنازة مصطفى كامل .. لقد أبى الشعب جميعا الا أن يكرم الرجل الذى عمل فى صمت وضحى بحياته فى هدوء وبلا مقابل .

ولو اننا أردنا أن نحصى أسماء الشخصيات الكبيرة وممثلى النقابات المهنية والعمالية والطلابية الذين اشتركوا فى هذه الجنازة لاحتجنا الى صفحات وصفحات .

ثم تقيم أسرة الصحافة فى دار الاوبرا حفلة رائعة

يشترك فيها ممثلو الصحف على اختلاف نزعاتهم الحزبية في رثاء الرافعي .

وعلى مدى عام كامل ، تقام حفلات التأبين في كل مكان في مصر ، حتى القرى ، والنجوع ، والكفور ، لم تخل من حفلات تأبين لهذا الرجل الذى لم يحمل يوما ما الا قلمه ، ولم ينل من دنياه الا السمعة الطيبة التى أجمع عليها الناس .

قال الدكتور محمد حسين هيكل ، الذى أنابه الصحفيون المصريون جميعا لالقاء كلمة الصحافة المصرية فى الاحتفال الذى أقامته أسرة الصحافة في دار الاوبرا فى ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٨ وهو يخاطب الرافعى : كنت فى الصحافة مثال البر والطهر والنزاهة ، والصلابة فى الحق والتضحية الخالصة لوجه الله والوطن وأى تضحية أكثر من تضحيتك بنفسك .. لقد سقطت فى ميدان جهادك الصحفى ضحية هذا الجهاد ، وما يزال فى عدد سنين الحياة فسحة بعشرات منها لأنك كنت تحرق من نفسك لتضىء روحك بكل ما فيها من نور الهداية والحق ، وما زلت فى ذلك جاهدا حتى احترقت جميعا . لقد جاهدت لتضىء لغيرك فأحرقت نفسك وجاهدت لتبنى رجالات مصر الذين تفخر بهم اعلاما لمجدها فانهد جثمانك وجاهدت لتنصر الحرية التى قدستها والحق كما عرفته فذهبت ضحية طاهرة للحق وللحرية ، وجاهدت فى سبيل ذلك وذلك كله عظيم بقلمك ، قلم الصحفى المتقد غيرة ونشاطا الذى لا يعرف فى حياته الراحة ولا الملال : قدست الحرية وانرت سبيل الرأى وصنعت عظماء الرجال فكنت للصحافة مجدا وللصحفيين فخرا وكنت فى حياتك كما انت اليوم أصدق آية لشرف جهاد القلم فى سبيل الحرية والسلم .

وكنت في حياتك كما أنت اليوم أنبل من قدس الصحافة قلم تعرف غيرها عملا وغير الصحفيين أسرة حتى أستعذبت في سبيلها كل ألم واستهان حبا فيهـــا بكل تقلبات الحياة .

وقال عباس محمود العقاد : لقد عاش أمين الرافعي لرأيه وعقيدته ، مثلا في الثبات وعنوانا شريفا لصناعة الصحافة ، وفردا من الأفراد القلائل الذين رفعوا هذه الصناعة النبيلة عن طمع الطامعين وشبهة المشتبهين ، وحسب الصحافة من فقيدها هذه الحلة التي تحلت بها عن كريم خلاله، ونبيل سجاياه . فان لم يكن لها حظ غير هذا الحظ الجزيل لكفى به نصيبا تفاخر وتذكره بما هو حقه في ثناء واكبار ، فكيف وهي تذكر لفقيدها رحمه الله ــ فوق هذا الذي ذكرناه ــ انه كان قوة بقلمه وانه كان صوتا مسموعا في وطنه وانه ادى لأمته واجبــه الذي هو أكبــر مما يؤديه انسان ، لا وسيلة له غير وسيلة القلم والقرطاس .

ولقد عرف الصـــــدق والأدب لأمين كل من عرفوه واجتمعوا به في صعيد واحد ، حتى الانجليز الذين كانوا يشرفون على اعتقاله في عهـــد الأحكام العسكرية كانوا يعلمون انه الرجل الصادق والخصم النزيه فلا يشــكون في صدق كلامه ولا يرجعون الى أحد بعد سؤاله واذا نفى لهم أمين شيئا فذلك الشيء مقطـوع عنـدهم ببطـلانه واذا أخذ على نفسه عهدا فذلك العهد موثوق بانجازه .

على أي حال ، فقد عرفوا فيه الرجل المهذب وعرفوا فيه الرجل القوي الايمان فاكبروا فيه الخلقين واستكبروا عليه أن يخادع أو يلين » .

وخاطب مصطفى صادق الرافعى مصر فقال : ويحك يا مصر أفيك نوع من الموت هو أشد الموت فلا ينفذ الا من أصدقائك خاصة ؟ أمن سحرك انك لا تظهرين للشعب عظيما الا بموت ميت (كأمين) أو بناء قبر كالهرم الاكبر ؟ أمن عظمتك انك تنشئين النبى من أنبياء الوطنيــة ليؤدى رسالته ثم تصلبيه ؟ أمن قوتك ان لا ينتصر فيك الحى الا بعلامة واحدة هى انه أهلك نفسه بك ؟ أمن جبروتك انك لا تدركين حقيقــة أبنــائك الا حين لا تستطيعين ان تناديهم يا أبنائى ؟ أمن عجائبك أن لا يعـــرف خصومك وأنصارك الذين هم كخصومك رجلا مثل (أمين) الا ان يرغمهم هو على الاقرار حين يجعله الموت جزءا من ضميرهم الانسانى يا الهى . كان صوتك فى مصر ، فــكان كالرعد فى حنجرة ، وكان كالبرق فى قلم .

كان الباطل يرى فى ذلك الرجل حقا لا يتبدل أبدا .

كانت الفتنة ترى فيه سموا لا يتنزل ابدا .

كان الذل يرى فيه عزة لا تتحول أبدا .

كان الواجب يرى فيه عاملا لا يتململ ابدا .

كان رجلا من الأبد قامت بينه وبين مخـــازى الدنيا كلمتان : أبدا أبدا .

كان صوته صاعقا يشق حجاب القلب لأنه من قلبــه لا من شهواته .. وهو صوت مدفعك الذى وضعته فى اعلى برج من الحصن المصرى ترسل اليه كل يوم شراره لتنطلق منه كل يوم كل قذيفة .. يا له مدفعا ملىء بارودا لولا مدافع أخرى يتهزأ بها القــدر فيحشوها بما يؤكل وما يشرب .

« بذلك ناجيت نعش أمين » .

وقال عنه الامير شكيب أرسلان : وأمين الرافعى ككاتب كان من كبار كتاب هذا الوقت ، وأبلغهم عبارة وأحياهم روحا واسداهم منطقـــا وأوفرهم أدبا وأجودهم عارض قلم ، وأمين الرافعى كصحفى كان مثالا للاســـتقامة والنزاهة ، لا يهمه مال ولا جاه ولا بلاء ولا شقاء فى سبيل الجهر بما يراه حقا ، وليس فى مصر من يجادل فى مزيته هذه . وقد عرفنا حيادات كثيرين يضعون مبادئهم فوق المنافع الدنيوية ولا يبالون مصائب ولا عذابا واصبا اذا نهضوا لخدمة مبدأ مقدس ولـكننى قلما رأيت فيمن عرفت أو فيمن سمعت به رجلا كان يفنى فى المصلحة العامة بالقدر الذى كان يفناه أمين الرافعى .

وأمين الرافعى كصحفى سياسى لم يكن يعرف المراوغة ولا ما يسمونه نصف التدبير وكان لا يمشى الضراء ولا يسير حسوا فى ارتفاء وكان ينازل اذا نازل وهو شهير مرفوع الرأس حاسر عن الذراع .

وكانت لا تهوله كثرة العـــدد بازائه وذلك لشدة ثقته بالذى يراه حقا فكان يرى ان الكثرة لا تقدر أن تسطو على الحقيقة .

وان مائة ألف خطأ لا توازى ربع صواب وويل لمن كان يحمل عليه أمين الرافعى فقد كان اذا رمى أصمى واذا ضرب كسر . ولم يكن شتاما ولا مقـــذعا ولا ممن يخوض فى الشخصيات اذ كانت نفســـه تعلو عن هذا الضرب من المناظرة وكان من سداد حجته وحضور ذهنه وصولة بادرته بحيث يصرع قرنه فى الموضوع ويستغنى بتزييف القول عن تشنيع القـــائل . وأمين الرافعى كوطنى كان صريح

المشرب والاداة ، صحيح العزيمة متأبيا الهوادة ناظرا الى العواقب يرى من ضرر التســــاهل ما لا يرى من ضرر التمسك ولم يكن يرى أن كون الانسان عمليا يجيز له ان يتسلى بالمحالات وأن يجتزىء عن الحقيقة بالخيالات .

وأمين الرافعي كصاحب . كان وفيا بالعهود ، حافظا للأذمة ، قائما بواجبات المروءة اذا خوطب أجاب واذا نودى لبى وكان حافظا لصديقه فى الغيب ليس كأولئك الذين لا تتجاوز صداقتهم أبواب المجالس ، وقد كانت مرءوته تحمله على تحمل الضرر بل الخطر حتى لا يفرط فى حقوق الصحبة وقد جاءتنى منه كتب عدة هـذه المرة اذ هــو مريض ، وفى احداها كان يوصينى أن لا أسأم من الكتابة بسبب السفه والتطاول اللذين أراهما من بعض الناس .

وأمين الرافعى كمسلم لم يكن يرى فوق الاسلام شيئا ولم يكن يرى حياته الا لخدمة الاســلام والمسلمين ولم يكن يعرف فى مقام الدفاع عن الدين كبيرا ولا عزيزا ولا يرعى فيه خليلا » .

ويقول ابراهيم عبد القادر المازنى : لا أحب أن أطيل فى عفة ونزاهة مبدأ أمين الرافعى فان هذا كله معروف دائما اقول انه هو الذى قوى ايمانى بالشرق وثبت ثقتى به وكنت قبل مخالطتى له اعتقد ان فى الشرق القوة الكافية للنهوض واستبعد ان يـكون ميئوســا منه . ولكن هـذا لا يعدو أن يكون نظرية تدور بنفسى حتى كان من حظى أن عرفته وعملت معه واتصلت به أوثق اتصال ، فصار عندى دليلا ملموسا على ما فى الامم الشرقية من الحيوية فان أمة تخرج رجلا له مثل صلابته وقوة روحه ورسوخ ايمانه بأمته لا يمكن أن تكون قد عقمت . وأكبر ما راعنى فيه الجلد والصبر والجلد حصانة والصبر مناعة وقد كان هذا الخلق

من أبرز صفات أمين فعاش منيع الشرف محصن الضمير لا تطاوله الشهوات ولا ترقى الى ذروته الاهواء » .

ويروى فكرى أباظه قصة واحد من الذين كانوا يعاونون الرافعى فى الاخبار – لعله الاستاذ المازنى نفسه – اتصل به ليبلغه وفاة شقيقه فعزاه أمين ودعا له بالصبر وانتظر المازنى أن يفد أمين على داره ليواسيه فى مصابه ، ولكن النهار انقضى بطوله دون أن يرى له اثرا فعجب لمسلكه وأخذ يلتمس له عذرا حتى اذا كانت الساعة الحادية عشرة ليلا سمع قرعا على باب داره فسارع اليه وفتحه فألفى أمينا واقفا أمامه يبكى وقد خنقت عبراته عباراته فلم يقو على الكلام فصمت ودفع اليه أمين بصرة تحتوى على أربعة عشر جنيها لينفقها على معدات تشييع جنازة شقيقه . ومرت على تلك الحادثة أشـــهر طويلة وصديق الرافعى يجهل سرها ثم علم ذات يوم ان أمين بك اقترض يومئـذ الجنيهات الاربعة عشر التى ساعده بها وانه مضى سحابة ذلك اليوم والشطر الاول من ليله فى البحث عمن يقرضه هذا المبلغ .

هذا هو أمين الرافعى الذى كان يرفض ألوف الجنيهات كاعلانات اذا ما جاءت من شركات انجليزية حتى ولو لم يكن لهذه الشركات علاقة بالسياسة ، والذى كان يرفض الكثير من الالوف اذا جاءت كاعلانات عن أشياء محرمة كالكونياك مثلا » .

ويكمل فكرى أباظه حديثه ويقول : إن أمينا قد احتكر بلا منازع خاصتين جنون العقيدة فقد أحاطه بسياج من الاجلال ، خالد ، وأما الاحتكار النصوص فلا أظن انه يوجد فى مصر كاتب يجاريه فى هذا وويل لكل سياسى يلقى الكلام على عواهنه فعند أمين الرافعى أقـــواله السابقة

وتصريحاته السـابقة كأنه يدرك فى الماضى ان المتكلم سيناقض نفسه وينسخ نظرياته » .

أما الاستاذ حافظ محمود وكان من حزب معـارض للرافعى ــ فقد كتب الينا رسالة خاصة عندما علم بأننا نعد هذا الكتاب تحت عنوان « سبع كلمات » قال فيها : « لقد أجتمع فى قلب أمين الرافعى كل بخار الوطنية الذى تصاعد من حركة مصطفى كامل وكل اللهب الذى اندلع من ارادة الشعب المصرى فى ثورة سنة ١٩١٩ فلم يتحول قلبه لا عن هذه الوطنية ولا عن هذه الارادة ولم تستطع مختلف السياسات ــ التى استتبعت ثورة سنة ١٩١٩ ــ أن تحول عقله عما كان فى قلبه من الارادة الوطنية الصادقة فقضى السنين السبع الاخـيرة من حياته فى صراعين ، صراع الصـحافة فى مختلف السياسات ، وصراع الوطنية مع هذه السياسات جميعا » . « ان أمين الرافعى الذى تتلمذ على وطنية مصطفى كامل قد رفضت وطنيته عند قيام ثورة الشعب فى سنة ١٩١٩ ان يقف منهـا جامدا محايدا فاندفع بقلمه مع الطليعة فى هذه الثوره حتى أعتبره سـاسة الثورة لسانهم الأوحـد الأول فكان يدافع عن جهود الوفد المصرى بزعامة سعد زغلول عندما ذهب الوفد أول مرة بعد خروج أعضائه من المعتقل الى الخارج للمطالبة الوطنية ، لـكن سـعدا ما كاد يعلن ان صحيفة أمين الرافعى هى لسان الوفد ، حتى أنكر الرافعى هذه الصفة التى كان يتطلع اليها كل صحفى غيره مفضلا عليها ان يظل محتفظا باستقلال رأيه وحرية قلمه فى كل ما يكتب » . « وكان الرافعى فى معارضته شجاعا لم يخش طغيان الجماهير . . فقد حضر بنفسه الاحتفال الذى أقيم لسعد زغلول عقب عودته من الخارج بفندق شبرد

.. وفى الاحتفال عرض سعد فى خطابه لوجهة نظره فى الحصول على « الوعد » بالغاء الحماية كأساس لقبـــول الدخول فى المفاوضات مع بريطانيا ثم يتســـاءل : هل يعارض أحدكم فى ذلك .. فاذا بأمين الرافعى يقف بين هذا الجمع المؤيد قائلا : نعم أنا أعارض .. ودفع أمين الرافعى ثمن هذه المعارضة غاليا .. لقد اعتبرته الزعامة من الخوارج وحضت الناس علنا على عدم قراءة صحيفته ... احتمل الرافعى هـذه الحمـلة التى هبطت بتوزيع « الاخبار » من أربعين ألف نسخة فى الوقت الذى كانت تتطلع فيه أكبر الصحف الى توزيع العشرين ألفـا .. احتمل الرافعى هبوط توزيع جريدته من الاربعين الفا الى بضع مئات دون أن يحيد عن موقفه » . « ومضت الايام وائتلفت الاحزاب ورأى أمين الرافعى فى أسس هذا الائتلاف شيئا يختلف مع مبـادىء الحزب الوطنى التى عاش دائم الحنين اليهـــا فعارض أمين الرافعى هـذه الأسس .. يومئـــذ اتهـم أمين الرافعى بالمغـالاة وقـد يـكون بعض هـذا الاتهام أقرب الى الصحة لكن الايام أثبتت ان الجانب الاكبر من الحق كان معه ، اذ ما كادت حكومة الائتلاف تفكر فى أول مشروع للتوسع فى وحدات الجيش المصرى وأســلحته حتى اصطدمت ـ أى اصطدمت الاحزاب جميعـــا ـ بارادة بريطانيا .. ولم يكن هذا الاصطدام عيبا بالنسبة لحكومة الائتلاف ، انمـا كان العيب فى ان المؤتلفين كلهم قـــد اضطروا الى التراجع واضطروا الى تغطية هذا التراجع باخفاء أنباء هذا التصادم عن الشعب لولا أمين الرافعى الذى تولى وحده كشف أسرار هذا الصدام . لقد كان معنى هذا الموقف من الرافعى انه قد تعـــرض لفقـدان

صداقات الزعماء جميعاً .. لكنه لم يأبه لشيء من هذا ، واستمر في حملته الى نهايتها .. وكان خلافه مع الزعماء على اختلاف احزابهم دليلا على انه صحفي حر صاحب رسالة حرة مستقلة عن كل الاحزاب في سنة ١٩٢٠ كانت بريطانيا قد أقحمت على الموقف السياسي مشكلة جديدة بوضع مشروع تعسفي جديد للحكم القضائي في السودان، وأرادت السلطات البريطانية ، في زحمة الاحداث ، ان تحصل على موافقة الحكومة المصرية الخاضعة لنفوذها على هذا المشروع .. وكادت هـذه المسألة تمر دون ان يشعر بها أحد فاذا بأمين الرافعي يتصدى لها قائلا في مقالته ان هذا المشروع لا يمكن التصديق عليه الا بعـد مناقشة الجمعية التشريعية في مصر . ولقد كانت الجمعية التشريعية معطلة الجلسات بأمر السلطات المحتلة فاقترح أمين الرافعي على أعضائها ان يجتمعوا في أي مكان ليقولوا كلمتهم ، وبالفعل عقد هذا الاجتماع بدار سعد زغلول في شهر مارس سنة ١٩٢٠ باعتبار أن سعداهوالوكيلالمنتخب للجمعية التشريعية .. ولقد سارعت السلطات الى اصدار القرارات التي تضفي على هذا الاجتماع صفة البطلان ، لكن الرافعي كان أسرع منها في الاعراب أيضا عن بطـــلان هذا المشروع » . « ان أمين الرافعي كان المشعل الوطني في الصحافة المصرية عبر الحلقة الثالثة من القرنالعشرين .. لكن هذا المشعل الذي شارك في إنارة طريق الوطنية المصرية سبع سنوات أو تزيد .. قد أحرق أصابع اليد التي تحمله .. ولهذا فان الناس خصوما كانوا أو أصدقاء لأمين الرافعي — لم يشذ منهم أحد على احترامه حيا وميتا .. انني لا زلت اذكر حفلة تأبينه بدار الأوبرا — وهي الدار التي كانت لا تقام فيها الحفلات الا باذن الحكومات

التى خاصمها الرافعى ـ أننى لا زلت أذكر كيف كان خير المتكلمين فى تأبينه هم الذين اختلف امين الرافعى مع سياساتهم وكأنهم كانوا يقـــولون انه فى خلافه مع سياساتهم كان أمينا عليهم كما كان أمينا على مبادئه ، ثم أمينا على رسالة الصحافة » .

وسألت أستاذنا الـكبير محمد نجيب الذى عمل مع الرافعى سنوات عديدة أن يذكـر لى بعض الجـوانب الخفية عن حيــــاة الرافعى فقال : كان الاستاذ أمين الرافعى حريصا على أن تظهر صحيفته الأخبار بأحدث الأخبار ، حريصا على أن يكون سباقا فى التعقيب على الأحداث والاتجاهات السياسية .

كان يبكر فى الذهاب الى مكتبه فى الأخبار ولم يكن هذا راجعا الى أن مبنى الجريدة الضخم يضم منزله الى جانب مطبعتها ومكاتب ادارتها وانما كان ذلك يرجع أول ما يرجع الى أن عادته جرت على الاستيقاظ مبكرا حتى أنه كان أول من يباشر عمله من المحررين وموظفى الادارة.

وكانت دار الأخبار تشغل المساحة الكبيرة التى تشغلها فى الوقت الحاضر المدرسة اليونانية فى ميدان الفلكى وكان حرصه على السبق فى التعقيب يدعوه الى الاطلاع على البرقيات الواردة من الخــــارج برقية برقية وكذلك صحف الصباح صحيفة صحيفة وخبرا خبرا فاذا رأى فيها ضالته المنشودة أسرع بالكتابة ودفع بالمقـــال الى المطبعة واذا لم ير هذه الضالة فانه يظل يرقب وينتظر حتى يتلقى نبأ من الانباء الجديرة بالتعليق دون أن يؤدى هذا الانتظار والترقب الى تأخير صـــدور الجريدة عن موعدها لأنه كان سريع الخاطر سريع الكتابة .

ولقد بلغ من خشية حكومات ذلك العهد من أن تفاجأ بعد ساعات من اصدار قانون أو أى اجراء ترى فيه مادة لهجوم أمين الرافعى عليها ان كانت تحاول تفويت هذه الفرصة على أمين ، فتذيع هذا القانون أو هذا الاجراء فى وقت تعتقد ان أمينا لا يستطيع التعليق عليه وذلك لا يقترن الصدور بالهجوم فيكون له أثر سيىء ضدها عند الرأى العام .

ومع هذا فانه كان يفوت على هذه الحكومات غرضها فيلغى مقاله اليومى المعد للنشر اعدادا نهائيا ويكتب مقالا جديدا ينتقد فيه القانون الجديد او الاجراء الجديد . أما اذا كانت هنــاك اســتحالة مادية تؤدى الى تأخير صدور الأخبار فانه كان يكتب أسطرا يعد فيها بالتعقيب فى اليوم التالى على أن هذه الاسطر لا تخلو من عبارة لاذعة تنطوى على النقد المر وكان المرحوم أمين الرافعى من كتاب عصره القلائل الذين يقسمون أوقاتهم ويوزعونها بين عملهم وراحتهم ، وصحيح انه كان يختلس من وقت راحته ما يضيفه الى وقت عمله ولكنه لم يكن ليعمد الى العكس كما أن مكتبه كان منظما تنظيما يدعو الى الاعجاب فاذا احتاج الى كتاب أو قــانون أو ملف ليراجعــــه ليدعم مقاله به ويعززه فانه لا يضيع وقته فى البحث عنه فى هـــذا الدرج أو فى ذاك أو فى هـــذا الدولاب او ذاك بل انه يضع يده عليــه ويتنــاوله من مكانه فــورا دون أن يعتمد على سكرتير أو موظف يعــــاونه فى ذلك ، فقد كان رؤساء تحرير الصحف لا يعترفون بالسكرتير أو السكرتيرة وكان من الكتاب القلائل الذين لا يعتمدون على الذاكرة وحدها بل على نصوص القوانين أو الخطابات أو البيانات وكان رحمــه الله يعتمد على

الارشيف اعتمادا كبيرا فى تقديم الحجة والبرهان ضد خصومه السياسيين حتى لا يخطىء أو تخـونه ذاكرته وكان يصرف ساعات من وقت فراغه في تنظيم أرشيفه وتبويبه فقد كان يقص من كل صحيفة ما يحتمل ان يرجع اليه من الأخبار أو القوانين أو البيانات أو الخطابات وكان ذلك يكلفه كثيرا من الجهد والوقت . ولقد أصبح هذا الارشيف ثروة صحفية ضخمة . ولا أظن أن أحدا من الصحفيين قد سبقه فى اعـــداد أرشيف صحفى كأرشيفه الذى كان يعد مرجعا تاريخيا » . وأسأل أستاذنا نجيب أكان الرافعى منطويا على نفسه ؟ فيجيب : فى اعتقادى ان ما وصف به أمين الرافعى من أنه كان منطويا على نفسه لم يكن صحيحا الى حد كبير . ذلك أن الرجل كان يكرس كل وقته لعمله الصحفى فلم يكن هذا العمل المضنى الذى أخلص له وتفانى فى حبه وأغراق نفسه فيه الى جانب ما اقترن به من المشـــكلات الضخمة والمؤامرات الدنيئة التى كانت تدبر للقضاء على صحيفة الاخبار وهـذا يعنى القضاء عليـه سياسيا ، كل هذا حد من اختلاطه بالناس فى الأندية العـامة على أنه كان يختلس فى بعض الليالى ساعات من وقته ويقضيها مع زملائه وأصدقائه فى محل (صولت) أو فى « يعكوكة » وحيد بك الأيوبى » .

وأسأل الأستاذ محمد نجيب عما يعرفه عن نزاهـة أمين الرافعى وعفته وطهارة يده فيقول : كنت ذات يوم مع أستاذى أمين الرافعى فى مكتبه بدار جريدة « اللواء المصرى » و « الاخبار » بعد توحيد الجريدتين بسبب الازمة المالية ، فجاء مدير الحسابات يعرض عليه شيكا بمبلغ ٢٠٠ جنيه واردا من شركة مياه القاهرة قيمة اشتراك

الشركة فى عددين من الجريدة وطلب منه توقيع الشيك لقبض قيمته من البنك لأنه وارد باسمه .

ولم نكن نحن الذين ضمنا المكتب ننتظر الا أن يوقع أمين الرافعى الشيك وتقبض الادارة المبلغ ولكنا فوجئنا به يطلب من مدير الحسابات رد الشيك وأن يبلغ الشركة بقيمة العددين اللتين تطلب الاشتراك فيهما : وبدا على مدير الحسابات ما يدل على عجبه من رد الشيك على حين ان خزانة الجريدة خاوية وأن مبلغ مائتى جنيه فى هذا الوقت مبلغ محترم يكاد يكفى مرتبات المحررين شهرا كاملا ، ويتباطأ فى تناول الشيك ، وأدرك أمين الرافعى مبعث هذا التباطؤ فقال لمدير الحسابات : اننا لا نشترى وقبول هذا المبلغ معناه تكميم فمى والتغاضى عن أخطاء الشركة وهو ما لا يقبله صحفى شريف » .. وذكر الزميل محمد نجيب قصة أخرى فقال : فوجئت ذات يوم بزميل كانت له علاقات طيبة بالوزارة القائمة وكانت من الوزارات الرجعية ، فوجئت به يسألنى فى غضب شديد : « هو أمين الرافعى ده عايز يموت ويخرب بيوت الناس اللى بتشتغل معاه . مش كفاية هو بينتحر ؟ فقلت لماذا ؟ — فقال اسمع يا سيدى فلان باشا (وكان وزيرا للداخلية) سمع أن الحجوزات تتوالى على الأخبار وعلى بيت أمين الرافعى فكلفنى ابلاغه أنه — أى الباشا — مستعد لسداد كل الديون بلا مقابل .. أى أن يظل معارضا للوزارة .. ولكن بشرط مهاجمة الوزارة السابقة وكانت وزارة وفدية .. تصور انه مع هذا السخاء من الحكومة ومع محافظتها على كرامته ... مع هذا كله رفض بدون أى تردد . ومضى صديقى فقال معقبا : ده راجل فاكر اننا عايشين فى عصر « ابن حنبل » ويسألنى

صديقى هذا عمن يستطيع التأثير على أمين ليقبل قلت له لا تحاول .. فأى محاولة ليست مجدية مع أمين الرافعى خاصة اذا تعلقت بالنزاهة .

وقد يؤخذ على الرافعى فى أحوال قليلة ونادرة قسوته على بعض من خالفه فى الرأى قسوة غير عادية كما حدث مثلا ــ بالنسبة للشيخ على يوسف ، عندما استقال من رئاسة تحرير المؤيد بمناسبة تعيينه شيخا للسادة الوفائية ، بدلا من السيد عبد الحميد البكرى الذى عين نقيبا للاشراف ، لقد انتقد ضخامة مرتبه ٦٢٫٥ جنيها تدفع من «الروزنامة» كما انه علق على نبأ استقالة الشيخ على يوسف بأن هذا النبأ قوبل بالغرابة ولو لم يكن منشورا فى المؤيد لما صدقه أحد لان الرجل الذى اشتغل بالسياسة نحو ربع قرن لا ينتظر منه أن يتركها فجأة ، لمثل هذا السبب ، كما انه ــ أى أمين ــ تساءل هل يستقيل الشيخ من رئاسة حزب الاصلاح كما استقال من رئاسة تحرير المؤيد ؟

وكانت قسوة أمين الرافعى على طه حسين سببا فى ان طه حسين كان الكاتب العربى والمصرى الوحيد الذى لم يكتب حرفا واحدا فى أمين الرافعى بعد وفاته ، والنقد الوحيد الذى وجهه د . عبد اللطيف حمزة الى الرافعى فى دراسته عنه ضمن سلسلة كتب « أدب المقالة » يتعلق بقسوة الرافعى على سعد زغلول فى مقالة بعنوان : البلاد سائرة فى طريق الفوضى وسعد باشا يدفعها الى الهاوية » . وقد قال عبد اللطيف حمزة ان أمينا كان شديد اللهجة الى حد التطرف وتلك هى المرة الوحيدة التى يضطر فيها كاتب هذه السيرة ان ينحى باللائمة على أمين الرافعى لانه تجاوز القدر فى هذه المقالة

ونحن نعلم ان من حق الصحفي دائما أن ينسب الخطأ الى الزعماء والى ولاة الامور اذا كانت هناك دوافع وطنية الى ذلك ، ومن أجل هذا لم نوجه لوما الى محرر الاخبار فى مقاله الذى نقلناه قبل ذلك وهو المقال الذى خطأ فيه سعدا فى مواضع كثيرة ـ المقال حول حديث سعد باشا لمندوب رويتر ـ ولكننا مضطرون الى تخطئة أمين الرافعى فيما انزلق اليه قلمه بعد هذه التهم العريضة التى اتهم فيها زعيم الثورة فليس صحيحا ما قاله عن هذا الزعيم ، انه لا يتوخى غير مصلحته الشخصية وانه مستعد دائما للتضحية فى سبيلها بالمصلحة القومية وسيرة سعد زغلول شاهد على ما نقول » .

ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : الصحفى فى الأمة أشبه ما يكون بالرائد لهذه الأمة والرائد نفسه كالمصباح ينير الطريق للناس وتظل ذبالته تجاهد فى هتك استار الظلام فيما تكشف للناس عن جميع العقبات التى أمامهم والاحجار التى تعترض طريقهم ، والمتعرجات التى يتعرج اليها الطريق .. الطويل الذى يسيرون فيه . وكما يحتاج الجيش الى القائد كذلك يحتاج هذا الجيش الى الرائد بل ان حاجة الجيش وقواده الى رواد يرتادون له الطريق ربما لا تقل عن حاجة هذا الجيش الى الطعام والشراب والى المعدات والادوات اللازمة فى ميدان القتال . وقد كان سعد زعيم الأمة المصرية بلا منازع ، كما كان أمين الرائد لهذه الامة فى الواقع وقد فهم كل من الرجلين مهمته على أحسن وجه ، فقاد سعد أمته فى حدود امكانياتها الى نصر وقام أمين الرافعى فى حدود امكانياته كذلك بعمل الرائد الذى لا يكذب اهله فكان يبصرهم بمواقع الزلل ويرشدهم دائما الى خير العمل

والذى لا ريب فيه ان أمينا فى أداء واجبه هذا كان يؤديه بصدق وأمانة وشرف ونزاهة وكان يأخذ نفسه دائما بما يعتقد انه الحق لا ينظر فى ذلك الى الاشخاص ولكن ينظر دائما الى المبادىء وقد أجمع المعاصرون له على هذه الشهادة وها نحن الآن نرى ان البحث يؤدى بنا الى هده النتيجة . من أجل ذلك لا يعجب التاريخ حين يجد الصحفى مرة ينصر الزعيم ومرة أخرى يبدو معارضا له ، أو حين يرى هذا الزعيم ، مرة يرضى عن هذا الصحفى الكبير وأخرى يسخط عليه » .

« ولقد أصر الرافعى فى خصومته العنيفة لسعد الى آخر الشوط فأصبح لا يعنيه كل يوم آلا أن يكتب مقاله السياسى ويحمل فيه سعدا مسئولية الحـــالة السيئة التى صار اليها الدستور والحالة السيئة التى صارت اليها الحرية الشخصية والحـــرية الجماعية والحالة السيئة التى صارت اليهـــا البـــلاد فى جميع مرافقهـــا الحيوية » .

وقد يأخـــذ البعض من رجال الحـــزب الوطنى على الرافعى موقفه من حزبه الوطنى اثر تشكيل الوفد حيث أصر سعد زغلول على ألا يمثل الحزب الوطنى فى الوفد تمثيلا لائقا بأقدم وأكبر حزب وطنى فى البلاد وحيث اندفع الرافعى بكل ما يملك من حماس لتأييد الوفد الذى لم يكن يومئذ مكونا الا من كثير من زعماء حزب الأمة ومن المعتدلين فى السياسة ولم أجد ضمن أوراق الرافعى ما يوضح لى هذه النقطة سوى ان الرافعى لم يكن يؤمن فى يوم من الأيام آن الوفد المصرى الذى ضم محمد محمود وحمـــد الباسل وسعد زغلول واسماعيل صدقى والمـــكباتى ومحمـــود أبو النصر وحافظ عفيفى

وغيرهم من ذوى الآراء والأفكار المتضاربة يمكن أن يتحول الى حزب سياسى .

على ان الرافعى كان يعلم حق العلم ان غياب محمد فريد عن قيادة الحركة الوطنية قد أفقد هذه القيادة زعامة قوية ، يمكن أن تلتقى حولها كل القوى المتضاربة فى اللجنة الادارية للحزب الوطنى كما انه كان يبذل جهودا مضنية اما عن طريقه واما عن طريق عبد الرحمن فهمى لضم محمد فريد وبعض العناصر الوطنية التى حيل بينها وبين العودة الى مصر ، ابان الحرب العالمية الاولى الى عضوية الوفد بالرغم من ان سعدا كان مصرا على عدم الالتجاء الى تلك الخطوة خوفا من ان يتهم الوفد المصرى بالتطرف وخوفا من أن يؤدى ذلك ــ كما جاء فى خطاب سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمى بهذا الخصوص ــ الى الخطر الكبير على القضية المصرية التى تحتاج على الدوام لعطف الحلفاء الذين اشتهر فريد لديهم عموما ولدى الفرنساويين منهم خصوصا بممالأة أعدائهم وضم محمد فريد الى الوفد من شأنه أن يؤيد مطاعن الخصوم ويشوه جمال قضيتنا » وقد كتب سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمى ملفتا نظره الى ان جريدة مصر تكتب رسائل لمجد الدين ناصف فيها شىء من الانقسام وتشويه القضية المصرية خصوصا بالكلام عن محمد فريد ورحلاته وآرائه فى بعض المسائل الخاصة فاذا أمكنكم أن تستلفتوا نظر حضرة الفاضل صاحب جريدة مصر الى الكف عن نشر مثل هذه الرسائل كان ذلك أفضل » وقد كانت عقدة الخوف من الاتصال بغير الحلفاء مسيطرة على سعد زغلول الى أبعد الحدود .

وربما كانت هذه العقدة هى التى جعلت الوفد لا يحمل على عاتقه نقل جثمان محمد فريد على نفقته كما فعل

بالنسبة لجثث الطلبـة المصريين الذين ماتوا فى حادث سكة حديد بوثينتا .

وقد كتب سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمى بتاريخ ٧ مايو سنة ١٩٢٠ يرد على ما أرسنه اليه المحـاميان شفيق منصور وعبد الحليم البيلى طالبين نقل هذه الجثة وعلل سعد زغلول عدم موافقة الوفد على مطلب شفيق منصور والبيلى بقوله : ان الوفد لم يتعرض لمسألة الطلبة الا لأن الحادثة التى أودت بحياتهم نزلت بهم فجأة على غير انتظار فى جهة منقطعة لا يظن وجود احد من المصريين فيها ، فرأى الوفد ان يسعف المصابين منهم وأن يتكفل بنقل موتاهم ولـكن المرحوم محمد بك فريد كان مريضا مرضا طويلا ووفاته كانت متوقعة لأهله وأصـــدقائه وأعضــــاء حــزبه من زمن مديد وحصــلت فى مدينـــة فيهــــا كثـــير من المصريين ، ومضى عـــلى وفاته زمن طويل وقد تكفل بعض الأعيـان بنقل جثته وسعى فى ذلك معظم اعضاء اهله وحزبه وسافروا لهذه الغاية فليس للوفد أن يتداخل من تلقاء نفســه فى أمر نقله لان فى ذلك امتنانا على عائلته وحزبه والرجل الذى تصدى للقيام بأمر نقله ، أما العناية ، فقد سبق للوفد ان اشترك فى الاحتفال بدفنه وتأبينه وعقدت له لجنـة الوفد المركزية مأتما فى دار بعض أعضائها وهى لا تتأخر عن تشييع الجثة عند حضورها بالعــاصمة وبناء عليه ارجو ان تفهموا ذلك الى هذين المحامين وان تؤكد لهمـا ولغيرهما ممن يتكلمون فى هذا الشأن ان كانوا ، ان الوفد مع ذلك كله مستعد للقيام بكل شيء اذا طلب ذلك منه الحزب الوطنى وسلم الامر للجنة الوفـد المركزية لاننا لا نريد مزاحمة فى ذلك ولا نريد الافتئات عليه فى تولى ماهو

أولى بالعناية » وربما كانت هذه العقدة ايضا هى التى جعلت سعد زغلول يرسل الى اللجنة المركزية بتاريخ ٢٣ يونيه سنة ١٩١٩ يقول « الوفد غير راض عن المنشورات التى تعبر عن اعتماد المصريين على الالمان وتتضمن الانتصار للبلشفيك فان هذه المنشورات يستفيد منها أعداؤنا للقول بأن الحركة المصرية لها اتصال بالالمان والحركة البلشفية وهذا يضر بقضيتنا » .

وهذه العقدة هى التى جعلت الوفد يرسل الى الولايات المتحدة الامريكية محمد محمود للدعاية للقضية الوطنية ولا يرسل احدا الى بلدان اخرى لا علاقة لها بالحلفاء .

كما ان سعدا قد غضب جدا عندما نشرت صحيفة الفازيت خبرا عن اتصال الوفد بصحيفة الديلى هيرالد البريطانية المعروفة وقتئذ باتجاهها الاشتراكى وكان مما قاله سعد زغلول فى رسالة بعث بها الى صحيفة الفازيت ونشرتها فى ١٩ مايو سنة ١٩٢١ : اننى لست ممن يهتمون بالمباحثات فى الشئون الاجتماعية وانى لا اجهد نفسى فى أمر الكوميونية أو البلشفية ولا أبحث عن أيهما المناسب لحياتنا الاجتماعية اذ ليست عندى أى فكرة من هذه الوجهة وان العلاقة الموجودة بين الوفد المصرى والديلى هيرالد علاقة سياسية غير قائمة على قاعدة الارتياح لآرائها الاجتماعية .. لم نجعل علاقة لنا بها لآرائها الكوميونية ولكنا اتصلنا بها لانها قبلت ان تكون وسيلة لنشر آرائنا السياسية . ولو أبدت أى جريدة انجليزية مثل هذا القول لتقبلناه منها بمزيد الفرح » . وربما يؤخذ على الرافعى موقفه من كتاب الاسلام واصول الحكم حيث تزعمت الصحف ــ كما يقول الاستاذ احمد

بهاء الدين فى كتابه « أيام لها تاريخ » ـ التى تهاجم الكتاب جريدة الاخبار لسان حال الحزب الوطنى فى ذلك الوقت فهى تكتب فى افتتاحيتها يوميا . لم يقع من نفوسنا موقع الاستغراب اقدام الشيخ على عبد الرازق على اصدار الكتاب لأننا نعرف عنه فى كل حياته ضعفا فى تحصيل العلوم وطيشا فى الرأى والحادا فى العقيدة » تقول فى يوم آخر : ما زالت صحيفة عبد العزيز فهمى « جريدة السياسة » خالعة العذار مستهكنة فى الالحاد لا تبالى انتهاك سترها ، خارجة على دين المسلمين ، دين الدولة المصرية والراية المصرية . وفى اليوم الثالث ترتفع درجة حرارتها جدا فنطالب اضرام النار فى موقدى الفتنة » فلم يكن منتظرا من أمين الرافعى وهو الذى كان ينادى صباح مساء بحرية الرأى أن يهاجم الشيخ على عبد الرازق هذا الهجوم العنيف على انه بعد مراجعتنا لمقالات الرافعى فى هذا الخصوص ثبت لنا انه كان يناقش الكتاب من الناحية الدينية أما الاخبار فقد كانت تنظر الى الكتاب وكانت الاخبار وقتئذ تحمل اسم « اللواء والاخبار » ، نظرتها الى معركة سياسية تستهدف احراج حزب الاحرار الدستوريين واخراج وزرائهم من الوزارة وقد تحقق ذلك اذ أصدر يحيى ابراهيم باشا ـ وكان وقتئذ نائبا لرئيس الوزراء ، زيور باشا ـ مرسوما باحالة أعمال عبد العزيز فهمى باشا وزير الحقانية الى وزير المعارف الى أن يعين للحقانية وزيرا . وكان ذلك فى أوائل سنة ١٩٢٥ وبهذه الطريقة كما يقول عبد العزيز فهمى فى مذكراته أصبح لا عمل لى طبعا فى وزارة الحقانية فلزمت بيتى وقد تضامن معى فى هذا الحادث حضرتا محمد على علوبة باشا وتوفيق دوس

باشا فاستقالا وكان اسماعيل صدقى باشا غائبا فى أوروبا فلما بلغه الخبر تضامن معى ايضا واستقال تلغرافيا .

وللحقيقة والتاريخ نقـــول : ان كثيرين من المصريين المستنيرين كان لهم رأى مخـالف من كتــــاب الشيخ على عبد الرازق وفى مقدمتهم سعد زغلول نفسه الذى أبدى رأيه فى هذا الكتاب على النحو الذى أشار اليه سكرتيره الاستاذ الجزيرى فى كتابه عن سعد زغلول حيث قال : مساء ٢٠ أغسطس سنة ١٩٢٥ دخلت الى مكتب الرئيس وبيدى مجلتى «مجلةالقضاءالشرعى» فتقبلها بقبول حسن ثم استرعى نظره عنوان المقال الافتتاحى فى العدد الجديد وهو الامامة الكبرى أو الخـلافة لفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف فقال : أو يكتبون ايضا عن الخـلافة ؟ فأجبت دولته نعم والمجلة تعالج موضوع الخلافة منذ الغاء الاتراك لها فقال وما رأى المجلة قلت : انه يلتقى مع الشيخ على عبـد الرازق فى بعض النقط ويظهر ان ذلك كان سببا فى ان عدداكبيرامن رجال السراى استدعى اليه الاستاذ الشيخ خلاف ونصحه أن يـكف عن الكتابة فى هذا الموضوع وأفضى فضيلته الى بذلك طالبا استرداد موضوعه التالى فى المطبعة ففعلت . ثم سألت « دولته » وما رأيكم فى كتاب « الاسلام وأصول الحكم » فاستعد دولته كما يستعد المحاضر لالقـاء محاضرة أو الخطيب لالقاء خطبة ثم قال : « لقد قرأته بامعان لأعرف مبلغ الحملات عليه من الخطأ أو الصواب فعجبت أولا كيف يكتب عالم دينى بهذا الأســـلوب فى مثل هذا الموضوع ؟ وقد قرأت كثيرا للمستشرقين ولسواهم فما وجدت عند من طعن منهم فى الاسلام حدة كهذه الحدة فى التعبير على نحو ما كتب الشيخ على عبد الرازق .. لقد

عرفت أنه جاهل بقواعد دينه بل بالبسيط من نظرياته والا فكيف يدعي ان الاسلام ليس مدنيا ولا هو بنظام يصلح للحكم ؟ فأية ناحية مدنية من نواحي الحياة لم ينص عليها الاسلام ؟ هل البيع أو الاجارة أو الهبة أو أى نوع آخر من المعاملات لم يدرس شيئا من هذا فى الازهر؟ أو لم يقرأ ان أمما كثيرة حكمت بقواعد الاسلام فقط عهودا طويلة كانت أنضر العصور ؟ وان أمما لا تزال تحكم بهذه القواعد وهى آمنة مطمئنة ؟ فكيف لا يكون الاسلام مدنيا ودين حكم ؟ وأعجب من هذا ما ذكره فى كتابه عن الزكاة ؟ فأين كان هذا الشيخ من الدراسة الدينية الازهرية ؟ . انى لا أفهم معنى للحملة المتحيزة التى تثيرها جريدة السياسة حول هذا الموضوع . وما قرار هيئة كبار العلماء باخراج الشيخ على ، من زمرتهم الا قرار صحيح لا عيب فيه لأن لهم حقا صريحا — بمقتضى القانون أو بمقتضى المنطق والعقل — ان يخرجوا من يخرج على أنظمتهم من حظيرتهم . فذلك أمر لا علاقة له مطلقا بحرية الرأى التى تعنيها السياسة . وهنا قلت : لعل ما يغيظ السياسة هو ان العلماء لم يندفعوا من تلقاء أنفسهم الى هذه المحاكمة وانما كانوا مسبوقين — على رأيها — بجهة يهمها تأييد مركز الخلافة فاستعانت بنفوذ العلماء . فقال : « أعرف ذلك ولكن مهما كان الباعث فان العلماء فعلوا ما هو واجب وحق وما لا يجوز أن توجه اليهم أدنى ملامة فيه . والذى يؤلمنى حقا ان كثيرا من الشبان الذين لم تقو مداركهم فى العلم القومى والذين تحملهم ثقافتهم الغربية على الاعجاب بكل جديد سيتحيزون لمثل هذه الأفكار خطأ كانت أو صوابا ، دون تمحيص ولا درس . ويجدون تشجيعا على هذا التحيز فيما تكتبه

جريدة السياسة وأمثالها من الثناء العظيم على الشيخ على عبد الرازق ومن تسميتها له بالعالم المدقق والمصلح الاسلامى والاستاذ الكبير .. الخ . وكم وددت أن يفرق المدافعون عن الشيخ بين حرية الرأى وبين القواعد الاسلامية الراسخة التى تصدى كتابه لهدمها »

وقد يأخذ البعض على أمين الرافعى موقفه من الحجاب والسفور وهجومه الشديد على بعض الشبان الذين كانوا يتعلمون فى اوروبا ثم أنشأوا جمعية لمحاربة الحجاب وكذلك حديثه مع صحيفة « تصوير الافكار » التركية حول الحجاب وما يتردد حوله من آراء . ومن تتبعى لمقالات أمين الرافعى وآرائه أرى انه لم يكن يحارب السفور بصفة عامة ولكنه كان يحارب التبرج كما انه لم يكن — وخاصة قبل الحرب العالمية الاولى — يريد الدخول بالبلاد فى معارك جانبية تشغلها عن القضية الاساسية قضية جلاء المحتل ، كما انه كان يطالب — قبل تحقيق السفور — الاهتمام بتربية المرأة تربية وطنية ودينية لتكون للمرأة اذا رفعت الحجاب حصانة تقيها من الانحلال الذى وصلت اليه المرأة فى أوروبا . وللعلم وجدت ضمن مخلفات الرافعى التى أهداها الى شقيقه عبد الرحمن الرافعى — يرحمهما الله — العديد من الخطابات التى أرسلتها اليه السيدة منيرة ثابت .

وقد حاولت لدى منيرة ثابت فى حياتها — ولدى ورثتها فيما بعد — ان أحصل على أصول الخطابات التى كانت منيرة ثابت ، قد تلقتها من أمين الرافعى ، غير أننى لم أنجح فى محاولتى تلك ولو اننى نجحت فى ذلك لعرفت جانبا كان ولا يزال خافيا علينا جميعا من جوانب شخصية أمين الرافعى ومن آرائه الاجتماعية : من بين

تلك الخطابات خطاب ارسلته اليه من الاسكندرية بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩٢٢ قالت فيه :

« لقـــد سبق أن بعثت اليك عقب تشكيل الوزاره الجديده بمقـــال لم تسمح بنشره كاملا واكتفيت بنشر ملخصه ، وقد اصبت بالحيرة عندما حاولت ايجاد سبب جوهرى لذلك خاصة واننى أظن ان اسلوبى الآن قد تحسن ، ولم يعد محشوا « بالفلطات » كما كان سابقا »

الى أن تقول منيرة ثابت : « لا شك ان مقالتى الاخيره كان بها شيء اغضبك لتعارضه مع مبدئك ، فما هو ذلك الشيء يا ترى ؟ اتراه يكون مطالبتى بحق النساء فى الانتخابات أم ماذا ؟

انك أعلم بالحقيقة والذى أعلمـــه فقط هو أن حرية النشر « تقتضى » على مدير الجريدة بنشر أية كلمة مهما كانت متعارضة مع مبدئه أو مخالفة لرأيه » .

وتقول منيرة ثابت ، انها كتبت مقالا بالفرنسية ردت فيه على ملاحظات محرر السياسة الداخليـة فى جريدة الريفورم « اذ كنت رأيته منذ أيام يتهـكم على الوفـد والمعارضين عموما ويؤيد عمل الوزاريين من طرف خفى ، فغضبت ولم أتمالك نفسى وسطرت ما سطرت من « حاد اللفظ » و « جارح العبارة » مما جعل المسيو كانيفيبيه « يلطم » ويزعم أنى خرقت قوانين آداب اللغـــة وانه لكاذب والله ، صدقنى ، فانى أعرف هذه الآداب أكثر منهم ولكنهم يزعمون ذلك لأنى أعارضهم فى المبدأ والرأى ولكن لم يسع « كانيفيبيه » وزميله الدكتور « رالف » الا أن ينشرا مقالى كما هو حرفيا » .

وقد رد عليه الدكتور رالف فى نفس العدد ردا شديدا نوعا .

وتقول منيره ثابت أيضا في رسالتها ، ان المسيو ليون ناسترو أرسل اليها اليوم كتابا مرحبا بجميع مقالاتها أيا كان موضوعها « فهل يرضيك ياسيدى الاستاذالتجائى الى الصحف الاجنبيه وعنـــدنا عشرات من الصـــحف الوطنية ؟ .. قد أضطر يوما الى ذلك ما دام الصحفيون الوطنيون يقفلون صحفهم فى وجه مقالاتى » . وتوقع كاتبة الرسالة رسالتها بالكلمات التالية :

« منيرة ثابت زعيمة المطالبات بحق الانتخاب والتمثيل النيابى ، ولو غضب الأستاذ الرافعى بك » .

وفى ٣٠ يناير ١٩٢٣ — ومن الاسكندرية أيضا — تكتب منيرة ثابت خطابا الى الأستاذ أمين الرافعى تقول فيه :

« أسفت وتألمت اذ علمت ما اعتزمته الســلطة من محاكمتك عسكريا ، فلم أتمالك أن أبحث لنفسى تسطير كلمة لك .

« ان من يتصدر لخدمة الوطن يعرض نفسه الى ضربات أعداء البلاد ، ولا شك فى ان من يقدم على القيام بهذا الواجب الوطنى ، لهو على أتم استعداد لان يتلقى بصدره كل ما تريد أن تنزله به تلك القوة الغاشمة ، المختلسة للوطن والغاصبة على خدامه وجنوده » .

وتقول منيرة ثابت : « تشجع يا أســتاذ ولا تترك اليأس يظفر بمكان من نفسك ... دافع عن نفسك الى أقصى ما تستطيع الى ذلك سبيلا فان الحق معك ، وهم المبطلون : لا تأنف من كلمة التشجيع ولا تحسبنى أوجهها لك عن اعتقاد ضعف فى هزيمتك لا سمح الله ، كلا بل ان علينا واجبا نحن أيضا الا وهو تشجيع رجالنا العاملين والعطف عليهم فى أوقات المحن » .

وتختتم منيرة ثابت خطابها برجاء الى أمين الرافعي « أن يحطم سريعا بسلاح الحق ، باطل تلك القوة الجباره المستهترة » .

وللخطاب حاشية جاء فيها : « أرجو الا يعلم احد بهذا الخطاب الخاص » .

وفي ٢٤ اكتوبر ١٩٢٤ — ومن عزبة الشجر ، أبو حمص — تكتب منيرة ثابت الى أمين الرافعي خطابا سياسيا ومطولا تشكو فيه من وجود « شخص ما » في سكرتيريه الوفد (بيت الأمة) لا يوصل رسائلها ، الى أم المصريين التي ابلغتها — ابلغت منيرة ثابت — بعدم وصول رسائلها اليها .

وتروى منيرة ثابت لأمين الرافعي أسرار مقابلتها لسعد زغلول ولصفية هانم زغلول .

ومن بين ما ذكرته منيرة ثابت في خطابها انها تحدثت الى سعد زغلول باشا، بخصوص تعليم البنات وان سعد باشا احالها الى سعيد باشا وزير المعارف « الذي شرحت له مطالبي — بايجاز — في ترقية برامج التعليم الابتدائي للبنات ، وتوسيع نطاقه في الثانوي للبنات وانشاء جامعه صغيرة للتعليم العالي تسمى « الجامعة السنية » للبنات، بعد الغاء مدرسة معلمات السنية » .

وتتضمن الجامعة الجديدة خمسة أقسام ، عالية هي : الطب العالي ، الفلسفة والآداب ، الحقوق ، التربية والتعليم « المعلمات » ثم الفنون الجميلة » .. وتقول منيرة ثابت انها : ستمهل سعيد باشا بعض الوقت لينفذ مقترحاتها ، وليعرضها على البرلمان ، والا فان لي وقتذاك طرقا أخرى أسلكها حينئذ معه ، وحينئذ يعلم

الكل ، كيف يجب أن ينظروا بعين الاهتمام الى مطالب الفتاة المصرية ، المحرومة » .

وترسل منيرة ثابت الى أمين الرافعي رسالة ننشرها بنصها — فيما يلي — لأهميتها :

شبرا في ٢١ يناير ١٩٢٥

عزتلو أستاذ رافعي بك

سلاما وتحية وبعد فقد ورد لي كتابك المؤرخ ١٣ الجارى المتضمن رأيك في حقوق المرأة عامة ، ووظيفتها وما زلت أنتظر بقية ردودك على ما بقي من أسئلتى الاتك الى الآن لم تجب على سؤالين ، ولقد انتظرت بقية ردودك الى اليوم فلم يأتنى بشيء ورأيت أن اكتب لك هذه الكلمة واننى أستميحك في « ملحوظة » صغيرة .

« في كتابك المطول الأخير ذكرت مضمون ارائك في المرأة ، ووظيفتها بعد ان رجعت الى نبذ من مقالاتك القديمة كتبتها منذ ١٦ سنة في هذا الموضوع فأنا أولا ، أهنئك لأنك رغم التطورات الاجتماعية الفجائية التى مرت بمصر سريعا في هذه السنوات لم تغير شيئا من أرائك الاجتماعية وما زال رايك في المرأة . كما كان منذ ستة عشر عاما ، فهذا دليل على انك « محافظ عتيق » ، راسخ العقيدة في رجعيتك فتقبل تهنئتى » .

واذا أطال الله بقائى وتقابلنا بعد عشرين عاما فانك بدورك سوف تهنئنى بثباتى على آرائى ومبادئى ، التى تكون عند ذاك قد أثمرت ثمارا جميلة بعكس آرائك ومبادئك فانها للآن لم تثمر .

ولنترك هذا الى ما لا حظته في بيانك الاخير :

لقد استشهدت ـ لتعزيز آرائك ـ بآراء بعض كبار الباحثين والكتاب الاجتماعيين وهذا ما لا أرضاه لك يا سيدي .

انني أردت رأيك خالصا معززا بنظريات محسوسة ، واقعة تحت نظرنا لا ان تعززها بآراء غيرك كأن تقول مثلا ان زيدا ، وعبيدا وخالدا قالوا بهذا الرأى الذى هو رايى فهذا دليل على صوابه ، فأنا لم أطالبك ان تثبت لى أن اغلبية الكتاب أخذوا برأيك وانى طلبت اليك فقط أن توضح لى رأيك فى بعض النقط ـ اى أسئلتى ـ مع بيان الاسباب التى أوجدت الفكرة التى كونت عليها هذا الرأى ذلك ما أود أن تتوخاه فى ردودك المقبلة ، على بقية أسئلتى وانى « لمنتظرة » لها واخص بالذكر منها السؤالين الخاصين « بصديقتكم » هدى هانم شعراوى « وخصيمتكم » « الملعـــونة » منيرة ثابت وأنت أدرى بمضمون الأسئلة فراجعها قبل الاجابة !!

ألم تقرأ ما كتبته عنى الكشكول يوم الجمعة الاخير ؟ طبعا أعجبك ، لأنى « فتاة » ملعونة خائنة استحق هذا السباب ، فجريمتى غير خافية فهى ذلك « النداء » الذى وجهته للشعب المصرى وتطاولت فيه على أعلام ثلاثة : « الدستوريين » ، السيدة هدى والسيد صدقى باشا ، وهذه جريمة لا تغتفر مهما كنت مؤدبة فى تطاولى فلماذا يا سيدى لا تؤدبنى أنت أيضـا على هـذه الجريمة فى الأخبار كما فعل الكشكول ؟

لست أدرى يا سيدى ماذا كنت قائلا لو أعلمتك ان جميع السيدات فى الاجتماع الاول ، للجمعية العمومية ثرن ثورة شديدة ضد السيدة هدى شعراوى وصممن على اتخاذ قرارات شديدة ضدها لولا كرم صفية هانم

التى توسطت وعارضت فى ذلك ، بشجاعة ولطف كبيرين وقد استطعنا أن نهدىء ثائرة السيدات بأن اخذن منهن تفويضا للاثنتى عشرة سيدة المكون منهن مجلس الادارة ، ولما والى مجلس الادارة اجتماعاته الاسبوعية وقفت أنا فى وجه بعض زميلاتى ، واقنعتهن بوجوب العدول عن اعلان أى قرار ضد السيدة هدى .

فعلت ذلك وهى أشد الناس خصومة لى ولم افعل ما فعلته اكراما لهـا بل لأن المصلحة تقتضى بعدم الاسترسال فى هذه المنازعات .

وعلى ذلك قرر المجلس الاكتفاء باثبات القرار فى محضر الجلسة .

هذا بعض من جريمتى . أما «ندائى» الذى تسبب فى حملة الكشكول على فقد أقره مجلس الادارة ووافق عليه من حيث الآراء والتصريحات التى تضمنتها .

بل تمنى لو كنت على السيدة هدى أشد قسوة مما كنت فى اشارتى الصغيرة .

أقول ان المجلس وافق على ندائى فوزعته على الصحف فما كاد ينشر حتى ثار مجلس الادارة على لأنه لم يكن يتوقع أن يذاع بهـذه الصفة ، ولا أن تعلق عليه احدى الصحف بمثل ما علقت المقطم فاجتمع مجلس الادارة اجتماعا غير عادى (مستعجلا) يوم الاحـد ١١ الجارى وفى غيبتى ودون دعوتى وأصدر بيانه المعلوم الذى قرأته أنت فى المقطم حيث أنكرت سيدات المجلس، صفتى فى السكرتارية محاولات بذلك انكار النداء من طرف خفى ، ولكن من حسن الحظ ان جميع الصحف — عدا المقطم — أهملت بيانهن هذا ورفضت نشره لأنها

ما زالت تعتمدني دون سواي ، لم أسكت أنا على بيانهن المنشور في المقطم بل رددت عليه هذا الاسبوع ببيان أعلنت فيه ان النداء ندائي واني وحدي متحملة مسئوليته .

و .. و .

وطلبت اجازة في الاسبوع الماضي وسأقدم في جلسة الغد استقالتي معتذرة بحداثة سني !! يعني بالنسبة لهن ، وقلة خبرتي لأني في الواقع لا أستطيع العمل مع ناس يصغرون من شأني أمام الجمهور ويعاملونني معاملة الأطفال .

هذا واني أرجو عدم التصريح بشيء مما ذكرته لك هنا سواء ، كان خاصا بأعمال اللجنة أو تصرفها معي او موقفي منها .

وفي انتظار ردك أرجو قبول شكري وتحياتي .

منيرة

وفي مخلفات أمين الرافعي مئات من الخطابات التي ارسلت الى أمين الرافعي من شخصيات سياسية كبيرة لا على المستوى المحلي وحسب وانما على المستوى العربي والاسلامي وهذه الرسائل بالاضافة الى ما خلفه أمين الرافعي من أوراق ومذكرات وبيانات ووثائق أخرى لم نشر اليها في كتابنا هذا لوفرتها .. ولاضطرارنا الى اخراج هذا الكتاب بهذا الحجم ، تصلح وحدها أن تكون كتابا آخر يكمل هذا الكتاب ندعو الله أن يمتد بنا العمر لكي نخرجه الى الاخوة القراء في أمد قريب . وفاء منا لذكرى ذلك الرجل الذي نذر حياته كلها بكل ما يملك من جهود وامكانيات وطاقات لخدمة شعب مصر ، ووفاء للمبادىء العظيمة ، والقويمة التي عاش لها وبها أمين

الرافعي ، ثم أولا وقبل كل شيء وفاء لمصرنا الحبيبة العريقة الاصيلة الخالدة أبدا ، التى نعتز فى مقدمة ما نعتز به أنها أنجبت رجلا فى عظمة أمين الرافعي وفى ثباته على مبدئه وتحمله كل ما يستطيع المرء ، أن يتحمله فى سبيل استقلال مصر وفى سبيل الدفاع عن الحرية والدستور .

ومع ذلك لم يلق من أبناء شعبه الا الجحود والنكران طوال ثلاثة وخمسين سنة .

ورغم نسيان الكثيرين من ابناء مصر الاعمال أمين الرافعى وتضحياته .

ورغم الظلم الذى لحق بتاريخ أمين الرافعى تلك المدة الطويلة الا اننى كنت على ثقة مطلقة من ان ذلك النسيان وذلك الظلم سوف يذهبان الى غير رجعة ايمانا منى بشعب مصر العظيم الخالد .

لقد كنت ولا ازال على ثقة مطلقة من أن مصر لا يمكن أبدا أن تنسى أبناءها البررة بها والمخلصين دائما لقضاياها .

كما اننى كنت ولا أزال على ثقة مطلقة من أن شعب مصر لا يمكن أبدا أن يجحد فضل أبنائه العاملين :

قد يطول زمن النسيان والجحود بحيث يتصور بعض الذين لا يعرفون جيدا طبيعة شعب مصر أن مصر قد نسيت الى الابد هؤلاء الابناء : جحدت فضلهم عليها وتضحياتهم فى سبيلها .

وقد تمر سنوات عديدة على هذا الجحود وذاك النسيان دون أن يتذكر أبناء الوطن ، هؤلاء الذين قضوا

حياتهم فى خدمة مصر وفى الدفاع عن كرامتها .. ولكن شعب مصر العظيم الاصيل لا يمكن ابدا أن يقبل نسيان مآثر ابنائه ، ولا يمكن ابدا ان يجحد جلائل الاعمال التي قام بها أبناء هذا الوطن .

لابد ان تجيء الساعة التى يعرف فيها أبناء الوطن قدر من اغفلت أقدارهم من الزعماء والقادة ، ولابد ان تجيء المناسبة التى يرد فيها الشعب الى هؤلاء الابناء البررة اعتبارهم ويقول فيهم التاريخ كلمته تمجيدا وتخليدا لذكرهم .

وللحقيقة وللتاريخ ان أحدا لم يظلم حيا ، وميتا كما ظلم أمين الرافعى نفسه وكما ظلمه أبناء شعبه .

وان قلة نادرة من المصريين المعاصرين هم الذين يعرفون امين الرافعى أو حتى يذكرونه فلقد عاش الرجل حياته القصيرة ، فى صمت ولقى ربه فى صمت ولازم تاريخه الوضاء سوء الطالع ، وعدم الاعتراف بالجميل حتى من أولئك الذين تتلمذوا على يديه ، بل من هم أقرب الناس اليه .

وفى الذكرى الثالثة والخمسين لوفاة أمين الرافعى تساءلت فى ألم ممض ، وحزن عميق : أأخطأ أمين الرافعى أم أصاب عندما عشق مصر ، عشقا أنساه ما فى هذه الدنيا من ملذات ، وشهوات ومغريات وعندما عاش حياته كلها تقيا ، نقيا صوفيا وطنيا فى وقت امتلأ بالفساد والهوان ، واحتقار المثل العليا وازدراء كل ما هو جيد وصالح ومستقيم ؟

أأخطأ أمين الرافعى عندما رفض أن يتخلى مرة واحدة في حياته عن المثل العليا التى رسمها لنفسه والتي جعل

منها الزاد الذي يتزود به ، بل الرئة التي منها يتنفس ، والقلب الذي لا يستطيع بدونه أن يعيش ؟

أأخطأ أمين الرافعي أم أصاب عندما رفض أن يجاري الناس في كل ما يؤمنون به ويسعون من أجل تحقيقه ؟ وعندما ضرب بحذائه كل ما يعبده الناس من مال وسلطان وجاه ، مؤثرا ألا يترك لطفليه الصغيرين الا هذا التاريخ الوطني المشرق الوضاء ، الذي لم يحتف به أحد حتى اليوم ؟

أنا شخصيا أومن بأن أمينا لم يخطيء ، بل أصاب ، وقد اختار الطريق السوى ، الذى أرضى ضميره .. ووجدانه الوطنى واذا كان أمين لم يترك لطفليه مليما واحدا ، فحسبه ، انه ترك لمصر شعلة وطنية لم تنطفيء ؟ قد يخبو نورها ردحا من الزمن ولكنها لا تلبث أن تضيء لمن حولها ، واذا كان أمين لم يجد من يحتفل بذكراه طوال ثلاث وخمسين سنة مضت بعد وفاته، فذلك ليس لعيب فى المنهج الذى اختاره لنفسه وانما هو عيب فى المجتمع الذى عاش فيه ، وعاش له .

ان كل ما فى هذه الدنيا حتى بلايين الجنيهات تذهب، ولا تبقى الا الكلمة الطيبة .. الا العمل المخلص حتى ولو لم يعترف بهما أحد .

سيبقى أمين الرافعى وغيره ممن ارتفعوا فوق الماديات، وعاشوا وحدهم محلقين فى جو المثاليات، سيبقون جميعا مهما ادلهمت أمامهم السبل ، وتنكر لهم المجتمع عنوانا على الطهارة والنقاء ، الثورى .

ذلك وحده فيه عزاؤهم : أحياء ، كانوا أم أمواتا عند ربهم يرزقون .

قلت ذلك في ديسمبر ١٩٨٠ ولم أكن أعرف ان أمين الرافعي سوف ينصف ، كما لم ينصف صحفي من قبل وسوف يرد له اعتباره ، كما لم يرد الاعتبار لغيره من قبل .

لم أكن أعرف ان اسم أمين الرافعي سيصبح فجأة وبعد ثلاث وخمسين سنة من الجحود والنكران على كل لسان في مصر والعالم العربي بل العالم كله .. ففي بداية الاحتفال بيوم الصحفي في ٣١ مارس ١٩٨١ أعلن الرئيس محمد أنور السادات منح اسم أمين الرافعي قلادة النيل ـ أعلى أوسمة الدولة ـ كما أشاد سيادته بجهاد أمين الرافعي وكفاحه وكان مما قاله سيادته : في الحرب العالمية الأولى فرض المستعمر الحماية والأحكام العرفية على مصر وبرغم كل هذا بقيت صحف تمالىء الاستعمار وعانت الصحافة الوطنية كل صور القهر وظهر صاحب قلم ارتفع الى المسئولية في أروع صورها : أقصد المرحوم أمين الرافعي الذي كان يصدر جريدة الشعب وأبت عليه الكرامة الوطنية أن ينشر قرار فرض الحماية فأوقف صحيفته عن الصدور حتى لا يلطخ صفحاتها بهذا القرار وحتى يعلن مقاومته للاحتلال » .

« لقد أغلق أمين الرافعي بيده جريدته أربع سنوات كاملة لكي لا ينشر قرار اعلان الحماية » .

« هذا الموقف من أمين الرافعي موقف خالد ، لابد أن نسجله نحن الصحفيين جميعا بكل الفخر والاعتزاز وفي وجداني ان هذا عيد من أعياد الصحافة المصرية الوطنية وعيد نطلق عليه « عيد أمين الرافعي » .

وكأنما ولد أمين الرافعي من جديد . ان تكريم

الرئيس السادات لذكرى امين الرافعي ليس تكريما لأمين الرافعي وحسب انما هو تكريم للبطولة وللأبطال في كل زمكان ومكان تكريم لشعب مصر كله لا الأمين الرافعي وحده .

وهكذا دائما وأبدا شعب مصر وفى الأبنائه البررة به.

ويرحم الله — فى النهاية كما فى البداية — أمين الرافعي ، الذي قال فيه حافظ ابراهيم ما يعتبر بحق مسك الختام :

ظلم من القبر أن تبلى أنامله
فكم رمت في سبيل الله من خانا
عشرون عاما على الطرس الطهور جرى
ما خط فاحشة أو خط بهتانا
أمين فارقتنا في حين حاجتنا
الى فتى لا يرى للمال سلطانا
ايلبس الخز من لانت مهزته
وأنت تخرج من دنياك عريانا
ان القناعة كنز كنت حارسه
ترى به القوت ياقوتا ومرجانا
فما سعيت لغير المجد تكسبه
ولا رضيت لغير الحق اذعانا
أودى به السكر المضنى ولا عجب
أن يورث الحلو مر العيش أحيانا
بلغ ثلاثتكم عنا تحيتنا
واذكر لهم ما يعانى قومنا الآنا
وأضرع الى الله فى الفردوس مبتهلا
أن يحرس النيل ممن رام طغيانا

فهرس

رقم الايداع بدار الكتب ٣٠٦٤ ـ ٨١
الترقيم الدولى : ٩ ـ ٩٣ ـ ٧٠٣١ ـ ٩٧٧ ISBN

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

جدة ـ ص ـ ب رقم ٤٩٣
السيد هاشم على نحاس
المملكة العربية السعودية

انجلترا :

THE ARABIC PUBLICATIONS
7. Bishopsthrose Road
London S.E. 26
ENGLAND

البرازيل :

M. Miguel Maccul Cury.
B. 25 de Maroc. 904
Caixa Postal 7406,
Sao Paulo. BRASIL.

ثمن النسخة فى البلاد العربية لهذا العدد الممتاز فئة ٢٥٠ مليما للقارىء فى مصر :

سوريا	٣٥٠	ق • س
لبنان	٣٠٠	ق • ل
الاردن	٣٠٠	فلس
الكويت	[illegible]٠	فلس
العراق	٤٥٠	فلسا
السعودية	٥½	ريال
السودان	٣٥٠	مليما



هــذا الكتاب

يوما بعد يوم تزداد الصحافة اهمية وتزداد مسئولية الصحفي ثقلا ، لان الصحفي تزداد مهمته كصانع للفكر والراى مع الزمن ، وقد دخلت صحافتنا العربية ، مع الازمات التى تتزايد داخل الوطن العربى وخارجه خطورة ·

لهذا فاننا عندما نقدم هذا الشهر كتابا عن امين الرافعي بقلم صبرى ابو المجد فاننا نقدم للصحفيين ، والمثقفين وقراء العربية جميعا درسا عظيما في مهنة الصحافة ومسئوليات الصحفي وما ينبغي أن يتصف به من الخصال ، وما لابد له من قوة وطنية وقومية وأخلاقية · فقد كان أمين الرافعي حقا مثلا أعلى للصحفي كيف ينبغي ان يكون ، فقد كان صادقا مع نفسه وصادقا مع وطنه ، وكان شديد الاخلاص لقضايا الوطن يضحي بنفسه فعلا في سبيلها · وكان يحس بمشاكل الوطن احساسا عميقا شاملا لكيانه كله · من هنا فقد احتل في تاريخ الصحافة العربية مكانا صدرا ·

وقد درس المؤلف صبرى أبو المجد حياة الرافعي كما لم يدرسها أحد قبله ، واطلع على وثائق وأصول لم تتيسر لغيره وعالجها باستاذية وقدرة معروفة عنه في كتابة الموضوعات القومية التاريخية ·

هذا كتاب عظيم القيمة بموضوعه وبما فيه من دراسة وبما يقدمه من دروس ، ويسعدنا أن نقدمه لقراء كتاب الهلال هذا الشهر ، مضيفين به ذخرا جديدا من الذخائر التى تتكون منها سلسلة كتاب الهلال ·

مؤسسة دار الهلال